روّاد من اليمن

(الجزء الأول)

زيد الشامي

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..

بسم الله الرحمن الرحيم

روّاد من اليمن

(الجزء الأول)

Ruvvad
mina al yaman

Ziad Ali Hamid

1. BASKI: İSTANBUL
2022 - 1444

روّاد من اليمن

(الجزء الأول)

زيد الشامي

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية ..

روّاد من اليمن

(الجزء الأول)

زيد الشامي

zaidahalshami@gmail.com

القياس: ١٧×٢٤ سم

عدد الصفحات: ٣٥٢ ص

ISBN: 978-625-8063-49-3

الطبعة الأولى

١٤٤٤ هـ - ٢٠٢٢ م

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

مكتبة الأسرة العربية

نحو أسرة عربية واعية ..

طباعة ونشر وتوزيع

إصدارات مُختارة للأسرة العربية

www.arabfamilybs.com

+90 212 631 81 09 - +90 531 935 71 31

info@arabfamilybs.com

UFUK neşriyat.®

BASIN-YAYIN-DAĞITIM

Sertifika No: 65276

الإخراج الفني

khadga ahmed Designer KhdegaArt

khdega.zakaria.altwabty@gmail.com

UFUK NEŞRİYATIN.® TÜRKİYE BASIM YAYIN MESLEK BİRLİĞİ ÜYESİDİR.

Baskı Cilt: Enes Basın Matbaacılık Ltd. Şti. Litros Yolu Fatih San. Sit. No: 12/210 - Topkapı / İstanbul

بسم الله الرحمن الرحيم

محتويات الكتاب

المقدمـة 8

1 - أحمد جابر عفيف..... نضال إلى آخر رمق 11

2 - أحمد حمزة..... العالم المتواضع 17

3 - أحمد الجرموزي..... عنوان الفصاحة والانضباط 20

4 - أحمد البشاري..... ثقافة وخلق رفيع 27

5 - أحمد العليمي..... المربي الصارم 32

6 - أحمد الصبري..... كفاح وجلَدٌ حتى الممات 40

7 - أحمد العماد..... مجد وتواضع 49

8 - إشفاق عبد الرزاق..... راحلة الخير 57

9 - أوراس ناجي..... السياسية الحصيفة 65

10 - حسن جابر.....العالم الرصين والتربوي القدير 68

11 - حمود شرف الدين.....العالم الأديب 79

12 - حمود الذارحي..... المتفاني في قضاء حوائج الناس 87

13 - حميد شحرة..... الإعلامي المتألق 105

14 - خالد المقداد..... التربوي الحازم 112

15 - سليمان الفرح..... المناضل الصلب 117

16 - سليمان الأهدل..... العالم القانت 121

17 - سيف الشرعبي..... التربوي والإداري الدؤوب 136

18 - صادق منصور..... داعية السلم والوفاق 148

19 - صالح السنباني..... حامل راية الحريات والحقوق 154

20 - طارق أبو لحوم..... رائد العمل الخيري والإنساني 165

محتويات الكتاب

21 - عبد الرحمن بافضل.....القائد الفذ والعقل المستنير 175

22 - عبد الرحمن الذاري.....الزاهد الأمين 188

23 - عبد العظيم العمري..... عطاء بلا حدود 198

24 - عبد الله بن حسين الأحمر..... الزعيم الحكيم 205

25 - عبد الله قشوة.....النجم الناسك 222

26 - عبد الملك الشيباني.....ذاكرة التاريخ 231

27 - علي الواسعي.....الألق المغمور 240

28 - علي العصيمي.....النسيج المتميز 255

29 - علي هود باعباد.....العالم المثابر 259

30 - فاطمة العاقل..... امرأة بأمة 263

31 - فيصل الضلعي..... الداعية الحكيم 272

32 - محفوظ شماخ.....حكيم التجار 277

33 - محمد دماج..... رجل الدولة المحنك 283

34 - محمد القاضي..... البرلماني الشهم المتألق 291

35 - محمد جباري..... رجل الاقتصاد والسياسة 296

36 - محمد الصليحي..... العصامي المثابر 306

37 - محمد الشهاري..... فيلسوف التربية 312

38 - محمد المطهر..... القاضي الفيصل والعالم المجتهد 319

39 - يحيى علاو..... رائد الإعلام الهادف 326

40 - يحيى الفسيل..... جرأة الحق وهيبة العلم 332

المؤلف 349

المقدمة

في خضم الحياة المتلاطم، وتزاحم الناس على متاع الدنيا ومتعها، وتسابقهم في الحصول على المصالح والمنافع منها، يكاد المرء يشعر بأن الحديث عن التمسك بالقيم والأخلاق والمبادئ، ليس سوى مثاليات، كانت في عهود الأنبياء والمرسلين، أو في زمن الصحابة والتابعين؛ والحق أن هذه ليست قاعدة مطردة؛ ففي كل زمان ومكان يوجد رواد، يعطون أكثر مما يأخذون، ويضحون بأوقاتهم وأموالهم وجهودهم، لخدمة غيرهم من الناس، وبعضهم يؤثر المصلحة العامة، على مصالحه الخاصة، وهذه النماذج تتكرر، ولم تتوقف على مَرّ الأزمان، واختلاف المكان.

وهذا الكتاب يستعرض بإيجاز نماذج من الرواد اليمنيين، الذين عرفتهم في حياتي، والتقيتهم طويلاً أو لماماً، وخبرت سلوكهم، وأسلوب تعاملهم، و أنا هنا لا استقصي الدقيق والجليل من حياتهم، و إنما أشير إلى بعض مواطن القدوة التي نحتاجها للتأسي بهم، ولتأكيد أن الخيرية لا تنقطع عن هذه الأمة، وذلك لا يعني التزكية المطلقة لهم من الأخطاء التي هي من صفات البشر، والله حسيبهم، ولا أزكي على الله أحداً، والعصمة ليست إلا للأنبياء.

ولقد حرصت أن أكتب عن رواد يمنيين، عاش بعضهم مغموراً، ولم يشعر الناس بقيمته إلا بعد موته، وجميع من كتبت عنهم، قد قضوا نحبهم، وغادروا دنيانا الفانية، وحقهم علينا أن نتذكر محاسنهم؛ لندعو لهم، ونقتفي آثارهم، ونستفيد من تجاربهم، وعلى الرغم أن كثيراً منهم، قد جمعتني بهم طريق الدعوة إلى الله، أو

العمل السياسي، إلا أن شخصيات أخرى، كنت على تباين معهم، وقد شملهم هذا الكتاب، لأنهم كانوا رواداً متميزين في عطائهم، وتركوا بصماتهم الإيجابية في الحياة العامة، ويستحقون الإنصاف، والإشادة بمو اقفهم، والاعتراف بفضلهم، وتخليد ذكراهم.

ولا يفوتني الاعتذار لكثيرين ممن لم أتمكن الكتابة عنهم، وهم رواد كبار، ومن ذوي التأثير التربوي والاجتماعي والسياسي، وذلك لنقص المعلومة التفصيلية لدي عنهم، وأرجو أن تتهيأ الفرصة و أتمكن من الكتابة عنهم مستقبلاً.

اعتمدت في الكتابة عن هؤلاء الرواد الأعلام، أسساً واعتبارات، منها معرفتي الشخصية بهم، وما نشر عنهم على الشبكة العنكبوتية، وما وجدته منشورا في مؤلفات وموسوعات، مثل (موسوعة أعلام اليمن ومؤلفيه للدكتور عبد الولي الشميري)، إضافة إلى ما زودني به أبناء و أقارب وأصدقاء لهم، أومقربون منهم، مما ساعدني على التعديل والتصحيح، فلهم جميعاً الشكر والتقدير.

وأود التنبيه إلى أن كتابتي المطولة أو المقتضبة، عن هذه الشخصيات، لا علاقة لها بمكانة الشخص، و إنما بسبب ما توفر عندي من معلومة، ومدى معرفتي الشخصية بمن أكتب عنه.

وأرجو أن يسهم ما سُطِّر في هذا الكتاب، في طرح اليأس والإحباط، وإحياء الأمل في النفوس، بأن أمتنا لمّا تزل ولاّدة بالخير، قادرة على إنتاج نماذج رائعة من أصحاب الهمم العالية، والنفوس السامية؛ التي تعيش لغيرها، أكثر مما

تعيش لنفسها، وتبذل المعروف، ولا تنتظر الجزاء والثناء، إلا من الله تعالى وحده.

إن الكتابة عن الرواد، تحتاج وقتاً ومراجع، وهي لا تتو افر، كما ينبغي، لمن يعيش النزوح وعدم الاستقرار، ولكني عزمت على أن أبدأ بعدد منهم، وبحسب ما يتيسر لي من المعلومات، وعلى أمل أن أواصل الكتابة عن آخرين من أهل الفضل والبذل والريادة، ويستحقون الذكر والتقدير والإشادة، إذا أمد الله في العمر والصحة، وأسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن يقبل مني اليسير، ويسامحني عن التقصير، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

القاهرة

12 من جمادى الآخرة 1443 هـ

15 من يناير 2022 م

زيد بن علي الشامي
zaidahalshami@gmail.com

1

أحمد جابر عفيف نضال إلى آخر رمق

(1347 - 1431هـ) (1928 - 2010م)

الأستاذ أحمد بن جابر بن محمد بن عفيف: من مواليد بيت الفقيه عام 1928م، وفيها نشأ ودرس الابتدائية، ثم كان من ضمن خمسة وثلاثين طالباً تم اختيارهم من الحديدة للدراسة في صنعاء عام 1940م، وهناك درس الثانوية، وتتلمذ على عدد من العلماء والثوار، الذين تركوا بصماتهم على فكره ورؤيته للمستقبل، ومنهم الأساتذة: محيي الدين العنسي، وأحمد حسن الحورش، وأحمد البراق، وعبد الله كباس، وإبراهيم خليل، وزيد عنان.

برزت مواهبه القيادية في كل المواقع التي شغلها قبل ثورة سبتمبر 1962م وبعدها، عين مديراً لمستشفى صنعاء، فمديراً عاماً لوزارة الصحة في عهد الملكية، وبعد الثورة

عين نائبًا لوزير الصحة، ثم سفيراً لليمن في لبنان، وسفيراً غير مقيم في سوريا، ثم عين رئيسًا لشركة المحروقات اليمنية.

وكانت حياة الأستاذ أحمد جابر قد ارتبطت بالتعليم والثقافة، منذ مقتبل عمره؛ فعمل مديراً لمدرسة المراوعة، ثم مديراً لمدارس الحديدة، وتدرج في الأعمال القيادية في الدولة، حتى عين وزيراً للتربية والتعليم، في سبعينيات القرن العشرين، وكان أحد الذين تركوا بصمات واضحة على نظامنا التعليمي كماً وكيفاً، وشهد التعليم في عهده نهضة كبيرة، حيث نما التعليم، وتعددت أنواعه، وافتتحت جامعة صنعاء، التي رأسها في مرحلة التأسيس.

كان الأستاذ أحمد جابر عفيف قوياً وصارماً، واثقاً من نفسه، يتحمل المسؤولية التي تسند إليه بجدارة، ويملأ الكرسي الذي يجلس عليه؛ كتلة من نشاط لا يتوقف، زياراته الميدانية للمدارس أو مكاتب التربية، تحدث رهبة ودوياً، وتدفع كل إداري ومعلم أن يؤدي واجبه على أكمل وجه، وكان إيجابياً لا يقبل بمبررات الفشل، بل يبحث عن الحلول للمشكلات، ويذلل الصعاب التي تعترض العملية التعليمية.

ولأن الأستاذ أحمد جابر، تولى وزارة التربية في مرحلة من التجاذب والصراع الفكري (الأيدلوجي)، والاستقطاب السياسي الحاد في حينه، فقد كان من الطبيعي أن تختلف القوى السياسية في النظرة إليه، لاسيما أنه كان محسوباً على التيار الليبرالي القومي، وكنت أقف في الجهة المختلفة معه، لكني هنا أذكر له بعض جوانب التميّز، التي أعتقد أن من الإنصاف عدم نسيانها، وقد كنت أقولها في حياته، وعندما بلغه ذلك اتصل بي

يشكرني على ذلك، مع أني لم أعدو الحقيقة التي عرفتها عنه، وحين كان وزيراً كنتُ ما أزال معلمًا، ولم تكن علاقتي به بصورة مباشرة، لكني كنت متابعاً ومطلعاً على الشأن التربوي العام في ذلك الحين.

بعد مغادرة الأشقاء المصريين اليمن إثر نكسة حزيران 1967م، واصل الأستاذ أحمد جابر مشوار يمننة الكتب المدرسية، وإعطاء الصبغة الإسلامية للمناهج الدراسية، وكان يدفع الحوافز المجزية للمؤلفين، وقد أسهمت تلك المناهج في توحيد الذهنية اليمنية بما يجمع ولا يفرق، ويقرّب ولا يباعد، وكانت وسيلة فاعلة في خفوت النزعات المناطقية والعنصرية والمذهبية، ففي عهده شهدت المناهج ثورة كبيرة، استعان فيها بالخريجين اليمنيين، وبالعلماء على اختلاف مذاهبهم وتوجهاتهم، وظلت تلك المناهج علامة فارقة في تاريخنا اليمني المعاصر، تزداد الحاجة إليها بعد أن حل الهم السياسي والطائفي والمناطقي، محل الهم الوطني والتربوي، وبعد أن فشل النظام التعليمي - حين تخلّى عنها - في المحافظة على الوحدة الوطنية، مما أدى إلى اضمحلالها في نفوس الأجيال، التي لم تدرس تلك المناهج الجامعة.

السياسة التعليمية، وقانون التعليم العام رقم (22) لسنة 1974م من أهم إنجازات الأستاذ أحمد جابر، وهو القانون الذي لم يأت بعده ما يصل إلى مستواه، لأنه كان شاملاً وقابلاً للتطور، وأتى على كل مفردات العملية التعليمية، بما في ذلك التعليم العام، والتعليم الفني، والتدريب المهني، ومحو الأمية، وتعليم الكبار، إضافة إلى تنظيم المعاهد العلمية على أسس وطنية سليمة، وأما السياسة التعليمية، فقد وضعت رؤية مستقبلية للتعليم، شملت المرتكزات التربوية والاجتماعية، وأكدت على

العدالة الاجتماعية، ومبدأ تكافؤ الفرص، وقد ابتعد النظام التعليمي عنها كثيراً، حين ألقاها وراء ظهره.

كان الأستاذ أحمد جابر عفيف من الذين لا يفرطون في المبادئ، وعلى سبيل المثال، وفي أثناء مناقشة أسس النظام التعليمي لدولة الوحدة بين شطري اليمن -في سبعينيات القرن العشرين الميلادي- اعتكف عشرة أيام في عدن، من أجل النص على أن النظام التعليمي، يجب أن يرتكز على العقيدة الإسلامية، وصمّم أن لا يترك مجالاً يسمح بأي انحراف لمسار التعليم في المستقبل، واستدعى الأمر الاستعانة بخبراء من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، للاتفاق على النص المناسب، وفي ذلك الوقت، كان الإخوة في الشطر الجنوبي متطرفين في أفكارهم، ومنحازين إلى الفكر اليساري.

إن الذين سمعوا عن أحمد جابر عفيف، قد عرفوا صرامته، وبعد آرائه السياسية، وخلافه مع بعض خصومه، لكن القليل من يعلم أنه كان أحد الذين وضعوا الأسس الوطنية والإسلامية للتعليم في اليمن، وفي وقت كان فيه الصراع الفكري على أشده، بين الإسلاميين والعلمانيين.

كان يسعى للنجاح فيما يسند إليه من أعمال؛ فقد عين رئيساً لبنك الإسكان، فتبنى مشروع إنشاء أول مدينة سكنية في حدة بالعاصمة صنعاء، والتي اتسمت بالتخطيط الحضري، والسكن الصحي والمريح، وجعل الدفع بالتقسيط الذي لم يثقل كاهل المشتركين، وقد أسهم المشروع في حل مشكلة سكن الطبقة المتوسطة من الموظفين، وأساتذة الجامعة.

ظل الأستاذ أحمد جابر فاعلاً، ومشاركا في العمل الوطني، وكان أحد العاملين في لجان تحقيق الوحدة اليمنية، وفي أثناء الأزمة السياسية، بعد قيام دولة الوحدة، عين أميناً عاما للجنة الحوار الوطني، وأبلى بلاءً حسناً، حيث كادت مخرجات ذلك الحوار أن تجنب اليمن الفتنة والاحتراب؛ فتم التوقيع على وثيقة العهد والاتفاق في عمان الأردن، برعاية الملك حسين بن طلال ملك الأردن، مطلع 1994م، لولا التعصب والأنانية، التي أعمت بعض البصائر في حينه، وأدت لحرب صيف 1994م.

أسس الأستاذ أحمد جابر (مؤسسة العفيف الثقافية)، التي تُعْنَى بالشأن الثقافي، والتي صارت منتدى للأدباء والشعراء والمثقفين - لاسيما الشباب منهم - وهي المؤسسة التي تعكس مدرسته في النظام والترتيب، والانضباط والنظافة، وقد رعت فعاليات ثقافية كثيرة، ولها ندوة أسبوعية، وصدر عنها إصدارات كثيرة من أهمها (الموسوعة اليمنية).

يُذكر للأستاذ أحمد جابر أنه كان أحد المستشعرين لمخاطر زراعة القات ومضغه، وتأثيره السلبي على حياة اليمنيين الصحية والاقتصادية والاجتماعية، وقد شكل وترأس الجمعية الوطنية لمواجهة أضرار القات، وكتب ونشر الكثير من الدراسات والبحوث، وأقام الندوات حول ذلك.

صدر للأستاذ أحمد جابر عدة مؤلفات منها: (الحركة الوطنية في اليمن)، و(البيضاني يرد على البيضاني)، تضمن ردودا سياسية على الدكتور عبد الرحمن البيضاني نائب رئيس الجمهورية السابق، و(شاهد على اليمن.. أشياء من الذاكرة)،

وله مقالات كثيرة منشورة، وصدر عنه بعد وفاته كتاب (العفيف زمن خارج السرب) للأديب علي المقري.

ولد الأستاذ أحمد جابر محمد عفيف عام 1928م، وتوفي يوم 6 من فبراير 2010م، وخلف ثلاثة أولاد وابنتين، ودفن في مقبرة الرحمة على خط الخمسين جنوبي العاصمة صنعاء، رحمه الله، وأسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

أحمد حمزة العالم المتواضع

(1368 - 1431هـ) (1949 - 2010م)

الأستاذ الدكتور أحمد حمزة محمد اليمني، وكيل كلية الزراعة بجامعة صنعاء، تخرجت على يده أجيال، شغلوا مواقع مختلفة في الدولة، وقد كان مثالاً للعمل الدؤوب، والالتزام والتواضع، دائم البشر والابتسامة، كثير الأمل، يدعو إلى الله بسلوكه قبل قوله، جلّ وقته في ساحة التعليم والتعلم، أو محراب العبادة، يعيش هموم وطنه وأمته، يسهم بالرأي والقول والعمل، لا يستنكف أن يكون في المقدمة، أو في مؤخرة الصفوف.

هاجر والده من اليمن محافظة إب مديرية العدين إلى المحلة الكبرى، بجمهورية مصرالعربية، وفيها كان ميلاده عام 1949م، وهناك نشأ وترعرع وتلقى تعليمه الأساسي والثانوي، ثم أكمل دراسته الجامعية في ألمانيا الغربية، وحصل على بكالوريوس

زراعة،من جامعة جورج أوجست عام 1974م، ثم حصل على درجة الماجستير عام 1976م،والدكتوراه عام 1981م في مجال العلوم الزراعية من نفس الجامعة.

عمل في جامعة صنعاء مدرساً لمادة (البيولوجي) بكلية العلوم، وهو من مؤسسي كلية الزراعة في الجامعة، حيث أسهم في التخطيط والإعداد لإنشاء كلية الزراعة، وإنشاء المزرعة التعليمية، وتأسيس المعامل الطلابية، والمعمل المركزي للبحوث بالكلية، وبعد افتتاح كلية الزراعة انتقل للتدريس فيها، وعين رئيساً لقسم الإنتاج النباتي، ثم وكيلاً للكلية.

قدم الدكتور أحمد حمزة عدة بحوث علمية محكّمة، ودراسات تجريبية في المختبرات تتعلق بتحسين زراعة اللوز والموز والمشمش وغيرها، وحصل بها على درجة الأستاذية، وكان له حضور علمي في الكثير من الندوات والمؤتمرات العلمية في اليمن ومصر وسوريا والعراق والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا، وتم تداول بحوثه في مؤتمرات دولية، كما أشرف على عدد من رسائل الماجستير والدكتوراه مشرفاً أساسيا أو ممتحنا، في جامعة صنعاء وغيرها من الجامعات.

كان الدكتور أحمد حمزة مهتماً بدراسة مشكلة القات وتأثيره على حياة اليمنيين، وظل يطرح فكرة تجفيف ورقة القات ووضعها في قوالب أو علب، وتحويلها إلى قهوة مثل الشاي، ولكنه توفي قبل تطوير الفكرة.

كان الدكتور أحمد حمزة معتزاً بالإسلام آخر الرسالات السماوية، الذي يصلح لكل زمان ومكان، وقد اعتاد أن يفتتح محاضراته في الجامعة بشرح آية أو حديث يرتبط

غالباً بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة، ثم يدخل في موضوع المحاضرة.

والدكتور أحمد حمزة من مؤسسي التجمع اليمني للإصلاح بأمانة العاصمة، وعضو مكتب أعضاء هيئة التدريس، وعضو فاعل في دائرة الإعلام والثقافة بالأمانة العامة للإصلاح، وشارك في المناسبات والفعاليات التي يقيمها القطاع الطلابي في جامعة صنعاء.كان رحمه الله من العُبّاد الذين يحرصون على نوافل العبادات، فضلاً عن الفرائض،وكان يحب أن يمارس الزراعة بيده؛ فيغرس الأشجار ويتعهدها، ويسعد بخدمة الآخرين، يحكي عنه أحد زملائه أنه جاء إليه يحمل بعض الشتلات ليزرعها بنفسه في حوش منزله، وبينما كان منهمكاً في العمل يتصبب عرقاً، سمع أذان المغرب فطلب تمراً وماء فقد كان صائماً.

كان يمارس الرياضة وخاصة كرة القدم والسباحة وركوب الدراجة الهوائية ويجيد مهارات الكاراتيه.

لم يعمّر أحمد حمزة طويلا، فقد وافاه الأجل بحادث مروري في 2010/1/25م، وجاء موته صدمة مفاجئة لكل طلابه ومحبيه، وقد خلف ثلاثة أولاد وبنتا، وتم مواراة جثمانه الثرى بمقبرة الرحمة على شارع الخمسين، جنوبي العاصمة صنعاء، رحمه الله، ورفع منزلته في عليين.

•~•~•~•~•~•~•

3

أحمد الجرموزي عنوان الفصاحة والانضباط

(1952 - 1434هـ) (1952 - 2013م)

الدكتور أحمد بن علي بن أحمد الجرموزي، أحد أعلام اليمن ومفكريها، قضى حياته في الخدمة العسكرية والتعليم الأكاديمي، وكان قطباً بارزاً في التوجيه المعنوي للقوات المسلحة، وعمل مدرسا في الكلية الحربية بصنعاء، ومحاضراً في عدد من كليات الدفاع والأمن، وختم حياته أستاذاً لعلم النفس والصحة النفسية في كلية التربية بجامعة صنعاء.

نشأ الدكتور أحمد الجرموزي على الصلاح، وتربى على قيم الإسلام وآدابه، وشق طريق حياته بالعزيمة والمثابرة، وجاء التحاقه بالقطاع العسكري منسجماً مع طبيعة الانضباط والحزم التي يحبها، وقد كانت ثقته بنفسه كبيرة، يدخل على مسؤولي الدولة، فيبدي

نصيحته وملحوظاته، ولأنه لا يطلب شيئاً لنفسه، فإن المستمعين له يتقبلون كلماته القوية بالتقدير والاحترام.

كان رحمه الله مثالاً للنشاط والنظام والترتيب والانضباط، يسعد للأعمال المتقنة والأداء الفعال، وظل يحلم بوطن قوي فتيّ، متخلص من مظاهر التخلف والتسيب والإهمال، ودوام على الكتابة التي تستنهض الهِمم وتدعو لإخراج أمتنا من وهدة التخلف، ومحاربة الظلم، والتحرر من الاستبداد.

أحمد الجرموزي من مواليد مدينة زبيد عام 1952م ثم انتقل إلى صنعاء، وفيها أكمل تعليمه الأساسي والثانوي، ودرس القرآن الكريم واللغة العربية على أيدي العلماء في الجامع الكبير بصنعاء، والتحق بالخدمة العسكرية عام 1966م، وأخذ دورات عسكرية في مصر عام 1967م، ودورة في التوجيه المعنوي والحرب النفسية في سوريا عام 1970م، ثم التحق بالكلية الحربية بصنعاء وتخرج فيها حاصلاً على بكالوريوس في العلوم العسكرية عام 1974م، كما حصل على بكالوريوس في الإعلام تخصص إذاعة وتلفاز من جامعة القاهرة عام 1980م، درس الدبلوم العام في التربية عام 1984م، ثم الدبلوم الخاص - كلية التربية - جامعة صنعاء 1985م، ثم نال درجة الماجستير في التربية تخصص صحة نفسية من جامعة عين شمس بجمهورية مصر العربية عام 1989م، ثم حصل على درجة الدكتوراه في التربية من جامعة القاهرة عام 1992م.

عمل مذيعاً في إذاعتي صنعاء والحديدة، ثم مديراً للتوجيه المعنوي في محافظة الحديدة 1975م، ثم رئيساً للتوجيه المعنوي في الكلية الحربية بصنعاء، ومدرساً لعلم النفس

العسكري، والحرب النفسية والتوجيه المعنوي، في الكلية الحربية، وكلية الطيران والدفاع الجوي، وعمل مدرساً لعلم النفس الجنائي في كلية الشرطة والمعاهد الأمنية، وكان آخر عمل شغله رئيساً لمركز الإرشاد التربوي والنفسي بجامعة صنعاء بدرجة عميد، وقد ترك في المركز بصمته الخاصة من حيث المحتوى المفيد، والمظهر الجميل والمبهر، وعين عضواً في مجلس جامعة صنعاء (2003– 2011م).

في كل مرة كنت ألتقيه ينداح أدباً وحكمة، ويسمعني أبياتا من غرر الشعر العربي الفصيح، التي تجري على لسانه كالماء الزلال، يستهويه الإتقان والجودة في أداء مؤسسات الدولة، وكثيراً ما يجري المقارنة بين مؤسسة مدنية أو عسكرية ناجحة، وأخرى متعثرة، مع أن الإمكانات المتاحة متقاربة، وكان يعزو التميز إلى الإدارة الكفؤة.

كان أحمد الجرموزي يحب اللغة العربية ويعشقها، ولا يتحدث إلا الفصحى، وله رسائل مفيدة في هذا المجال، وكانت له موهبة في الخط، ورسائله التي كان يخطها، تشكل لوحات فنية بديعة.

أما مقالاته المنشورة على صفحته في الفيسبوك، فتعكس ثقافته ونظرته للحياة، وثقته بالإسلام، قدم فيها خلاصة تجربته ورؤيته، وعشقه للحرية وحبه للعدل، وكراهيته للظلم والطغيان، وما تزال تلك المقالات معيناً عذباً لمحبي المعاني السامية، واللغة الراقية، والنصائح المؤثرة.

نشرت له صحيفة الإيمان ثلاثة وستين مقالاً خلال الأعوام 2009/ 2013م، وقد جمعها ولده عمر، وأعدها ونسقها لتكون كتاباً، وتتضمن موضوعات اجتماعية

وتربوية وأدبية، وأخرى متعلقة بتخصصه في علم النفس، إضافة إلى موضوعات الحياة العسكرية، وأرجو أن تجد من يتبنى طباعتها ليستفيد منها الشباب والمهتمون.

في رسالة نادرة بعثها لولده هشام يحثّه فيها على القراءة، والتعمق فيما كتبه العلماء والمفكرون، يقول:(إن أباك يحرص على أن تكون في المستقبل القريب من خيرة الرجال ديناً وخلقاً، وتجارب العظماء جديرة أن تدرس بعناية تامة، حتى تستقيم حياتنا، ونصنع الحضارة الزاهرة التي ننشدها. وإذا كان بعض الآباء يهدفون إلى سعادة أبنائهم، فيتركون لهم مالا وعقارا، ويظنون أن في المال والعقار تكمن السعادة، فأبوك بالتأكيد يختلف عنهم كلِّية.. واختلافي ينبع أساساً من تجربتي الخاصة، فقد عشتُ يتيماً فقيراً معدَماً، وعلى الرغم من هذا لم أضِعْ، ومازلت واقفاً على قدميّ.)

كان رحمه الله طموحاً مثابراً، درسنا معاً الدبلوم الخاص بكلية التربية بجامعة صنعاء عام 1985م، وقد واصل مشوار التعليم حتى نال شهادة الدكتوراه، وعلى الرغم من المواقع التي شغلها وخاصة في المجال العسكري والتوجيه المعنوي، إلا أنه كان متواضعاً زاهداً في الدنيا، يحمل هموم أمته، ويعيش لها.

صدر له كتاب علم النفس والشخصية، وكتاب الصحة النفسية، ومؤلفاته تدرس في الكليات والمعاهد العسكرية والأمنية، حصل على وسام الخدمة من رئيس الجمهورية عام 1988م، وشهادة تقدير من جامعة صنعاء وكلية التربية باعتباره أستاذاً مثاليا عام 2002م.

كان أستاذاً متميزاً في دروسه ومحاضراته، يصفه أحد طلابه الدكتور الأديب إبراهيم

أبوطالب في مقالة ضافية بعد وفاته بعنوان(المتحدث حكمة وشعراً..)، **اقتبس منها هذه الفقرات:**

وقد كان بالفعل أستاذاً مثالياً في كل شيء؛ في علمه وخلقه وعمله الإداري وحياته العامة.

تعلمتُ منه معنى الوفاء وحب العمل والإخلاص فيه، والإيمان بأن الإنسان قيمة، بل إنه مجموعة من القيم التي يمكن تطبيقها وتمثُّلها تمثلاً عملياً وسلوكاً متحقَّقاً.

رحم الله أستاذنا الدكتور الجليل أحمد الجرموزي، لقد كان أنموذجاً للمثالية في أرقى صورها، وعنواناً للإخلاص في أحسن معانيه، كم نفتقد لمثله اليومَ، وفي هذه اللحظة الحرجة التي يمرّ بها الوطن.

أيها المربي الكبير والإداري الحصيف، والوطني الغيور، والإنسان الإنسان، أخلد في نعيم لا يزول، لك منَّا الدعاء، ومن الله المغفرة والرضوان.

تحيـة:

(لمثلك

نرفع أيدينا بالدعاء

فأنت الوفاء

وأنت النقاء

تجسَّد صدقُك في كل شيء نراه

وحولك

قد أشرقت يانعاتٌ

من الحب

والأمنيات الكبار

بأخلاقك اليانعة

وذلك شأن الكبار

أتيتَ من الحاجة الدافعة

وعالجت نفسك هذَّبتها

فاستقامت على ما يكون عليه الكبار

هو الشعر ينداحُ من شفتيك انهارا

يغذِّي المسامع بالحكمة البالغة

وروحك من جانبيه تشعُّ به

بتصويرك العذب

في همّةٍ ناصعة

سلامٌ عليك

رحلت بنا في فضاء البهاء

وكنت البهاءَ

وكنت المثالَ

وكنت الضياءَ

وآفاقه الشاسعة..)

ولد الدكتور أحمد الجرموزي في زبيد محافظة الحديدة عام 1371هـ الموافق لعام 1952م، وتوفي في القاهرة بتاريخ 2013/5/6م، ودفن في مقبرة خزيمة بصنعاء، وخلف أربعة أولاد وبنتاً، رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى، وجمعنا به في جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

4

أحمد البشاري ثقافة وخُلُقٌ رفيع

(1375 - 1422هـ) (1955 - 2001م)

الدكتور أحمد بن علي بن إسحاق البشاري، شخصية جذابة، متعدد المواهب، متجدد الفكر، واسع الاطلاع، صاحب كفاءة إدارية، يتسم بالحيوية والنشاط، له قدرة على التواصل ومد جسور العلاقة، مع كل أطياف العمل السياسي والفكري.

ولد ونشأ في مدينة الزيدية بمحافظة الحديدة، حيث كان والده قد انتقل من الأهنوم إلى تهامة، مكلفاً بوظيفة حكومية، واستقر في مدينة الزيدية، وبدأ أحمد تعليمه فيها حتى أكمل المرحلة الابتدائية، ثم انتقل إلى صنعاء، ودرس فيها المرحلتين الإعدادية والثانوية، ثم التحق بجامعة صنعاء وتخرج فيها عام 1980م، وحصل منها

على بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية، ثم ابتعث إلى الولايات المتحدة الأمريكية، ودرس في جامعة (ڤاندربلت) بمدينة (ناشفيل) ولاية (تنسي)، وحصل منها على درجة الماجستير في الاقتصاد، ثم أكمل دراسته في مصر، وحصل على شهادة الدكتوراه في الاقتصاد من جامعة القاهرة عام 1989م، وقد كان متفوقاً في مراحل دراسته، وتميز في مراحل تعليمه بنسج علاقات واسعة مع زملائه الطلاب، وتقديم خدماته للزوار القادمين من اليمن للعلاج أو السياحة، أو في مهمات رسمية، يهش ويبشّ في وجوههم على اختلاف انتماءاتهم السياسية والفكرية، وظل هذا ديدنه في كل مواقعه الرسمية، وكانت معرفتي به عندما كان يدرس الدكتوراه في القاهرة.

عمل أستاذاً للاقتصاد بجامعة صنعاء، وعضواً ومقرراً لمجلس عمداء الجامعة، ثم مساعداً لنائب رئيس الجامعة للشؤون الأكاديمية، وعضواً ومقرراً لمجلس الجامعة، ودرّس في الجامعات الأهلية، وفي عدد من المعاهد والمراكز التدريبية، منها المعهد الوطني للعلوم الإدارية (المعهد القومي سابقاً).

تقلد الدكتور البشاري مناصب كثيرة منها: نائب رئيس صندوق التشجيع الزراعي والسمكي، نائب وزير الثروة السمكية، رئيس المؤسسة العامة للتأمينات الاجتماعية، رئيس الهيئة العامة للمعاشات والضمان الاجتماعي، رئيس اللجنة العليا للتعويضات، وزير شؤون المغتربين، وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء، وصدر قرار جمهوري بتعيينه سفيرًا لليمن في جمهورية مصر العربية، ولكن المنية عاجلته قبل أن يتسلم عمله الجديد رحمه الله.

تم اختياره عضوا في عدد من مجالس إدارة مؤسسات اقتصادية ومالية، منها عضو المجلس الأعلى للشؤون الاقتصادية والنفطية والاستثمار، عضو مجلس إدارة البنك اليمني للإنشاء والتعمير، عضو مجلس إدارة بنك اليمن والكويت، وعضو مجلس إدارة الشركة اليمنية الليبية القابضة.

وكان الدكتور البشاري حاضراً وفاعلاً في الوسط العلمي والثقافي، فتم اختياره عضواً في مجالس إدارة مؤسسات ثقافية كمؤسسة العفيف الثقافية، وفي الهيئات الاستشارية لعدد من المجلات والدوريات كمجلة الثقافة، ومجلة دراسات المستقبل، ونشر بحوثاً سياسية واقتصادية في المجلات المتخصصة، وكتب لعدد من الصحف والمجلات، وتم اختياره رئيسًا للجنة الوطنية لتوثيق مسيرة الثورة اليمنية والعمل الوحدوي، وراجع كتباً ودراسات لعدد من الباحثين.

أما العمل السياسي فقد كان البشاري قيادياً في المؤتمر الشعبي العام، الحزب الحاكم حينها، وعضو اللجنة السياسية للحزب، وعضو اللجنة العامة للمؤتمر الشعبي العام، وهي أعلى هيئة قيادية في الحزب، وأسس ورأس تحرير مجلة الثوابت الفصلية الصادرة باسم حزب المؤتمر، وقد جعل من المجلة دار نشر، صدر عنها سلسلة (كتاب الثوابت).

لقد فهم أحمد البشاري التعددية الحزبية تنافساً لا تقاطعاً، وتنوعاً في البرامج، لا ينبغي أن يؤدي إلى التمترس والكراهية، ولم يكن الانتماء السياسي لديه عداوة مع الآخرين، فظل دائم الصلة بكل أصدقائه، على اختلاف أطيافهم السياسية.

كان لأحمد البشاري نصيب من اسمه؛ فهو دائم البشر، كثير التبسم في وجه كل

من يلقاه، يمتاز بدماثة الخلق وحسن الحديث، يداوي ولا يجرح، يترك الأثر الحسن حيثما حل، يؤمن بأن الوطن يتسع للجميع، ولزم التواضع في حياته، حتى وهو وزير فكثيرا ما نراه يقود سيارته بنفسه، ويبتعد عن مظاهر الأبهة والتعالي على الناس.

وعرف عن أحمد البشاري الوفاء؛ فقد عمل وزيرا للدولة في حكومة الدكتور فرج بن غانم رحمهما الله؛ وبعد ان ترك رئاسة الوزراء لم تنقطع صلته به، وظل يودعه عنده سفره، ويستقبله عند عودته، في زمن عزَّ فيه الوفاء، وغلبتْ المصلحة، وكان لا ينسى أن يبعث إنتاجه الفكري لكل من يعرف، وإن كانوا خارج السلطة وبعيدين عن الأضواء.

وإذا كان بعضهم يرى أن السلطة غنيمة، ولابد أن يخرج منها بأكبر قدر من المكاسب، فإنه كان يتورع عن استخدام السلطة لأغراضه الخاصة، بل يجد حرجاً في خدمة أقربائه، ومن لطائفه أن زوجته كانت طالبة عنده في كلية التجارة، وفي احد الامتحانات لم توفق في إجابات المادة التي يدرّسها، فلم يعطها درجة النجاح، واضطرت لإعادة دراسة وامتحان المادة!

كان البشاري من الداعين لترك عادة مضغ القات، لآثاره السيئة على الفرد والأسرة والمجتمع، صحياً واقتصادياً واجتماعياً، وقد تم اختياره نائباً لرئيس جمعية مواجهة أضرار القات، وعدم مضغه للقات لم يحل دون حضوره المجالس والمناسبات الاجتماعية التي كان يحرص على المشاركة فيها.

آخر مرة التقيته، كانت في فج عطان، على الشارع العام - قبل موته بأيام - أوقف سيارته على جانب الطريق، وترجل منها مقبلاً نحوي، وقفنا دقائق، تبادلنا بعض الرؤى،

استمعت منه إلى بعض النصائح، حول ما أكتبه في صحيفة الصحوة، ثم فتح شنطة سيارته، وأخرج منها نسخة من كتابه (المالية العامة) واهداني إياها، وكذا نسخة من العدد الأخير من مجلة الثوابت، كان حينها يبدو صحيحاً قوياً، لمّا يزل في ريعان الشباب، وقمة العطاء، ولا تبدو عليه أية أعراض مرضية، لكن الموت حق، وهو النهاية المحتومة لكل بني الإنسان، وكانت تلك المرة الأخيرة التي التقيته فيها، قبل وفاته يرحمه الله.

ترك أحمد البشاري ذكرى الخلق الحسن، وثروة من الأعمال والإنتاج الفكري، مع أنه لم يعش سوى أحد عشر عاما، بعد أن حصل على شهادة الدكتوراه، وكان له كل هذا الحضور الرسمي والسياسي والاجتماعي والثقافي.

صدر للدكتور أحمد البشاري عدة كتب وبحوث منها: كتاب (المالية العامة)، و**(السياسة الاقتصادية اليمنية)**، و**(البرامج الانتخابية للأحزاب والتنظيمات السياسية في اليمن دورة 1993م)**، وكتاب آخر عن **دورة انتخابات عام 1997م**، (وهذان الكتابات صدرا بالاشتراك مع الدكتور رشاد العليمي)، وكتاب **(تقييم تجربة التعاونيات في اليمن)**، و**(دراسة وثائقية لبرامج العمل السياسية للأحزاب والتنظيمات السياسية اليمنية)**.

ولد أحمد بن علي إسحاق البشاري في مدينة الزيدية، محافظة الحديدة، بتاريخ 1955/10/9م، وتوفي بصنعاء في 2001/7/16م، ودفن بمقبرة عشة الرعدي، وخلف ولداً وبنتين رحمة الله تغشاه.

•~•~•~•~•~•~•

أحمد العليمي المربي الصارم

(1370 - 1431 هـ) (1949 - 2010م)

الدكتور أحمد بن محمد بن أحمد صالح العليمي با وزير، عَلَم من أعلام الدعوة الكبار، عالم وفقيه، وله نظرات ثاقبة في الأحداث والمتغيرات؛ يسبر أغوارها ويدرس سننها، ويقارنها بسيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومواقف الصحابة رضوان الله عليهم، يجعل منها مقياساً يزن به المستجدات، ويستلهم منها العبر والعظات.

العليمي من مواليد السوادية محافظة البيضاء، التي هاجر إليها والده بعد خلافه مع شريف بيحان، ولعلمه وشهرته عينه الإمام أحمد حميد الدين قاضياً

ومرشداً في لواء (محافظة) البيضاء، لكنه كان يفر من تحمل مسؤولية القضاء، فتفرغ للتوجيه والإرشاد، فنشأ أحمد في أسرة علمية متدينة، وبيئة اتسمت بالنشاط الفكري والسياسي، وانعكس كل ذلك على حياته وسلوكه.

بدأ العليمي تعليمه في بيحان، حتى أكمل المرحلة المتوسطة (الإعدادية)، ثم انتقل إلى المدينة المنورة، والتحق بدار الحديث، ثم درس في الجامعة الإسلامية، وبعدها استكمل دراسة الماجستير والدكتوراه في السيرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التسليم، لينتقل إلى الإمارات العربية المتحدة مدرساً في جامعتها، وقد منح جنسيتها وعاش فيها حتى وفاته رحمه الله.

كان ذكياً فطنا، يحرص على اللقاء بالعلماء وكبار الدعاة ليستفيد منهم، وقد تأثر بشيوخه الذين تتلمذ عليهم في المساجد وحلقات العلم وقاعات الدراسة، ابتداء بوالده، ومن أشهر من تعلم منهم الشيخ عبد العزيز بن باز، والشيخ سعيد حوّى، والدكتور عبد الله القادري الأهدل، والشيخ عبد القادر ميرة، والشيخ أبوبكر الجزائري، والشيخ عبد المحسن العباد، والشيخ عبد القادر شيبة الحمد، والدكتور علي جريشة، وغيرهم من العلماء الذين عاصرهم.

علامات النجابة والجدية ظهرت عليه منذ صغره، فكان مجتهداً في طلب العلم، وتميز بأنه صاحب فكر ورأي مستقل، لا يقبل الفكرة إلا بعد أن يناقش صاحبها ويقتنع بها، وهو مرتبٌ ومنظمٌ في حياته، ومنذ كان طالبا يحمل دائماً مذكرة معه، يدوّن فيها الفوائد التي يسمعها، والخواطر التي يفكر بها، والأعمال والمواعيد التي

يريد إنجازها. ويحكي عنه شيخه الدكتور عبد الله القادري الأهدل، أنه كان من الصعب إدخال كتب بعض العلماء المشهورين إلى محافظات اليمن الجنوبية، خلال تفرد الاشتراكيين بالحكم في الشطر الجنوبي من اليمن، فقد كانوا يمنعون دخول الكتب الإسلامية، التي تؤكد حقائق الإيمان، وترد على شبهات الإلحاد، فكان العليمي يقوم بنسخ بعض الكتب بقلمه في دفاتر عادية مهما كانت طويلة، ويرسلها إلى بلده مع الحجاج والمسافرين، وكان لها أثر عظيم على الشباب في تلك المحافظات، التي ضُربت عليها أسوار الانغلاق ردحاً من الزمان.

آتاه الله بسطة في العلم والجسم، وكانت له مهابة، لكنه خفيف الروح، يُشعر من يتعرف عليه بصدق المودة، وعاطفة الأخوة، فلا تفارقه إلا وقد اكتسبت منه علماً وأدباً وتجربة وخُلُقاً، يحب الانضباط في العمل والالتزام بالمواعيد، يحترم الوقت ويكره الإهمال، ولا يتساهل في جوانب التقصير، كنت أرى فيه أحد القيادات الفذّة والنادرة في أمتنا؛ والتي يعوّل عليها في حمل مشروع النهوض الحضاري الإسلامي.

عرفته أواخر سبعينيات القرن الماضي، عندما كنت أذهب للحج، فألتقيه في المدينة المنورة، أو في مكة المكرمة، حيث كان يشرف ويدير مخيماً للحجاج في منى بكفاءة عالية، وهو مخيم ليس للسكن والنوم فحسب؛ بل كان يستقدم إليه كبار العلماء والمفكرين والدعاة، ليقدموا خلاصة بحوثهم وتجاربهم في محاضرات مفيدة ونادرة.

عاش العليمي طول حياته مهموماً بالتربية والتوجيه والدعوة إلى الله، واستنهاض

الهمم لحمل المشروع الإسلامي في التبليغ والتربية والفكر والعمران، وإنقاذ أمتنا من وهدة الضعف والهوان الذي انحدرت إليه، وكان - رحمه الله - كثير التأمل والنظر في الواقع برؤى استراتيجية شاملة، تتجاوز الجزئيات، وتحلّق في آفاق رحبة، تستقصي أسباب الضعف، ولا تقف عندها، بل تدفع لتجاوزها والتغلب عليها.

كان يدرك حجم الكيد والتآمر على الإسلام ودعاته، ويقف عند الإخفاقات التي تحدث في أثناء السير، لكنه ينتقد أساليب **(التنديم والملاومة)**، ويعتبرها من صفات المنافقين الذين يزرعون اليأس والإحباط في النفوس، ولا يجعلون من عبر الماضي دافعاً لمعالجة الأخطاء، ورسم ملامح المستقبل.

وكان الدكتور العليمي يحمل روحاً تفاؤلية تبعث على التّحمُّل والصبر، وتحث على إعداد الجيل لمهام التغيير والنهوض، ويمكننا قراءة أفكاره، والتعرف على منهجه من خلال عناوين بعض كتبه، ومن تلك الكتب: (الابتلاء: مساراته فوائده طرائق مواجهته، الانضباط والطاعة وأثرهما التربوي، التثبت والتَّبَيُّن في المنهج الإسلامي، حسبنا الله قولة المؤمن في وجه الردى، غزوة أحد: غزوة البناء التربوي، مبشرات المستقبل، الوفاء قيمة إنسانية ... وغيرها).

كان أسلوب العليمي - رحمه الله - يتسم بالصراحة والصرامة وعدم المداهنة، فهو يقول ما يعتقد، وإن أغضب أحب الناس إليه، وهو صاحب حجة قوية، ونظرات ثاقبة، ورأي حصيف، لكنه لا يتعصب لرأيه إذا اتضح له صواب الرأي الآخر، أو حين يرى غالبية إخوانه وأقرانه على خلاف ما ذهب إليه، وكان يجيد الجندية كما

يحسن القيادة.

كنت أعجب لعزيمة الدكتور أحمد العليمي وشدة بأسه، وكأنه يذكّرني بصفات سيدنا عمر بن الخطاب وعبقريته - رضي الله عنه - لكنك حين تقترب منه تلمس لين الجانب، وكرم المعشر، ودماثة الخلق، والسخاء وكرم الضيافة، وكثيراً ما يتحفك بطرائفه المميزة؛ ومنها أنه زارني في منزلي بصنعاء، ودخل أحد أطفالي ليسلم عليه، فقال له مداعباً: أنا اسمي أحمد محمد العليمي وإذا سألتك مرة أخرى ولم تتذكر الاسم، فسوف أجلس فوقك! ولأنه كان بديناً ضخم الجثة طويل القامة، فقد خاف ولدي سوء العاقبة، فمازال يحفظ اسمه ويذكر مقالته!

قضى أحمد العليمي ثلث عمره في دولة الإمارات العربية المتحدة، لكنه لم ينقطع عن بلده اليمن، يزورها مرة في العام على الأقل، فيذهب إلى بيحان ليصل أرحامه، ثم يتنقل بين صنعاء وبقية المحافظات يحاضر ويعلّم ويدرّب، ولم يغب عن الساحة اليمنية في كل المنعطفات؛ يقدم الرأي والمشورة والنصيحة، ويشارك في المناشط الثقافية والتربوية خلال العطل الصيفية.

كثير من الناس يحسنون التعامل مع غيرهم في مختلف قضايا الحياة العامة والخاصة، لكنهم يفشلون إذا تعاملوا بالمال، فقد ينقلب أحدهم إلى وحش كاسر، أو ثعلب ماكر، لكن الأستاذ العليمي كان ذلك الرجل الذي لا تهتز عنده القيم والأخلاق في تعامله المالي، فهو قَصيّ وفيّ، دقيق في الحساب، لكنه متسامح، لا يقبل التحايل، غير أنه يتنازل، ويحب الجود والكرم، اشترى مرة قطعة أرض جوار بيته، وعندما

علم أن جاره كان يرغب في شراء جزء منها، ليوسع على نفسه، ولكن حالته المادية لا تمكنه من الشراء، تنازل له عن جزء من تلك الأرض دون أي مقابل، وكنت شاهداً على ذلك.

خبَرتُ الدكتور العليمي عن قرب في تعامله المالي، حيث طلب مني القيام ببناء منزله الجديد في صنعاء، وكان حريصاً على أن يكون له رأي في كل خطوات التخطيط والبناء والتشطيب، ويحب العمل الجيّد المُتقَن ويقول: (لا أحبّ الريال الناقص)، يقصد المواد الرديئة، والأعمال الرخيصة غير المتقنة، ولم يتأخر عن دفع أي التزامات مالية عليه، كما أنه إذا طلب إعادة بعض الأعمال التي لم تعجبه، فإنه لا يتلكأ في تحمل نفقاتها، وقبل أشهر من وفاته، ألَحَّ عليّ بضرورة تصفية حسابه، وكان له ما أراد، ويبدو أنه كان يُحِسُّ بدنو أجله، ويريد الاطمئنان بأن لا يترك متعلقات للآخرين في ذمته!

استطاع العليمي - رحمه الله تعالى - أن يواكب التقنية الحديثة، ويتعامل مع الحاسوب في إعداد المحاضرات، وتأليف الكتب، وتراه دائماً يصطحب معه الحاسوب المحمول حيثما يذهب، وقد ترك ثروة كبيرة من المؤلفات وقفت على بعضها، ومنها: (دروس في السيرة النبوية وعبرها - علوم القرآن أساسيات ومبادئ - علوم الحديث أساسيات ومبادئ - أصول الفقه أساسيات ومبادئ - مرويات غزوة بدر - تلاوتي: أحكامها وتطبيقاتها - طرائق النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تعليم أصحابه رضوان الله عليهم - دلالات الفقه التربوي في بعض تراجم صحيح البخاري [جزءان] - ابن تيمية محدثاً - الإمام الشوكاني محدثاً - الصنعاني وكتابه توضيح

الأفكار - ذاتية المدعوين - النصيحة ليست نقداً - الخطأ من سنة البشر - تذكرة المعلم المربي - في رحاب سورة العصر..)، وله مؤلفات بالمشاركة مع آخرين، مثل: نظام الأسرة في الإسلام، وله ثلاثة كتب مخطوطة لم تطبع وهي (تحقيق مكارم الأخلاق للخرائطي - حَجُك أحكام منظمة وخطوات مرتبة - الأسماء والصفات).

أسهم الدكتور العليمي في النهضة العلمية والتربوية بدولة الإمارات العربية المتحدة، وذلك من خلال مشاركته في تأليف الكتب المدرسية ومراجعتها، وتدريسه في كلية التربية بجامعة الإمارات، بمدينة العين، وشارك في تأليف الكتب المنهجية الجامعية، مثل كتاب أصول الفقه لطلاب جامعة الإمارات، كما عمل عميداً لمركز الانتساب الموجه التابع لجامعة الإمارات.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الباحث محمد أحمد خميس شوبان، قام بإعداد دراسة عن الدكتور أحمد العليمي وجهوده في الفكر والدعوة، ونال بها درجة الماجستير من قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية بجامعة عدن.

ظلّ أحمد العليمي متمتعاً بالحيوية والنشاط، ولا تظهر عليه علامات المرض، ولم تتدهور صحته إلا في أواخر حياته؛ فابتلي بأمراض السكر والقلب وضغط الدم، وسافر إلى تايلاند للعلاج، وعاد إلى الإمارات، لكن حالته الصحية ساءت، فنقل بطائرة خاصة إلى ألمانيا، وأجريت له عملية القلب المفتوح، فلم يتماثل للشفاء، فوافاه الأجل المحتوم، وانتقل إلى جوار ربه، وأعيد جثمانه إلى الإمارات العربية المتحدة - وبحسب وصيته - دفن في مدينة أبوظبي، وشيّعه جمع غفير من

محبيه، وفي التّشييع ألقى مفتي إمارة دبي كلمة مؤثرة، ذكر فيها مناقب الفقيد، كما ألقى إمام المسجد الكبير في رأس الخيمة كلمة، دعا فيها للتأسي بصفات العليمي رحمه الله.

أحمد محمد العليمي باوزير من مواليد عام 1370 هجرية، 1949 ميلادية، وتوفي بتاريخ 1431/6/15 هـ الموافق 2010/5/28 م، وخلف ستة أولاد ذكور، رحمه الله وكتب الله أجره، ورفع قدره في عليين.

•~•~•~•~•~•~•

أحمد الصبري كفاح وجَلَدٌ حتى الممات

(1372 - 1420هـ) (1953 - 1999م)

الأستاذ أحمد محمد قائد الصبري مثال للكفاح والصبر والمثابرة، من طفولته حتى وفاته، قضى عمره داعية مؤثراً، ومربياً فاضلاً، وخطيباً مفوهاً، يعشق العربية الفصحى ويتحدث بها.

كان أحد أعلام التربية والتعليم؛ مدرساً وموجهاً ومؤلفاً، تعرفت عليه في مدينة تعز عام 1968م في بداية شبابه، كتلة من النشاط والحيوية والحماس، كجذوة نار لا تخبو، فكان قوياً بإيمانه، مقتنعاً بالإسلام منهجاً ونظاما شاملاً للحياة، معتزاً بالحضارة والعمران الذي صنعه المسلمون.

في ذلك الوقت كان المد الشيوعي في أوْج قوته، والهزيمة النفسية تفتك بالكثير من شباب جيله، لكنه بجسمه النحيل، وعزيمته القوية، ظل يحمل هم أمته التي أوهنتها الخطوب، وتكالب عليها الخصوم، وكان مثالا للاستقامة والالتزام، وجعل هدفه بيان رسالة الإسلام الصافية، ودعوة الشباب للتحلي بأخلاق الإسلام وآدابه، يصدق عليه قول المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم: (إن الله تعالى ليعجب من الشاب ليس له صبوة!)

ولد أحمد الصبري عام 1953م، في قرية متاع، عزلة أدود، مديرية صبر الموادم، محافظة تعز، وفي ظروف صعبة، ومجتمع يعاني من شظف العيش، وانعدام الخدمات العامة، ونشأ في أسرة مكافحة، رزقُها من كدّ يدها؛ والده مزارع ويعمل في خياطة الملابس، ولمّا كان أحمد بِكرَ أبيه، فقد أراد والده أن يجعل منه خليفته، الذي سيعتمد عليه لمساعدته في حمل أعباء الحياة، وما إن استقام عوده، حتى دربه على أعمال الحرث والحصد، وحراسة الزرع القليل الذي يملكه، وكان يكلفه بالذهاب إلى سوق الضباب، لإحضار متطلبات البيت ولوازم الخياطة، وعليه أن يقطع مسافة طويلة على قدميه؛ فلا سيارات ولا طرق معبدة، وإنما طرق للمشاة والدواب، وغير آمنة، فيضطر أن يحمل معه طماشاً (نوع من الألعاب النارية)، يفجره في وجوه الوحوش أو القرود، ليدافع عن نفسه إذا هاجمته، وقد ينزل عليه المطر عند ذهابه أو إيابه!

هكذا كان قدر الطفل أن ينشأ كبيراً في صغره، وأما التعليم المتاح، فعند فقيه القرية الذي يعلم القرآن، ومبادئ القراءة والكتابة، وكان الولد طائعاً لأبيه الذي رباه على الخشونة والعزيمة والعمل الشاق، انتظر أحمد حتى كبر إخوته الأصغر منه، ورأى

أنهم سوف يقومون بالواجب مع والده، فعزم على الذهاب إلى مدينة تعز، ليلتحق بالمدارس الحكومية، وقد عارضه والده، وحاول منعه من النزول إلى المدينة، لكن عزيمته ورؤيته لأهمية التعليم، جعلاه يمضي لتحقيق هدفه؛ فاتخذ القرار الصعب، وكأنما يسير نحو المجهول، فأين سيسكن؟ ومن سينفق عليه؟ ومن سيرعاه؟

كان ذلك بعد قيام ثورة سبتمبر 1962م التي فتحت المدارس لجميع اليمنيين، وخصصت الحكومة مبنى لسكن الطلاب القادمين من الريف، ووفرت لهم التغذية والرعاية، فوجد أحمد ضالته، والتحق بالقسم الداخلي، ومضى يبذل الجهد ليلتهم العلوم، ويكتسب المعارف.

كان (القسم الداخلي بتعز) فضاءً مفتوحاً، وحقلاً خصباً للصراع والاستقطاب الفكري والسياسي، وصار هذا تحدياً جديداً يواجهه الغلام القادم من الريف، والبعيد عن أسرته، فيمّم وجهه نحو المساجد، وتعلق قلبه بها، وفيها التقى الدعاة والعلماء، ووجد راحة نفسه في هذا الوسط، الذي يكمل ما يحتاجه خارج المدرسة، تتلمذ في حلقات المساجد على مشاهير علماء تعز، مثل الشيخ عبدالرحمن قحطان، والشيخ عمر أحمد سيف، والشيخ عبدالملك داود، والأستاذ العزي علي شملان السماوي، وغيرهم، وارتبط بالمركز الإسلامي الذي كان يشرف عليه الأستاذ عبده محمد المخلافي، وتتلمذ على يده، وتأثر به، وقد اجتهد بتعلم اللغة العربية والعلوم الشرعية، وكان يكثر السؤال عن دقائق وتفاصيل الأحكام والمسائل المتعلقة بتلك العلوم والمعارف.

لم تمضِ فترة طويلة حتى توسعت مدارك أحمد الصبري، وصار خطيباً مفوهاً،

وداعية ينشط بين الشباب؛ ينشر الفكر الإسلامي، ويفند الشبهات التي تشكك في العقيدة والشريعة، أو تطعن في السيرة النبوية، كل ذلك مع انتظام دراسته في التعليم العام.

أكمل الثانوية العامة، لكنه أصيب بشلل نصفي، جعله عاجزاً عن الوقوف، وصار يمشي على أربع، ربما كان ذلك بسبب المعاناة التي عاشها، ولحركته الدائبة مع قلة النوم، فسافر إلى مصر للعلاج، وهيأ الله له شباباً من الطلاب اليمنيين الدارسين في مصر، أكرموه واهتموا بعلاجه في المستشفيات، وبالعلاج الطبيعي كالاستحمام بالمياه المعدنية الدافئة الغنية بالكبريت في عين حلوان، وغمْرِ جسمه في الرمال الحارة في منطقة الأهرام، والمساج المتواصل، وخلال مرضه ظل على سجيته متحلياً بالصبر والرضا والبشاشة، وكان نهماً للقراءة يلتهم الكتب، ويحب أن يناقش من معه حول ما حوته من مفهومات ومعان، ولم تمنعه حالته المرضية من استمرار التواصل مع محبيه وزملائه في تعز وصنعاء، فكان يكتب عشرات الرسائل، يطمئنهم على أحواله، ويحثهم على مواصلة الدعوة إلى الله، والاستمرار في أعمال البر. وبعد عامين من العلاج، وبينما كانت حالته شبه ميؤوس منها، منَّ الله عليه وأكرمه بالشفاء، وكأنما نشط من عقال، فأصبح يقف ويمشي، واشترى دراجة هوائية كان يستخدمها في تنقلاته في أحياء ومناطق القاهرة المختلفة، وسبحان الله القادر على كل شيء.

عاد إلى تعز، ثم حصل على منحة للدراسة في المملكة العربية السعودية، والتحق بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ودرس في كلية اللغة العربية، التخصص الذي كان يهواه، وقبل أن يكمل الدراسة الجامعية، اشتدت عليه آلام الكلى، فعمل على تحويل

منحته إلى جمهورية مصر العربية، ليجمع بين العلاج والدراسة، وتحقق له ذلك، فسافر إلى القاهرة، والتحق بكلية اللغة العربية في الأزهر الشريف، حتى تخرج فيها عام 1980م، ثم حصل لاحقاً على دبلوم عام من كلية التربية بجامعة صنعاء.

بدأت حياته الوظيفية في صنعاء، فالتحق بسلك التربية والتعليم مدرساً لمادة اللغة العربية في مدرسة عمر المختار الثانوية، ولتميّزه واجتهاده رقّي إلى درجة موجه مادة اللغة العربية، وبعد فترة تم تعيينه نائباً لرئيس شعبة التوجيه بديوان وزارة التربية والتعليم، ثم عُيِّن رئيسًا للشعبة، وقد كان مثالاً في الأداء والانضباط وحسن الإدارة، ومتابعة كل ما يتعلق بالتوجيه، يطلع على جميع التقارير التي ترفع إليه من الميدان، ويجيد إدارة وتوجيه العاملين معه، ويحرص على المطالبة بحقوقهم، كما يحسن التعامل مع مرؤوسيه من دون تزلف ولا مجاملة.

وفي مجال المناهج المدرسية، أسهم مع متخصصين وأساتذة جامعيين، في تأليف كتب النحو والقراءة والنصوص لمختلف المراحل الدراسية، وكذا قصص أبطال الإسلام كخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، وله بحوث ودراسات منها كتاب عن التعليم لم يطبع، بالاشتراك مع الأستاذ المصري سمير أمين مجر.

كلف لعدة سنوات رئيسا للجان تصحيح مادة اللغة العربية في الثانوية العامة، وكان دؤوباً في المطالبة بحقوق العاملين معه، وتحسين ظروف عملهم، وعمل عضواً في المطبعة السرية التي تقوم بطباعة أسئلة الشهادات العامة.

كان يحب إتقان العمل الذي يكلف به، ويأخذ المهمة التي توكل إليه بهمة عالية، ولا

يدع شاردة ولا واردة إلا أعطاها ما تستحق من الاهتمام.

شكلت وزارة التربية لجنة لاختيار مدرسي القرآن الكريم، وتحديد مستوى المتقدمين لتدريس هذه المادة، وتم تعيينه رئيسًا لهذه اللجنة فبذل مع زملائه أعضاء اللجنة جهدًا كبيراً في المقابلات والاختبارات الشفهية والتحريرية، وكانت شدته وحرصه على عدم منح الشهادة إلا لمن يستحقها مثار سخط وغضب كثير من أصدقائه، وبعض مسؤولي الوزارة، لكنه مضى على طبيعته يحرص على أداء الأمانة التي تحمّلها، ولا يجامل أقرب الناس إليه.

كان رحمه الله صلب المراس، قوي الشكيمة، يحب الصراحة والوضوح، ويكره المداهنة والتزلف، يوضح فكرته بالحوار، ولديه عزيمة ودأَب ولا يصاب بالكلل أو الملل، عود نفسه على قول كلمة الحق، ولا يهمه رضا المستمع أو غضبه، معتز بنفسه، ومقتنع أن قيمة المرء بقِيَمه وأخلاقه وعلمه، لا بماله وحسبه وجاهه.

كان مولعًا بخدمة الناس، والسعي في قضاء حوائجهم، يتحسس من حوله من الأسر الفقيرة المتعففة، فيعطيهم من القليل الذي لديه، أو يسعى لهم عند أهل البر والإحسان، يتودد إلى كبار السن، ويحب الأطفال الصغار، ويجلس معهم ويتاحفهم، وإن كان لا يعرفهم، كريمٌ يسعد بالضيف، ويقدم له ما يجد في بيته، بل يحرص أن يطعم ضيوفه بيده، وكانت له سيارة عتيقة، لكنه لا يبخل بها عن توصيل جيرانه وزملائه في العمل، وقد غادر الدنيا خفيفاً من أثقالها، لم يترك سوى بيت متواضع يؤوي أسرته، مع ديونٍ فرضتها الضروريات لا الكماليات.

ومن صفات أحمد الصبري، أنه كان يتفاعل مع الذين لا يلتفت إليهم الناس؛ فيساعد طلاباً يدرسون في الجامعة، ولا يجدون من ينفق عليهم، ولم يتبين ذلك إلا بعد وفاته فيذكرون - وقد صاروا أعلاماً في المجتمع - بأنه كان يدعمهم، أو يبحث لهم عن من يقف معهم، ويرسل إليهم المساعدة في البلد التي كانوا يدرسون فيها، ومن إحسانه أن أحد زملائه بعد تخرجه من الجامعة عمل الإجراءات الأولية للالتحاق بالوظيفة في صنعاء، ثم غادر إلى تعز وتسلم عمله، لكن راتبه لم ينزل في كشوف الرواتب، وكلما سأل يقال له: سينزل الراتب في الشهر القادم، حتى قارب العام الدراسي على الانتهاء، لكنه فوجئ بصاحب دكان الحي يدعوه، ويسلمه مظروفا يحوي رواتبه عن الأشهر السابقة،

وتبين له بعد ذلك، أن الأستاذ أحمد الصبري، هو الذي وضع له ذلك المظروف، بعد أن قام من ذات نفسه، بالمتابعة في صنعاء، واستخراج مستحقاته، ولأنه كان على سفر، فقد ترك له تلك الأمانة في عند صاحب الدكان، ورفض أن يأخذ أي مبلغ أنفقه في سبيل ذلك، ولا حتى أجور المواصلات!

كان شديد التعلق بأسرته وأولاده، يمضي وقتاً طويلاً في الجلوس معهم وتعليمهم وتربيتهم، والترفيه عليهم، ومات عنهم صغاراً، إلا إنهم وبرعاية أمهم، أكملوا تعليمهم، وشقوا طريقهم في الحياة، ومضوا صالحين على طريق أبيهم.

عاش الصبري عفيفاً مكافحاً، جلْداً يتحمل الصعاب، يصبر من دون شكوى، وظل على سجيته حامداً لله وشاكراً، حريصاً على فعل الخير، حتى إنه قبل مرضه كان قد وعد أحد جيرانه أنه سيرسل أولاده ليساعدوه في النقل، عندما ينتهي من بناء بيته، وعند مرضه بدأ جاره بنقل الأثاث، فكلف أحد أبنائه أن يذهب لمساعدته، فتردد الولد، وهو يرى والده في حالة مرضية صعبة، لكنه عزم عليه أن يذهب، فاستجاب الولد، غير أن الجار قدر ظروف المرض، وقال له قد أوفيت بوعد أبيك، وطلب منه العودة إلى البيت، فلم يصل إلا ووالده في حالة الاحتضار!

داهم الأستاذ أحمد الصبري فيروس الكبد، وربما أثرت عليه أحبار آلات التصوير، والأبخرة المتصاعدة منها في أثناء عمله في المطبعة السرية، عند طباعة أسئلة الشهادات العامة، ولم يمضِ على مرضه سوى أسابيع معدودة، حتى توفاه الله تعالى وهو في الأربعينيات من عمره، ولمّا يزل في قمة العطاء.

ولد الأستاذ أحمد محمد قايد الصبري بتاريخ 1953/3/3م بمحافظة تعز، وتوفي بمدينة صنعاء بتاريخ 1999/7/23م، وخلف خمسة أولاد وأربع بنات، ودفن في مقبرة عشة الرعدي، رحمه الله وأسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

أحمد العماد مجدٌ وتواضع

(1361 - 1427هـ) (1942 - 2006م)

أحمد بن يحيي حسن العماد، سياسي حصيف، وإداريٌّ كفؤ، وقائد عسكري محنك، فقيه غير متعصب، عابد بعيد عن الأعين، شاعر وأديب، صاحب رأي وحكمة، من الرجال الأقوياء العقلاء، كان يفرض احترامه بتواضعه الجمّ، وحسن تعامله، وإنزاله الناس منازلهم.

عاصر أحمد العماد أحداثاً جساماً؛ كان في أتونها حاضرا ومؤثراً، ومع مكانته الرسمية والسياسية، فقد ظل سهلاً قريباً، باسماً وهادئاً، ينفر من مظاهر التباهي والانتفاش الخادع، تراه يقطع الشوارع على قدميه منفرداً، من دون حراس ولا مرافقين

- كما كانت عادة مسؤولي الدولة في زمانه - ولا يتردد في خدمة من يأتيه، ولا يبخل بجاهه لنصرة مظلوم، ومساعدة مكلوم، أو إغاثة ملهوف.

ولد أحمد العماد ونشأ في قرية الصبار مديرية الرضمة بمحافظة إب، وفيها تعلم القرآن وأساسيات القراءة والكتابة، ولعدم وجود مدارس في وقته، إلا في المدن الكبيرة مثل صنعاء وذمار وجبلة وزبيد ونظيراتها، فقد انتقل إلى صنعاء، وأكمل تعليمه في المدرسة العلمية، أشهر مؤسسة تعليمية حينها، وتخرج فيها عام 1961م.

الطموح عند أحمد العماد دفعه للالتحاق بالكلية الحربية، وحصل فيها على بكالوريوس العلوم العسكرية عام 1965م، وأصبح ضابطاً في الحرس الوطني، وشارك في معارك الدفاع عن النظام الجمهوري، وكان قائداً في جبهة بني حشيش القريبة من العاصمة، وله فيها مواقف وقصص ذكر طَرَفاً منها في وصيته.

شغل أحمد العماد وظائف وأعمالاً متعددة: عسكرية ومدنية وسياسية، وبرز قيادياً فاعلاً في كل المناصب التي تبوأها؛ فقد تولى قيادة منطقة يريم عام 1969م، ونائباً لإدارة التوجيه المعنوي للقوات المسلحة عام 1973م، ثم عمل مديرًا لمكتب رئيس هيئة الأركان العامة عام 1974م، وعين مديراً لمكتب القائد العام رئيس الجمهورية (1975 - 1978م)، وكان محل ثقة ثلاثة رؤساء: إبراهيم الحمدي، وأحمد الغشمي، وعلي عبد الله صالح.

وفي المجال الإداري والبرلماني، عين عضوًا في مجلس الشعب التأسيسي عام 1978م، ثم محافظاً لمحافظة صنعاء عام 1980م، وتم اختياره عضواً في اللجنة العليا

للتصحيح، ثم عضوا في لجنة الحوار الوطني عام 1980م، فعضوا في لجنة صياغة الميثاق الوطني عام 1981م، وتم تعيينه عضواً في مجلس الشورى عام 2001م إلى حين وفاته يرحمه الله.

وفي مجال العمل السياسي، كان العماد من مؤسسي المؤتمر الشعبي العام الحزب الحاكم وقتذاك، وعمل مساعداً لأمين سر اللجنة الدائمة، وعضو اللجنة العامة، أعلى هيئة قيادية في الحزب، وفي المؤتمرات العامة للحزب تم اختياره - في ثلاث دورات – مسؤولاً عن الرقابة التنظيمية، وشارك في مؤتمرات إقليمية ودولية، رسمية وحزبية، وحمل رسائل لرئيس الجمهورية إلى عدد من رؤساء الدول.

لأحمد العماد فلسفة في الحياة؛ فكان يؤمن بأن الفرد لا بد أن تكون له مشاركة سياسية في الحياة العامة، حتى لا يبدو أنانياً، يدور حول نفسه؛ إذ يجب أن يعيش هموم شعبه وأمته، ويكون له طموح لإثبات وجوده، وخدمة بلاده، وبناء وطنه، على ألا يقوده ذلك إلى التعصب والتبعية العمياء، التي تدمر الأوطان، وتمزق النسيج الاجتماعي، ومع حرصه على تربية أولاده على الاستقامة والخلق الحسن؛ فقد شجعهم على حرية التفكير، والاستقلال بالرأي، والاعتزاز بالنفس.

لم يكن العماد منغلقاً، ولا متعصباً لحزبه؛ فلم يجعل من موقعه في الحزب الحاكم متراساً للعداوة والقطيعة مع الآخرين، بل ظل منفتحاً على الجميع، ولم تنقطع صلته بالشخصيات السياسية والعلمية والاجتماعية، يزور الكبير ويجلس مع النظير، ولا يحتقر الصغير، ويرعى لأهل الفضل فضلهم، ولا يتحرج من القيام بزيارة لأي شخصية

في حزب معارض، وإن لم تكن ممن يرجى خيره، أو يُخشى شره، وكنت ممن يشملهم بلطف تعامله، يتاحفني كلما التقينا - وأنا في مقام أخيه الصغير - ويبتدرني بالسؤال: كيف السيناتور!؟

كان أحمد العماد ذكيا، سريع البديهة، صاحب إجابات مسكتة، ونكات سياسية لاذعة، لكنها تحمل النصيحة الصادقة، وعلى الرغم من صراحته فقد كانت محل قبول وتقدير لأنها تأتي من محب وحريص، وفي الاجتماعات واللقاءات العامة برئيس الجمهورية، كان يعلق على الأحداث بجملة مؤثرة أو طرفة معبرة، تتضمن النقد للمواقف أو الأشخاص، بمن فيهم الرئيس نفسه!

أحمد العماد ولدٌ بارٌ بوالديه وإخوته، ورب أسرة رحيم بأهله وأقاربه، يتمثل

أخلاق الإسلام في تعامله مع الناس، يكرم المحتاج من مرؤوسيه، ويحسن إلى جيرانه، يحكي أحد المستأجرين منه أنه مكث سبع سنوات في بيته، فلم يرفع عليه الإيجار، حتى استحى منه، واستأذنه أن يرفع الإيجار في العامين الأخيرين، ولم يقبل إلا بعد إلحاح شديد من المستأجر، وكان يحب صدقة السر التي تحدث عنها بعد موته من كان يتعهدهم في حياته.

جوانب خفية في حياة أحمد العماد لا يعلمها إلا المقربون من أسرته، فقد كان يكثر من صيام التطوع على مدار العام، وكان قلبه معلقاً بالمسجد وله زاوية يخلو فيها مع الله بعيداً عن الأعين، ولا تفوته صلاة الجماعة التي يأتي إليها قبل الأذان بوقت كافٍ، وكان يخصص يوم الجمعة لأرحامه يذهب لزيارتهن والاطمئنان على أحوالهن.

كان العماد مرتباً ومنظماً في حياته، يقوم بواجباته الأسرية والاجتماعية، فلا يكاد يتخلف عن دعوة عرس أو مناسبة عزاء، وترتيباً لحياة ورثته من بعده، قام بتقسيم تركته، فعرف كل منهم ما يخصه وهو على قيد الحياة، واستعداداً للرحيل من الدنيا فقد ظل يجدد كتابة وصيته بين فترة وأخرى، وبعد وفاة أمه حفر له قبراً في (مقبرة خزيمة) جوار قبرها، وجهز شاهد الرخام الذي سيوضع على قبره، وكتب عليه اسمه وتاريخ ميلاده، وترك فراغاً لتاريخ الوفاة، وجعل تلك اللوحة الرخامية في غرفة نومه؛ ليشاهدها ويتذكر الموت، كلما دخل أو خرج، أو أوى إلى فراشه، وكتب عليها من شعره هذه الأبيات:

أنا في حياتي ها هنا اخترت قبري والمآب

بجـوار أمي مـن لها بري إلى بطن التراب

فعسى يخفـف قربها عن ابنها هول الحساب

يا من على الدنيا ادعُ لي بعفـو ربي والثواب

و اقرأ على روحي مع الإ خلاص فـاتحة الكتاب

أما وصيته الأخيرة، التي كتبها قبل أحد عشر عاما من وفاته، ناسخاً لما قبلها من الوصايا، فالمنشور المتداول منها، يبين أنها من أكمل وأجمل وأعجب الوصايا: نصٌّ أدبيّ منثور، وخلاصة في التوحيد وصفاء العقيدة، وشرح لأركان الإيمان، وبيان لأركان الإسلام، وثقة برحمة الله وعدله وفضله، ورجاء ما عنده، وخلاصة فقهية لأحكام المواريث والوصايا، ودرس في تربية الأبناء، وموعظة بليغة للأحياء، وتفصيل للأمانات، وتبرئة للذمة من حقوق الناس، وتأكيد على كراهيته للخلاف، وبعده عن التعصب، **ومما جاء فيها:**

(..إذا أقيم درس سورة (يس) ثلاث ليال إلى روحي، بعد مواراتي في قبري، فإني أوصي أن يقام الدرس في مسجد، لا يسبب أداء الدرس فيه خلافاً أو فتنة؛ فترك المحظور، واجتناب المنكر، أولى و أفضل من عمل ما هو مباح، بل ومن أداء ما قد يكون مسنوناً أو مندوباً، ودرء المفاسد مقدم على جلب المصالح).

واللافت في الوصية أنه ذكر متعلقات قديمة لأشخاص، عندما كان قائداً في جبهة بني حشيش، قبل أكثر من ثلاثين سنة، فذكر منها:

• بندقية كندة، أخذناها على رجل قال انه من الشَّرفَة، حينما وجدناه بالقرب من قرية المَلَكَة، ونحن في طريقنا من بني حشيش إلى صنعاء، وهو يحاول قتل أحد الجنود من الإخوة المصريين عام 1966م، فألقينا عليه القبض، وسلمناه إلى وزارة الداخلية، وصادرنا عليه البندقية، ثم بِعتها فيما بعد بثلاثمائة ريال، وقدرت قيمتها عام 1982م بألف ريال..

• سبعة شوالات حبوب قمح، وجدناها محمولة على سبعة حمير، وهي متوجهة بها في الطريق المؤدية إلى الجانب الملكي، والقرى المسيطِر عليها، فصادرناها على أصحابها، ثم كان بيعها بما لا يزيد على مائتي ريال، وقدرت ثمنها في عام 1979م – 1982م بمبلغ ستمائة ريال).

ولما كان أصحاب هذه الحقوق غير معروفين، فقد تصدق باسم ونية أصحابها للمحتاجين والمعسرين، وبأكثر من الثمن المقدر، وكرر ذلك لأكثر من عام، راجياً من الله تعالى قبولها منه، ومن ذوي الحق فيها!

وقد أسند تنفيذ وصيته لولده الأكبر الدكتور عادل، وجعل معه مشرفاً يساعده، ولبيان رحابة أفقه، وعدم تزمته قال:

(لو اخترت للوصية أم الأولاد، لم أكن بسبب أنها أنثى، مخالفًا للشريعة الغراء، فقد أوصى عمر الفاروق رضي الله عنه إلى ابنته حفصة، ولم يُنكر عليه..)، وأوصاها بالتعاون مع الوصي والمشرف، لإلمامها الشامل، ومعرفتها الدقيقة بالمتروك من جميع جوانبه.

ثم ذكر توزيع وتصنيف مكونات الوصية ومحتوياتها، وتقسيمها بحسب أنواعها ومجالاتها، إلى أقسام أساسية ورئيسة.. إلى آخره.

لقد وضعَنا أحمد العماد - رحمه الله – في وصيته، التي تدل على الإيمان واليقين والثبات أمام حالة فريدة، وأسوة حسنة، لا يوفق لمثلها إلا القليل، (الوصية منشورة على الشبكة العنكبوتية).

ومن علامات التوفيق وحسن الختام لأحمد العماد، أنه ترك العمل التنفيذي بما يواكبه من دخن وظلم مقصود، أو غير مقصود، فاستقال من عمله في محافظة صنعاء قبل وفاته بعشرين عاماً، وظل في هيئة الرقابة التنظيمية والتفتيش المالي للمؤتمر الشعبي العام، ليقدم التقرير الأخير إلى المؤتمر العام السابع، حاملاً النقد الصريح، والنصح الصادق، مودعاً العمل السياسي، ويبدأ رحلة المرض والمعاناة، التي تقبلها بصبر المؤمن، إلى أن لقي ربه جل جلاله.

ولد أحمد العماد في محافظة إب بتاريخ 1361/3/19هـ الموافق 1942/4/5م، وتوفي بمدينة صنعاء بتاريخ 1427/11/19هـ، الموافق 2006/12/10م، وخلف ثلاثة أولاد وبنتاً، ودفن في مقبرة خزيمة، رحمه الله وتقبله في الصالحين.

•~•~•~•~•~•~•

إشفاق عبد الرزاق راحلة الخير

(1382 - 1427هـ) (1963 - 2007م)

الأستاذ إشفاق بن محمد بن عبد الرزاق بن عبد المجيد، المهندس المتقن، والمعلم الكفؤ، والمربي القدوة، والخدوم الناصح، ورجل الدولة المخلص، والسياسي الصادق، والبرلماني الشجاع، حافظ القرآن، وإمام المحراب، العابد الذاكر، وراحلة الخير والإحسان، صاحب الطلعة البهية، والروح الآسرة، لا تملك إلا أن تحبه بمجرد أن تتعرف عليه، حديثه ثري، وهمسه نديّ، والجلوس معه يذكّر بالآخرة، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً.

من مواليد كريتر محافظة عدن عام 1963م، نشأ في أسرة عدنية صالحة معروفة

بالعلم والثقافة، وقد اعتنى والداه بتربيته وتعليمه، بدأ دراسته بمدرسة سيف بن ذي يزن، وبعد أن أكمل التعليم الأساسي، التحق بالمعهد التقني الصناعي بالمعلا، وكان لا يقبل في المعهد إلا الطلاب الأذكياء والمتميزون، فتخصص في هندسة الكهرباء، وتخرج من المعهد مهندساً بعد أن أكمل خمس سنوات من الدراسة العلمية والتطبيقية.

علامات النجابة والنبوغ ظهرت على إشفاق منذ بدايات نشأته، فكان من أوائل الطلاب المتفوقين، وحفظ القرآن في صغره، ودرس الفقه واللغة وعلوم القرآن والحديث والسيرة، وتتلمذ على عدد من العلماء، منهم الشيخ سعد مصطفى القصاص المصري، والشيخ فاروق بن علي بن أحمد الشريف، والشيخ أنور فرعي، والشيخ أمين سعيد عوض باوزير، وقد استمر في طلب العلم الشرعي عند علماء حضرموت، الذين التصق بهم وداوم على حضور دروسهم في أثناء عمله هناك.

بدأ حياته العملية مهندساً في محطة كهرباء المنصورة بمحافظة عدن، ثم كلف بالانتقال إلى مديرية الشحر بمحافظة حضرموت، لتأسيس محطة الكهرباء، وقام بتدريب العمال على تشغيلها، وحقق نجاحاً باهراً، ثم عين مديراً لتشغيل المصاعد بوزارة الصناعة بعدن، وقد نال عدداً من شهادات التقدير، لإتقانه عمله الهندسي في مختلف المواقع التي شغلها.

التحق بالخدمة العسكرية بسلاح المدفعية الساحلية لمدة سنتين، فكان مثالاً في الالتزام والجدية، وتنفيذ الواجبات العسكرية، مع حسن الخلق والتعامل الراقي مع رؤسائه وزملائه، الذين كسب ودهم واحترامهم.

حبُّ القرآن الكريم والتعلق به، والمداومة على تلاوته، والمثابرة في تعليمه، كانت صفة لصيقة بإشفاق في حياته حتى وفاته، وقد عمل على افتتاح عدد من حلقات تعليم القرآن الكريم في مساجد مدينة عدن، والتي تخرج منها مئات الحفاظ، وكان أول من أسس حلقات لتعليم القرآن الكريم للفتيات في منطقة الخساف بعدن.

عمل موجهاً للحلقات القرآنية النموذجية، وكان محبوباً من الطلاب والمدرسين الذين يبتهجون بزياراته، لأنه يرتقي بهم ويحسن توجيههم، ولا يتقصد البحث عن أخطائهم، أو تتبع تقصيرهم، وكان يرأس لجان التحكيم في مسابقات القرآن الكريم التي تقام بين أوائل الحفاظ، وفي احتفالات تكريم الحفاظ كان يجلس القرفصاء في الصف الأول، يسعد ويستمتع برؤية الشباب، وهم يرتلون آي الذكر الحكيم.

صار إشفاق يتناوب مع أبيه إمامة مسجد المحمدي وخطابته، وتأدباً مع أبيه، فقد كان لا يتقدم في حضور والده، إلا إذا ألح وأصرّ عليه، وقد أسس مدرسة لتعليم القرآن في المسجد، وظل قلبه معلقاً به، يقضي فيه وقتاً طويلاً للتدريس أو التلاوة ومراجعة الحفظ، وبعد الفجر يظل في مصلاه حتى يصلي الضحى، ولم يقتصر نشاطه على مسجده، بل كان يتنقل في مساجد عدن ولحج للخطابة، وإلقاء الدروس والمحاضرات.

فعل الخير ومساعدة المحتاجين وكفالة الأيتام، جزء من الحياة اليومية للأستاذ إشفاق، يتفقد الفقراء والمساكين، ولا يرد سائلاً، وكان كريماً مع زملائه، يتحسس حاجاتهم، ويبادر لمساعدتهم، ولا ينتظرهم حتى يطلبوا منه ذلك، ويعتبر ذلك من واجباته، وكان من رواد العمل الخيري؛ فهو من مؤسسي جمعية الإصلاح الاجتماعي

الخيرية في عدن، وكذا الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم.

من صفاته التي عرف بها التواضع ودماثة الخلق، يكرم الضيف بما لديه، ويحسن إلى القريب والبعيد، قريب من الناس، يفتح لهم قلبه، فيعرضون عليه مشكلاتهم، ويستشيرونه في قضاياهم الخاصة، يتحرى الصدق حتى في مزاحه ومداعباته، يحسن الظن، ولا يحب الاستماع إلى من يغتاب الآخرين، بل يسارع للبحث عن عذر لمن يذكر عنده بسوء، يسعى لنشر المحبة والوئام، ورأس لجنة لإصلاح ذات البين، وحل المشكلات بين المواطنين، باعتبار أن هذا من أفضل القربات عند الله.

ابتلي إشفاق في ريعان شبابه بمرض الكبد البائي، واشتد عليه المرض حتى أقعده في البيت، فأسعف محمولاً إلى جمهورية مصر العربية، وتحسنت حالته بعد أن تم استئصال جزء من الكبد، ثم عاد إلى عدن، ومارس حياته، واستمر نشاطه التعليمي والدعوي، ثم انتكست حالته الصحية، فأسعف مرة أخرى إلى مصر، لكنه لم يُشفَ تماماً من مرضه، وفي شهر رمضان المبارك ذهب لأداء العمرة، وأكثر الدعاء والابتهال إلى الله، وشرب وتضلّع من ماء زمزم، وبعد عودته ذهب للطبيب فكشف عليه وعمل له فحوصاً مخبرية، وكانت المفاجأة أنه قد برئ تماماً من مرضه، ولم تعد لديه أي أثار أو أعراض، فكان ذلك من فضل الله عليه.

كسب إشفاق حب الناس وتقديرهم، وفي انتخابات مجلس النواب عام (2003م) نال ثقة الناخبين في دائرته الانتخابية بعدن وأصبح عضواً في البرلمان، وكان خير من يمثل مواطنيه، ويتبنى قضاياهم الخاصة والعامة، كما قام بواجباته الدستورية تحت

قبة البرلمان، ومن خلال عضويته في لجنة الخدمات في المجلس، ويتذكر أعضاء مجلس النواب في تلك الفترة، وقفته القوية والجريئة، ومساءلته لوزيري الدفاع والداخلية، في قضايا تتعلق بالدفاع والأمن والإسكان في محافظة عدن، ولم تتغير حياته في عدن أو صنعاء بعد دخوله مجلس النواب، فظل ذلك الماجد الكريم المتواضع، يعيش مع عامة الناس، ويسعد بخدمتهم.

كان إشفاق دائم التواصل مع أبناء دائرته، ولا تنقطع رسائله الهاتفية عمن يعرف من أحبابه وأصدقائه، وهذه آخر رسالة بعث فيها يوم وقع له الحادث: (بسم الله على أنفسنا، ومالنا، وديننا. اللهم أرضنا بقضائك، وبارك لنا فيما قدرت، حتى لا نحب تعجيل ما أخرت، ولا تأخير ما عجلت).

وفي العام الذي توفي فيه، ذهب لأداء فريضة الحج، ووقف بعرفة يوم الجمعة، وكأنه يستعد لفراق الدنيا، وكان يُتوقع لإشفاق مستقبل واعد في المجال السياسي والقيادي والحياة العامة، إلا إنه تعرض لحادث مروري في منطقة البرح وهو عائد إلى عدن، بعد زيارة بعض أرحامه بمحافظة الحديدة، وأسعف إلى مستشفى السعيد بتعز، وبعد أربعة أيام، و في يوم 2007/5/1م اختاره الله إلى جواره، ونقل جثمانه إلى عدن، حيث تمت الصلاة عليه في مسجد المحمدي، وشيعه الآلاف من محبيه، الذين توافدوا من مديريات عدن ومن المحافظات الأخرى، يدعون له ويذكرونه بالخير، واحتشد في جنازته جمهور واسع، لم تشهد مدينة عدن مثله منذ عقود، حيث تواصلت الجموع من مسجد المحمدي إلى مقبرة القطيع، وأولئك شهود الله في الأرض، ودعاؤهم من عاجل البشرى في الدنيا، تغمده الله بواسع رحمته، وحشره في المهديين، ورفع درجته في عليين.

وقد نعى مجلس النواب إلى الشعب اليمني وفاة النائب إشفاق عبد الرزاق وعدد مناقبه، وقال الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب: لقد فقَدَ المجلس والوطن واحداً من خيرة الشباب، ممن أسهموا وبفعالية في تطوير العمل البرلماني في بلادنا.

كما بعث الفريق عبدربه منصور هادي نائب رئيس الجمهورية، والدكتور علي محمد مجور رئيس مجلس الوزراء برقيتي عزاء، ذكرا فيها مناقب الفقيد وأعماله.

أما التجمع اليمني للإصلاح بمحافظة عدن، فقد اعتبر وفاة النائب إشفاق خسارة كبيرة للوطن وللإصلاح، وفي تعزية حزب المؤتمر الشعبي العام، قال الشيخ سلطان البركاني رئيس كتلة المؤتمر البرلمانية: أن البرلمان خسر واحداً من أعضائه المتميزين.

ولقد جاءت الإشادة بالنائب إشفاق، والتعازي في وفاته، عبر رسائل أو عبر الصحف من الكثير ممن عرفه، وذكر له بعضهم مواقف ومشاهد، تدل على أنه كان ربانياً صالحاً مباركاً، حتى عند احتضاره ووفاته رحمه الله، ومنها ما قاله موقع ملتقى المهندسين اليمنيين: (لقد ترك إشفاق فراغاً كبيراً، غاب الوجه المشرق، وغابت الابتسامة الطليقة، غابت اليد التي لا تنظر إلى ما تقدمه لكل سائل ومحروم، غاب الرجل الذي لا يخاف في الله لومة لائم).

ومن المراثي التي قيلت في وفاته:

ومضيت يا إشفاق ترنو باسما ..... والقلب في شوق إلى الرحمن

إن الحوادث قد مررن بخاطري ..... لكنّ فقــدك يا أخيَّ أضناني

كأس المـرارة علقماً قد ذقتُه ..... وأسى يـؤرق مقلتي وجناني

ما كنتَ تعبأُ بالحياة ومـا بها ..... إذ أنهـا ليست بـدار أمان

إنّ المـلائك أقبلت في غبطة ..... ترجو النجاة لحــامل القرآن

قالت: ســلام الله إن له فماً ..... ما انفكّ يذكر خــالق الأكوان

قد كان في دنياه عبـداً صالحاً ..... لا ينحني للـــزور والبهتان

قد كان في الحق حساماً قاطعاً ..... لا يخشى من بطش وذي سلطان

قد كان وصـالاً لذي القربى وما ..... ينأى عـن الأحباب والخلان

إن الأرامل ولـولت يا ويلتي ..... مـن ذا يرقّ لحالتي ويعاني

من ذا يواسي الناس في أحزانهم ..... من ذا يحاسب صاحب الدكان

مـن ذا يفتّـح إذ رآني بابه ..... من ذا يكفكف دمع طفل و اني

قل للذي شهـدوا وداع حبيبنا ..... أرأيت جمعاً هكـذا بمكان

أرأيت ذاك النجـم في عليائه ..... أمسى يناجي ربــه بتفاني

يا رب من ذا سوف يؤنس وحشتي.....في ظلمة الليل بصوت حاني

واسأل شوارعنا وطوب بيوتنا ..... كل يتوق لوجهه الريان

إشفاق هل أبكيك أم أبكي لمن ..... خلفتهم شيباً ومن صبيان

يا صاحب القلب الرحيم أهكذا ..... تمضي وتترك صحبة الإخوان

يا صاحب الخلق الرفيع تحية ..... ما كنتَ همّازا ولا لعان

يا رب فاذكره بخير خلاله ..... واجعله في روح وفي ريحان

•~•~•~•~•~•~•

9

أوراس ناجي السياسية الحصيفة

(1381 - 1436هـ) (1962– 2015م)

الدكتورة أوراس سلطان ناجي محمد ناجي، مثال للسمت الحسن، والأدب الجم، والمرأة الملتزمة بواجباتها الأسرية والاجتماعية والسياسية، وكانت تتسم بالورع، والمحافظة على القيم الحميدة والأخلاق الفاضلة، والحرص على الابتعاد عن الشبهات.

ولدت في عدن عام 1962م، ونشأت في أسرة معروفة بالثقافة والعلم والسياسة، وأكملت التعليم العام، ثم درست الطب في جامعة عدن، وقد حصلت على ماجستير في طب الأطفال، وكانت إحدى قيادات المجتمع النسائية المشهورة في اليمن.

تم انتخابها عضواً في مجلس النواب لدورتين انتخابيتين (1997 و2003م)، عن الدائرة (22) مديرية خور مكسر بمحافظة عدن، ولأنها المرأة الوحيدة في البرلمان في إحدى دوراته، فقد كانت عضواً في كل الوفود البرلمانية الدولية، وتحظى بالاحترام والتقدير في أثناء تلك المشاركات، بما تقدمه من رؤى موضوعية ثاقبة، في مختلف القضايا المطروحة للنقاش، وقد عرفتُ كفاءتها من خلال مشاركتي في وفد مجلس النواب إلى مؤتمر اتحاد البرلمان الدولي، الذي عقد في جنيف عام 2009م، حيث تفرض احترامها من خلال تواضعها والتزامها بواجبات ومواعيد الاجتماعات والجلسات، وفهمها واستيعابها للمهام المناطة بها، كممثلة للبرلمان اليمني في المحافل الدولية.

كانت الدكتورة أوراس تحرص على الالتزام بالأحكام الشرعية، وتحري الأدلة من الكتاب والسنة، وتبحث عن الإجابات الشافية لأسئلتها، وترجع إلى العلماء الثقات من أمثال العالِمَيْن الجليلين: عبد الملك بن أحمد الوزير، وأحمد بن عبد الرزاق الرقيحي، عضوي مجلس النواب.

أما ارتباطها بدائرتها الانتخابية، فقد كانت الدكتورة أوراس قريبة من مواطني دائرتها، تحرص على خدمتهم، وتبني همومهم، وذات مرة، طلبت مني ومن الوالد عبد الملك الوزير، التعاون معها في توظيف إحدى المعاقات في فرع البنك المركزي بعدن، وظلت تتابع الأمر حتى تكللت جهودها بالنجاح. ولكونها طبيبة، فقد كانت لا تبخل بنصائحها الطبية لزملائها، ومن يستشيرها فيما يتعلق بالصحة والعلاج.

والدكتورة أوراس ناجي عضو فاعل في المؤتمر الشعبي العام، وعضو اللجنة

العامة، أعلى هيئة قيادية في الحزب، إلا أن الانتماء الحزبي عندها لم يكن تعصباً، ولا عداوة مع الآخرين؛ فمعيار العمل الوطني والإخلاص، هو الأهم في نظرها، ولم ينسب إليها أي موقف أو تصريح ضد من يخالفها الرأي، من القوى السياسية الأخرى.

عاشت الدكتورة أوراس شديدة الارتباط بأسرتها، وخاصة والدتها الكريمة وإخوتها، وظلت مع ذلك تحمل همّ وطنها الكبير، وتحرص على أمنه واستقراره، ولا غرو أن تكون كذلك؛ فهي ابنة المناضل والأديب، والمؤرخ المشهور الأستاذ سلطان ناجي رحمه الله، الذي تعرفت عليه في ثمانينيات القرن الماضي، من خلال المشاركة في لجان الوحدة حينها، وهو مؤلف كتاب التاريخ العسكري اليمني، الذي يعد من أهم المراجع في التاريخ العسكري، وكان قد اختار اسم ابنته (أُوراس) تيمناً بقمم جبال أوراس، التي تقع شرقي جمهورية الجزائر الشقيقة، ليحتفظ بذكرى انتصار ثورة الجزائر عام 1962م

عانت الدكتورة أوراس من عدة أمراض في سنوات عمرها الأخيرة، لكنها ظلت راضية وصبورة قليلة الشكوىٰ، حتى وافاها الأجل المحتوم في صنعاء، يوم الأربعاء 25 من فبراير عام 2015م، ووري جثمانها الثرى في مقبرة خزيمة بصنعاء - بحسب وصيتها - لتكون جوار والدها رحمه الله، تغمدها الله بواسع رحمته، وأسكنها فسيح جناته.

•~•~•~•~•~•~•

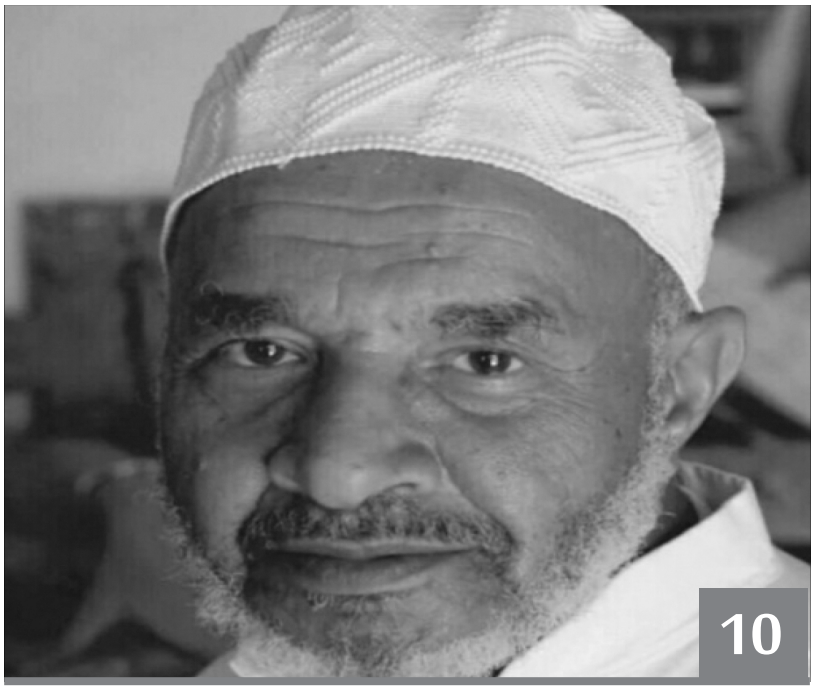

حسن جابر العالم الرصين والتربوي القدير

(1358 - 1436هـ) (1939-2015 م)

الأستاذ حسن محمد علي جابر العالم الرصين، والمربي القدير، والمدرس الكفوء، والخطيب المفوّه، والمحاضر المتمكن، خبير المناهج التعليمية، خزانة علم وتجارب، وفيض عطاء متعدد، من جيل الرواد الأفذاذ، الذين أثروا الحياة العلمية والثقافية، وتركوا بصمتهم العلمية والدعوية في حياة اليمنيين، قضى نصف قرن من الزمان يعمل دون كلل أو ملل، في مجال التوجيه والتدريس والتأليف، ووضع المناهج الدراسية، وأنظمة التعليم، وتدقيق الكتب المدرسية والجامعية ومراجعتها، والكتابة في الصحف والمجلات المتخصصة، والمشاركة في إنشاء المؤسسات الخيرية ذات النفع العام.

نشأته ورحلاته العلمية

ولد عالمنا الفذّ في مدينة زبيد عام 1358هـ - 1939م، وتربى في بيئة علمية تشجع الأبناء على التعليم؛ فزبيد توصف بأنها مدينة العلم والعلماء، وقد بدأ الدراسة في المعلامة؛ فحفظ القرآن، وتعلم الخط والإملاء والحساب، وكعادة عصره حفظ المتون لأهم العلوم الشرعية واللغوية، ثم التحق بالمدرسة العلمية في مسجد الأشاعر، وعندما وصل السابعة عشرة من عمره، كان قد أكمل الشعبة الخامسة، وهي أعلى مستوى في المدرسة، وصار عالماً في الشريعة واللغة، ولاسيما علوم الفقه والنحو والصرف.

درس على أكابر علماء زبيد، ومنهم مفتي زبيد محمد بن سليمان الأهدل، وشيخ الإسلام محمد بن أحمد السالمي، والشيخ عبد الله بن زيد المعزبي، والشيخ أحمد داود البطاح، والشيخ أسد حمزة عبد القادر وغيرهم.

لقد كان حسن جابر طالب علم نهِم، يبحث عن المعرفة ويستزيد منها، وينشدها عند أرباب العلم المشهورين؛ فذهب إلى بيت الفقيه، ودرس على يد الشيخ إسماعيل المخايي جزءاً من ألفية مصطلح الحديث للإمام العراقي، وفي الحديدة درس على يد الشيخ أحمد مكرم، والشيخ عبد الله مكرم.

كان السفر في زمانه ضرباً من المغامرة والمخاطرة، لكن الطموح والإرادة التي اتصف بها هذا العالم الشاب، دفعته للسفر إلى بلاد الحرمين لأداء فريضة الحج، وطلب العلم عند علماء مكة المكرمة، والمدينة المنورة، فمكث في مكة ستة أشهر

وانتظم في حلقات الحرم المكي، ومن مشايخه فيها: محمد عوض مَنْقَش، وهو من علماء زبيد الذين هاجروا إلى مكة، وشيخ الحرم علوي عباس المالكي، والشيخ حسن مشاط، والشيخ محمد نور وغيرهم، ثم انتقل إلى المدينة المنورة ودرس على يد الشيخ أبي بكر الجزائري، والشيخ عبدالعزيز بن باز، والشيخ عمر فلّاته، والتحق بدار الحديث، ودرس فيه حتى قيام الثورة اليمنية عام 1962م، فعاد إلى اليمن، ومنها ذهب في بعثة للدراسة في مصر.

التحق بمدينة البعوث الإسلامية في الأزهر، وهناك التقى طلاب علم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، الأمر الذي وسع مداركه، وجعله يعيش هموم المسلمين في العالم، وآلامهم وآمالهم، وقد ظل مثابراً في طلب العلم حتى أكمل الثانوية الأزهرية، ليلتحق بعدها بجامعة الأزهر، حتى تخرج فيها حاصلاً على الليسانس في الشريعة والقانون عام 1968م، وكان من زملائه في الأزهر الأستاذ ياسين عبد العزيز القباطي والدكتور/ عبد الوهاب بن لطف الديلمي.

عاد إلى اليمن ليبدأ حياته العلمية، فتزوج بابنة الأستاذ علي بن عبد الله الواسعي، وعمل في ديوان وزارة التربية والتعليم، وقد نمّى معرفته وخبرته بالقراءة والاطلاع، وحضر دورات تربوية متخصصة داخل اليمن وخارجه، وصار أحد خبراء التعليم وقادته البارزين، ثم ابتعث إلى فرنسا لتعلم اللغة الفرنسية، وتطوير مهاراته التربوية في مجال المناهج والوسائل التعليمية (1971 - 1972م)، حيث أمضى عاماً ونصف في مدينة (مونبلييه) جنوبي فرنسا، وهي مدينة زاخرة بالعلوم والثقافة، وفيها تعرف على حياة وسيرة الكثير من العلماء والأدباء العرب.

بعد فترة من العمل في ديوان وزارة التربية، ابتعث للدراسات العليا في جمهورية مصر العربية، فالتحق بكلية التربية بجامعة عين شمس، ودرس فيها الدبلوم العام، ثم الدبلوم الخاص في التربية، ثم حصل على ماجستير في التربية، تخصص مناهج وطرق تدريس تربية إسلامية عام 1982م، ثم بدأ برنامج دراسة الدكتوراه، لكنه وقبل أن يناقش الأطروحة، فوجئ دون سابق إنذار، بسلطات الأمن تطلب منه مغادرة مصر، والسبب وشاية رخيصة ممن يجهل أبجديات العلاقات الاجتماعية، فقد كان الأستاذ علي الواسعي يتردد إلى القاهرة لطباعة مجلة الإرشاد التابعة لوزارة الأوقاف اليمنية، وهي مهمة رسمية لا شبهة فيها، وكان ينزل في شقته، ولم يكلف المخبر نفسه السؤال عن سبب سكنه عنده كلما جاء القاهرة، لأن زوجته ابنة الأستاذ الواسعي، والحقيقة أن الأستاذ حسن بسعة علمه وكتاباته، وتعدد خبراته، ما كانت شهادة الدكتوراه ستضيف إليه شيئاً سوى لقب دكتور!

جهوده في خدمة التربية والتعليم

ندب الأستاذ حسن جابر نفسه لتعليم الأجيال، وكان يردد قول الفيلسوف المسلم محمد إقبال:(بالتربية يتحول النشء من كومة تراب، إلى كومة من التبر[الذهب])، فانتظم في سلك التربية والتعليم بعد تخرجه من جامعة الأزهر، وشغل عدة أعمال قيادية في ديوان وزارة التربية، وكان أحد الرواد الذين أثروا التعليم في مجال المناهج والوسائل التعليمية، والتوجيه والإدارة والتخطيط والامتحانات، فأتقن الجمع بين دراسته الشرعية واللغوية، والعمل التربوي، ورافق الخبراء العرب، الذين استقدمتهم اليمن لتطوير أنظمة وزارة التربية والتعليم وهياكلها، وقد كان نعم النظير اليمني

الفَطِن، المحب لوطنه، الذي يأخذ الخبرة والحكمة ويوظفها بما يناسب الواقع، ويحافظ على الهوية العربية والإسلامية للشعب اليمني.

عمل وكيلاً للإدارة العامة للتخطيط، ثم مديرًا عاما لها بالإنابة، ونظيرا لخبير التخطيط التربوي (1968 - 1975م)، ومديراً لمشروع تطوير التعليم 1976م، ثم عين ملحقاً ثقافياً بالسفارة اليمنية في الرياض (1985 - 1989م)، ومديراً عاماً للإعلام والنشر التربوي (1990 - 2001م)، ومثل اليمن في مؤتمرات وندوات في صنعاء والقاهرة والرياض وبيروت ودمشق ونواكشوط.. وقد كان عضواً فاعلاً في مختلف اللجان التي تشكلها الوزارة، كلجنة المعادلات واللجنة العليا للاختبارات، وشارك ورأس الكثير من لجان المناهج التعليمية، وأسهم في صياغة القوانين واللوائح المنظمة للعملية التعليمية والتربوية.

شارك في وضع المناهج التعليمية، وتأليف الكتب المدرسية لمختلف المراحل الدراسية، ولمعاهد المعلمين في اللغة العربية والتربية الإسلامية، ومنها كتب الفقه المدرسي المنتخب من الكتاب والسنة، وكتب التفسير والحديث، وكتب النحو، والمراجعة والتدقيق لكتب الفلسفة والاقتصاد وعلم النفس، والتاريخ وعلم الاجتماع، من النواحي الشرعية واللغوية، ووضع أهداف مناهج رياض الأطفال.. فالكتاب المدرسي ثمرة لجهود مضنية، لمجموعة كبيرة من المعلمين والموجهين والخبراء، حتى تخرج الكتب بشكلها القشيب ومحتواها المفيد الخالي من الأخطاء - إلا ما ندر - لتصل إلى كل بيت فيه طالب يتعلم، وكان الأستاذ حسن جابر من الجنود المجهولين، الذين يعملون بصمت في هذا الحقل العظيم، فقد يكتب اسمه على غلاف الكتاب، وقد لا يكتب،

فذلك لم يكن محل اهتمامه، لأنه تعود أن يعمل بصمت، وبعيداً عن الأضواء.

أعماله الدعوية ونشاطه الاجتماعي والسياسي:

الأستاذ حسن جابر من الرعيل الأول للدعاة، الذين جاؤوا في غمرة الصراع الفكري خلال ستينيات القرن العشرين، الذي اتصف بالاستقطاب الحاد، وانتفاش الأصوات التي تصف الإسلام بالتخلف، وتدعو لحصره في الشعائر التعبدية، مع سيل من الشبهات التي تشكك في الإيمان، فكان أستاذنا بعلمه ووقاره وثباته وثقته، أحد الأعلام، الذين تصدوا لهذا التيار الجارف، حتى انكسر وتوقف وانحسر والحمد لله.

كان سريع البديهة، حاضر الجواب، عميق الثقة بالإسلام كمنهج للحياة، وأتذكر من طرائفه، عندما كنت طالباً في دورة للمعلمين بالمدرسة الفنية بصنعاء عام (1970م)، وهو يشرح لنا في مادة التربية الاجتماعية عن أهمية الأسرة، ودور كل عضو فيها، فقال: الأب هو رب الأسرة؛ وهنا وقف أحد الطلاب المتأثرين بالأفكار الغربية الوافدة، محتجاً بأن هذا انتقاص من حق المرأة، وانحياز للرجل، فرد عليه بهدوء: يا بني؛ الأب بمثابة رئيس الدولة، والزوجة بمثابة رئيس الوزراء! وهنا سكت الطالب واقتنع، فكما أنه لا يمكن أن يكون للجمهورية رئيسان، فكذلك الأسرة، والعلاقة بين الزوج والزوجة تكامل وتعاون، لا تضاد أو تنافس.

وبعد أن عاد من فرنسا، جاء إلى تعز على رأس لجنة من وزارة التربية، زارت المدرسة الثانوية لتشرح للطلاب أهمية الالتحاق بمعاهد المعلمين، وكليات التربية، بعد هزيمة العرب في حزيران 1967م، حيث كانت البعثة التعليمية المصرية قد تركت فراغاً كبيرا،

بعد مغادرتها اليمن مع القوات المصرية التي جاءت لمناصرة الثورة اليمنية، وفي تلك الزيارة التقيناه في المركز الإسلامي، وكنا في شوق لمعرفة أخبار فرنسا، وانطباعاته عنها؛ فقال: (فرنسا فرنسا.. ونحن نحن!)، فالانفلات الذي اشتهرت به فرنسا لم نتأثر به، ورجعنا أكثر اقتناعاً بديننا، والتمسك بقيمنا العربية والإسلامية.

حمل الأستاذ حسن همَّ الدعوة إلى الله في أثناء بقائه بفرنسا، فكان يلقي الدروس، ويخطب الجمعة، ويعقد حلقات النقاش مع الطلاب المتأثرين بالثقافة الغربية، وظل يتردد على قهوة مشهورة يرتادها الدارسون العرب، ويحدث فيها نقاش ومناظرات حول الإسلام والشريعة وتطبيق الشريعة، وموقف الإسلاميين من العلمانيين، فيما إذا وصلوا إلى السلطة.. وكانت نقاشات ساخنة وموضوعية، وفيها تربية وتثقيف ودعوة إلى التسامح والقبول بالآخر.

علمُ الأستاذ حسن جابر وثقافته، جعله لا يتردد في معرفة ما يقوله الغربيون والمستشرقون عن الإسلام، ومناقشة شبهاتهم وتفنيدها؛ فكان يقرأ في كتبهم الفرنسية، ويرى أن الثقافة العامة ينبغي أن يحصل عليها كل إنسان، ولا بد للمسلم أن يثابر، وأن يكون له إلمام بآراء غير المسلمين، ولاسيما فيما يتعلق بنظرتهم للإسلام، حتى نتمكن من إقناعهم بجمال الإسلام وكماله، وهذا يقتضي أن يكون لدينا معرفة بما يقوله الآخرون عنا، لنوضح لهم ما لدينا من براهين الإيمان، وثقافة الإسلام وحضارته، وما تركه للبشرية في الحضارة والبناء والعمران.

وظل الأستاذ حسن جابر في كل مراحل حياته مرتبطا بالعلم، يقضي الساعات

الطويلة في مكتبته يقرأ ويدقق، ويصحح ويراجع، مع استمراره بالتدريس والخطابة، وكان من طبيعته أنه لا يرد أي طلب لإلقاء محاضرة، أو المشاركة في أي ندوة فكرية، فرصيده العلمي يجعله قادرًا على المشاركة والإثراء، وتقديم الجديد والمفيد في مجالات تخصصه؛ الشرعي والدعوي والتربوي واللغوي.

وقد كان من السباقين لإنشاء مؤسسات وجمعيات، وكليات وجامعات، ومجلات تسهم في نشر العلم والثقافة وخدمة المجتمع، ومن أعماله في هذا الميدان: الإسهام في تأسيس مجلة التربية والإشراف عليها، المشاركة في تأسيس مجلة أسامة (الخاصة بالأطفال)، ورئاسة تحريرها لأربع سنوات، تأسيس جمعية القرآن بزبيد، المشاركة في تأسيس جامعة الإيمان، والتدريس فيها، المشاركة في تأسيس جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية، المشاركة في تأسيس الكلية العليا للقرآن الكريم، ووضع مناهجها؛ وقد تطورت - فيما بعد - إلى جامعة القرآن الكريم، وكان عضوا في مجلس أمنائها، وأحد أعضاء هيئة التدريس فيها، وشارك في تأسيس الكلية الوطنية للعلوم والتكنولوجيا؛ التي تطورت إلى جامعة العلوم والتكنولوجيا، أشهر الجامعات الخاصة في اليمن، كما شارك في تأسيس مؤسسة باكثير للآداب والفنون، إضافة إلى الإسهام في إنشاء الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم، وفروعها في المحافظات، وتم انتخابه نائباً لرئيس الجمعية، وعمل محاضراً في الكلية العليا للقرآن الكريم، ووكيلاً للكلية، ومراجعا للحولية التي كانت تصدر عنها.

والأستاذ حسن جابر أحد مؤسسي حزب التجمع اليمني للإصلاح، وعضو مجلس شوراه، وعضو المجلس المحلي بأمانة العاصمة، وعضو الهيئة القضائية بالأمانة،

وعضو دائرة الإعلام والثقافة بالأمانة العامة، ثم نائب رئيس دائرة التعليم بالأمانة العامة، وفي كل المواقع التي شغلها كان الأستاذ المربي الذي يحظى بالاحترام والتقدير لعلمه وسابقته، والتزامه وحزمه، ولطفه وحسن تعامله.

حياته وسلوكه وصفاته

كان الأستاذ حسن جابر من الذين يمشون على الأرض هونا؛ فهو ابن مدرسة زبيد، التي عرف عن كبار علمائها الزهد والتواضع الجمّ - مع علمهم وجلال قدرهم - ومن شواهد ذلك أنه في بداية السبعينيات، ذهب بقيافته المميزة، وسمْته المتواضع، لصلاة الجمعة في الجامع الكبير بصنعاء، وحضر القاضي عبد الرحمن الأرياني رئيس المجلس الجمهوري حينها، فتأخر خطيب الجمعة، وتلفّت المصلون يبحثون عن الخطيب، أو من ينوب عنه، فأشار القاضي الإرياني إليه؛ فصعد المنبر، وارتجل خطبة ضافية، نالت الاستحسان.

لم يكن للأستاذ حسن جابر مسجد محدد يخطب فيه، ولكنه إذا صعد المنبر، يتدفق علماً وحكمة وبلاغة وإيجازا، وحين يقف بعد الصلاة ليقول خاطرة، فإنه يقدم مفهومات عميقة للآيات والأحاديث، وأحداث السيرة النبوية، ويربطها بالواقع والمستجدات، ويجعل من شواهد الماضي والحاضر أدلة تثبّت الإيمان، وتطرد اليأس والإحباط، وتدفع نحو التغيير والإصلاح، وكان يحضر الدروس التي تلقى في المسجد، وتنفرج أساريره وهو يرى أحد طلابه يحسن ويجيد، وإذا جانب الصواب، وكان الخطأ يسيراً تجاوز عنه، وبعد الدرس يجلس مع الأستاذ ويبين له الصواب، لكنه يتدخل إذا

كان الخطأ كبيراً وواضحاً، وربما أضاف قاعدة فقهية أو أصولية لتوضيح المعنى، ومن ذلك أن المدرس ذكر بأن التكليف مرتبط بالاستطاعة، وأن المجنون رفع عنه القلم، فيتدخل هنا ويقول: (إذا سلب ما وهب، سقط ما وجب!)

كانت معرفتي بالأستاذ حسن جابر منذ كنت طالباً في الثانوية، في بداية سبعينيات القرن العشرين، وظللت أنظر إليه مثالاً للعالم الرباني، والأستاذ المتمكن، والمربي الفاضل، لكني عندما اقتربت منه في العقود الأخيرة من عمره، وعملنا معاً في عدة مجالات دعوية وتربوية وتنظيمية وسياسية، وجدته شخصية نادرة؛ صلاحاً وورعاً، وتجرداً وقناعة، ولطفاً وظرفاً، لا يتغير أداؤه حين يكون رئيساً أو مرؤوساً، ولا يتردد في القيام بما يكلف به حضراً أو سفراً، يمضي واثق الخطوة؛ فليس لديه شيء صعب، وقد يكون العمل المكلف به تأليفا أو بحثا، أو محاضرة أو إدارة، أو نشاطاً اجتماعياً أو ثقافياً، سافرت معه إلى عدد من المحافظات، فوجدته يحمل روح الشباب، وعزيمة القادة، وجلد العظماء وصبرهم، وبساطة الربانيين وزهدهم، ورحمة الآباء، وشفقة الإخوة، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً.

عاش الأستاذ حسن جابر حياة الكفاف؛ راضيا شاكراً، واتصف بالزهد في الدنيا، وعدم التسابق على متاعها، وحتى مستحقاته المالية، فإنه لا يلح في متابعتها؛ بل ينتظرها حتى تأتي إليه، على الرغم أن حاجته شديدة، لتوفير حاجات أساسية لأسرته، أو ليسدد ديونه للبقالة التي يستدين منها، لكنه لا يطالب، ولا يشكو، ولا يتبرم؛ ومن لطائفه أنه بنى سكنه في منطقة قصيّة بمنطقة حدة، قبل أن يصل إليها العمران، وقد ظل بيته مكشوفاً من غير سور لفترة طويلة، وعندما يقترح عليه أحد الزوار أن يبني

السور، كان يقول: هكذا أفضل لحراسة البيت؛ فمن يقترب منه يكون مكشوفاً أمام الناس؛ فلا يتجرأ على الاقتحام أو السرقة! ولا يذكر عدم استطاعته بناء سور للبيت، وهكذا ظل حتى تمكن أحد أولاده من بناء سور للمنزل، بعد سنوات من سكنهم فيه.

وفي السنوات الأخيرة من حياة الأستاذ حسن جابر، ابتلي بأمراض الجلطات، ثم الفشل الكلوي، غير أنه تعامل مع المرض بإرادة فولاذية نادرة، صابراً محتسباً، باسماً راضياً، يجعل الأصحاء يخجلون أمام عزيمته، والأقوياء يصغرون أمام إرادته ورباطة جأشه، ومن ذلك أنه عندما شعر بأعراض الجلطة وهو يقود سيارته، فلم يستسلم، ويطلب من أحد أن يسعفه إلى المشفى، وإنما اتجه بنفسه إلى أقرب مشفى، وأسعف نفسه، وفي أثناء تردده للغسيل الكلوي ثلاثة أيام أسبوعياً، لم يتوقف عن نشاطه العلمي والدعوي والاجتماعي، حتى توفاه الله في مدينة صنعاء بتاريخ 2 من شعبان 1436 هجرية الموافق 19 من مايو 2015م، وخلف ثلاثة أولاد، ودفن في المقبرة القريبة من بيته ومسجده في حدة، على شارع الخمسين.

توفي الرجل الصالح البشوش البسام، ذو القلب الأبيض، الذي عاش يحب الخير للقريب والبعيد، توفي صاحب العطاء الذي لم يتوقف حتى آخر أيامه، رحمه الله وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

•~•~•~•~•~•~•

حمود شرف الدين العالِمُ الأديب

(1358 - 1417هـ) (1938 - 1996م)

الشيخ العلامة حمود بن محمد بن عبد الله بن علي بن عبد الكريم شرف الدين، عالم جليل، وأديب أريب، وشاعر مجيد، ومربٍّ فاضل؛ كانت حياته زاخرة بالعطاء، مليئة بالعمل الدؤوب، أفنى حياته خادماً لدينه ووطنه، ومدافعاً عن القيم والأخلاق، ومضحياً بوقته وجهده وماله، من أجل نشر العلم، وتوجيه الناس إلى ما ينفعهم في دنياهم وآخرتهم.

تربى منذ نعومة أظفاره على البر والصلاح، ونشأ في بيئة علمية؛ فتلقى تعليمه الأولي في الكُتّاب، ثم درس في المدرسة العلمية بمدينة (كوكبان)، وتتلمذ على يد عدد

من العلماء، منهم والده محمد بن عبدالله شرف الدين، وخاله شرف الدين بن علي بن حمود، وخاله الحسين بن علي بن حمود، وغيرهم من علماء عصره، وقد كانت مدينة كوكبان التي نشأ فيها، إحدى مراكز العلم والأدب والشعر المشهورة في اليمن حينذاك، ولم يبلغ سن الثامنة عشر إلا وقد صار عالماً كبيراً، وحصل على عدة إجازات من كبار العلماء منهم والده ومفتي الجمهورية العلامة احمد زبارة ورئيس المحكمة العليا العلامة عبد القادر بن عبد الله وغيرهم ، وحصل على شهادة معادلة ليسانس في علوم الشريعة واللغة والأدب العربي.

انتقل إلى تعز، التي كانت العاصمة التي يقيم بها الإمام أحمد حميد الدين، وهناك واصل تعليمه عند عدد من العلماء والأدباء، منهم زيد بن يحيى عقبات، المشهور بالأدب والفصاحة والخطابة.

شغل عدة أعمال، منها مساعد أمين الهيئة العلمية العليا، التي كان يرأسها الإمام، ثم مساعداً لوالده في محكمة ملحان بـ(المحويت)، وبعد قيام ثورة سبتمبر عام 1962م، عينه وزير التربية الأستاذ محمد محمود الزبيري، مديراً للمعهد العلمي بـ(كوكبان)، الذي وافق رغبته بالتفرغ لمهنة التعليم التي يحبها، وقد تخرج من معهده عدد من الأعلام، كالشيخ حمود هاشم الذارحي، والدكتور أحمد عبد الرحمن شرف الدين، والسفير محمد محمد الهيصمي.

تم انتخابه لأكثر من دورة في المجلس المحلي لمديرية شبام وكوكبان، وقد اجتهد وتابع تنفيذ الكثير من المشروعات الخدمية، ولم ينقطع عن التعليم والتدريس، وكان

آخر عمل تقلده وكيلاً للهيئة العامة للمعاهد العلمية (1984 - 1996م).

طاف عدداً من الدول العربية والأجنبية في مهمات رسمية، فزار مصر والسودان والسعودية والأردن والعراق وبريطانيا والصين وأمريكا، وبعض دول الاتحاد السوفياتي(سابقاً)، وسجل مشاهداته وانطباعاته عن تلك الرحلات في أراجيز شعرية طويلة، طبعت بعد وفاته.

عرفتُه في (كوكبان) أواخر السبعينيات، وكان حينها مديراً لمعهدها العلمي، شعلة من نشاط، متّقد الذهن، راجح العقل، شديد الحياء، آلفاً مألوفاً، بشوشاً في وجه من يلقاه، كريماً يجود بما لديه، منزله دار ضيافة مفتوح لكل زائر، لكنه زاهدٌ في الدنيا، غير متعلق بمتاعها الزائل، ومع ذلك تراه مهتماً بمظهره وقيافته، حتى كأنه شامة بين الناس، يفرض احترامه على الآخرين بأدبه الجمّ، وذوقه الرفيع، وحسن تعامله مع الصغير والكبير.

كان حمود شرف الدين جذاباً، لا تشبع من حديثه، ولا تملّ من الجلوس معه؛ إذا ناقشته في مسألة علمية، استحضر أدلتها، وكأنها مفهرسة في ذاكرته، وإذا كان في بيته، أحضر لك الكتب والمراجع المتعلقة بالموضوع، وعندما يتحدث عن قضية فقهية، ترى فقيهاً مجتهداً، كأنه لا يفهم إلا في الفقه وأصوله، فإذا جاء ذكر التاريخ والسير عدّد الأحداث والمواقف بتواريخها، كأنه شاهد عليها، وله قدرة فائقة على الاستدلال بالشعر والأمثال والحكم.

الشعر والأدب ميدانه الفسيح، الذي يصول فيه ويجول، وما على المستمع إلا أن

ينصت ليستمتع بالأشعار التي تنساب على لسانه، يستشهد بها من غُرر قصائد الشعراء القدامى أو المحدَثين، كيف لا؛ وهو فارس الشعر الذي لا يُشَق له غبار، وبمجرد أن تلقاه وتصافحه يبادرك ببيت من الشعر يناسب الموقف، كأن يقول إذا قابلك بعد فراق:

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا!

وإذا رأيته بعد يوم شاق من العمل، ولم يوفق لإنجاز ما يسعى لإنجازه من مصلحة عامة، تسمعه يردد برضى واطمئنان:

على المرء أن يسعى إلى الخير جهده وليس عليه أن تتم المطالب!

في إحدى الجلسات معه، في مجلسه في منتزه (غيل علي) البديع الممتع، المشاد على صفحة جبل كوكبان، المطل على مدينة شبام وبلاد همدان، حيث تشعر كأنك فوق طائرة تحلّق في السماء، ويزيد المتعة سماعك صوت خرير الماء، الذي ينساب من ينبوع صغير صُنع بعناية، دار حديث الحاضرين حول الشعر، فقال بدعابة: الذي لا يقول شعراً في هذا المكان، في عقله خلل وقصور! وهو تعبير عن الإحساس بجمال صنع الله، الذي يأخذ بلبّ شاعر مرهف مثله، رحمه الله.

جوانب كثيرة في حياة العالم الأديب حمود بن محمد شرف الدين، لم يطّلع عليها إلا الخواص ممن جالسه، وسعد بلقياه؛ فعلى الرغم من علمه الواسع، فقد كان شديد التواضع، ولا يتحدث في المجلس إلا إذا سئل، ولا سيما إذا كان في الحاضرين من لديه إلمام بشيء من الثقافة والعلم، منزله متواضع، وأثاث بيته أقل مما يملكه عامة الناس،

وسيارته قديمة تدل على أنه لم يكن من طلاب الدنيا، مع أن مسؤولي الدولة ممن هم في درجته، يظهرون بالأبهة، ويأخذون من المزايا المادية ما لم يكن مهتماً بها، أو حريصاً عليها.

كان رحمه الله عفيفاً نزيهاً طاهر اليد، لم يفكر أن يجعل منصبه وسيلة للثراء والكسب، بل كان ينفق على نفسه وضيفه من حُرّ ماله، ويعتبر أن المنصب الحكومي مسؤولية ورسالة، وليس مجرد وظيفة ووجاهة.

في فترة التعددية السياسية التي جاءت بعد تحقيق الوحدة اليمنية عام 1990م، قال لي - في غير مرة - إنني لم أنتسب لأي حزب، ولكنني بجهدي ومالي ووقتي، ملك للدعوة إلى الله، وخدمة الناس، وكان يكره التعصب والغُلو، ويدعو للوسطية والاعتدال، ولا يحب إثارة النعرات المقيتة، وينفر من المِراء والجدال الذي لا طائل منه، ويتمنى أن يتخلص المسلمون من العصبيات الجاهلية، وأبدى لي ارتياحه لموضوع كتبته في مجلة النور حول العصبية، قلت فيه: إن الإسلام لا يقرّ التعصب مع أو ضد الأسرة أو القبيلة أو الحزب أو المنطقة، وأن المحبة والإخاء والتعايش، هو ما ينبغي أن يحرص عليه المسلمون.. وهو موقف غير مستغرب منه ويحمد لأمثاله.

كان حمود بن محمد بجسمه النحيل، وقلبه الكبير، يحمل هموم أمته، ويعمل من أجل نهضتها، وظل دؤوباً نشيطاً، لا يفتر ولا يتوانى عن أداء واجباته، حتى آخر لحظة في حياته؛ فقد تحمّل مهمة إدارة المعاهد العلمية التي أصبح وكيلاً على رأسها، وفي ظروف عصيبة وغير مواتية، حيث شُنّت عليها حربٌ إعلامية وسياسية ضروس، لكنه ظل متحمساً لها، يتنقّل بين الجهات الرسمية، يتابع حقوق الموظفين، أو مرتبات المدرسين،

أو موازنة المباني، أو يسعى لطباعة الكتب الدراسية، أو توفير الوسائل التعليمية، فإن تحقق مسعاه حمد الله وأثنى عليه، وإن لم يجد الاستجابة قال: هذا جهدي، وسيجعل الله لكل ضيق مخرجاً!

كان رحمه الله حليماً صبوراً، يستوعب المشكلات، ويبذل أقصى جهده في حلها، وربما قُوبل بالفظاظة والشِّدة وعدم التقدير، فيتغاضى، ويواجه الإساءة بالإحسان، حتى مع مرؤوسيه.

وحمود شرف الدين شاعر مشهور بفصاحته وبلاغته، سخر شعره للحق والفضيلة، يحضر احتفالات واجتماعات عامة، وتشرئبّ الأعناق لتسمع منه، وقد يقتضي المقام أن يقول عبارات الثناء والمجاملة لرئيس الجمهورية الحاضر للفعالية، لكنه يغتنم الفرصة فيقول النصيحة لولاة الأمر وللعامة والخاصة، يودع ذلك في ثنايا قصائده، فيقيم الحجة، ويتلطف في الموعظة، ويُلفت للعبرة.

كان مثالاً لرب الأسرة، الذي يعرف واجباته نحو أهله وأولاده وإخوانه وأقاربه؛ فهو مرجعهم، وراعيهم الحنون، وكان باراً بوالده وأرحامه، وترك بصماته على أولاده، وكانت خاتمة حياته في طاعة والده، ورافقه للعلاج في القاهرة، عندما كان في مهمة رسمية لتوثيق التعاون بين المعاهد العلمية والأزهر الشريف، وهناك تعرض لحادث مؤلم بالقطار الكهربائي (الترومّاي)، تسبب في وفاته رحمه الله.

الصفات الحسنة التي اتصف بها حمود شرف الدين، ستظل نبراساً لمن يأتي بعده؛ فقد جمع بين العلم والذوق الرفيع، والأدب والخُلُق الحسن، وعاش حياته صالحاً

ومصلحاً، داعياً للوئام، محباً للسلام، مبغضاً للتعصب، بعيداً عن التعالي على الناس، أسأل الله أن يجزيه خير الجزاء على ما أعطى وقدّم.

صدر له كتاب: مختصر قطر الندى لابن هشام في النحو، وكتاب مختصر كافل لقمان في أصول الفقه، ومن أدب الرحلات نشر له ديوان رحلات الشهيد حمود شرف الدين [طبع بعد وفاته]، وله عدة مؤلفات لم تطبع، ومنها: نظم علم المواريث، ونظم شرح الأزهار في الفقه، وتكملة المواهب السنية في التراجم، وسلوة الحزين في الحكمة والقول الرصين، ومنظومة في الفرائض وشرحها، ومباحث علمية وتاريخية، ودواوينه الشعرية، وقد كان يقول الشعر الحميني والفصيح، وله قصائد مغنّاه.

ومن شعره هذه القصيدة المؤثرة، التي تقطر ألما، مما فعله الصرب بالمسلمين في البوسنة في تسعينيات القرن العشرين:

من اليمن الشّمّـاء أطلقتها دَمَا ..... و أفرغتُها في مسمع الكون علقما

مدوية في الأفـق يُسمع صوتها ..... أبيٌّ ومن للحـق والصدق ترجما

أأسلو وخطب اليوم فتّتَ مهجتي ..... ببُسْنَةَ ذات المجد من أيمن الحمى

لقد ضاق صدر الكون مما جرى بها ..... وقد تركتني أخـرس النطق أبكما

تحطّمه الذكـرى فيمسكه المُنى ..... ويأبى عليــه الصبرُ أن يتعلما

أحاول كتمـاناً فيفضحني الأسى ..... ودمع على الخدين قد سال عَنْدَمَا

فأصبحت أستسقي السحاب لأجلها ..... فما بالُ وبْلُ السّحب من مثلها ظما

فسعّرتُ أنفـاسي لهيباً تأججت ..... وأرسلتها سهماً على الصرب محكما

فما الحزن من أمٍّ على ابنٍ ومن أبٍ ..... بأكثر من حـزني عليها وأعظما

فهل يا ترى ننسى بـلاداً لنا بها ..... كر ائمُ تذري الدمـع فرداً وتوأما!؟

كانت وفاته رحمه الله فاجعة لكل محبيه ومن عرفه، وعزى بوفاته علماء وقادة وساسة، ورثاه عدد من الشعراء، وأقيم له حفل تابين في المركز الثقافي بصنعاء، وتم جمع ما قيل فيه في كتاب طبع بالمناسبة.

كان ميلاد حمود بن محمد شرف الدين في مدينة كوكبان عام 1358هـ، الموافق 1938م، وانتقل إلى رحمة الله في 15 من جمادى الآخرة 1417هـ، 26 من أكتوبر 1996م، وخلف ثلاثة أولاد وست بنات، ووري جثمانه الثرى في مسقط رأسه مدينة كوكبان وشيعت جنازته الآلاف يتقدمهم كبار العلماء وكبار رجال الدولة في موكب جنائزي مهيب لم تشهد له مدينة كوكبان مثيلاً. كتب الله أجره ورفع قدره في عليين، وأنزل الله عليه شآبيب رحمته، وأسكنه جنات النعيم.

~•~•~•~•~•~•

حمود الذارحي المتفاني في قضاء حوائج الناس

(1369 - 1437هـ) (1950 - 2016م)

حمود بن هاشم بن عبدالله بن يحيى الذارحي، عالم فقيه، وخطيب مفوّه، وداعية حكيم، وسياسي حصيف، وإداري كفؤ، وقائد نادر، ومسؤول محبوب؛ قوي الإيمان، لديه قدرة فائقة على الإقناع، سريع البديهة، حاد الذاكرة، إجاباته لطيفة ومسكتة، يواجه المشكلات بصدر رحب، ويتغلب على الصعاب بالصبر والمثابرة، ويتصف بالكرم والشجاعة، وهما في الغالب صفتان متلازمتان، لكنه يزيد عليهما الإقدام والمبادرة، وقد نذر نفسه لخدمة الناس، وقضاء حوائجهم، والسعي في مصالحهم؛ يصنع المعروف، ويغيث الملهوف، وينصر المظلوم، ويمشي مع صاحب الحاجة - وإن لم تكن له به معرفة - حتى يقضيها له، وكثيراً ما يردد الحديث الشريف: **(اشفعوا تؤجروا..)**.

ميلاده عام 1950م في مدينة كوكبان، محافظة المحويت، وهي حاضرة علم وأدب وفن، وفيها نشأ وترعرع، وتعلم أساسيات القراءة والكتابة والحساب، ودرس المرحلة الابتدائية، ثم درس بمعهد كوكبان العلمي، انتقل بعد ذلك إلى مدينة صنعاء عام 1967م، والتحق بمعهد المعلمين وتخرج فيه، ومن صغره اهتم بتعلم القرآن الكريم واللغة العربية وعلوم الشريعة، وداوم على حضور دروس كبار العلماء، ومن مشايخه العلامة حمود بن محمد شرف الدين، والعلامة يحيي بن لطف الفسيل، والعلامة أحمد بن أحمد سلامة، والعلامة أحمد الهلولي، وقد أتقن القرآن الكريم وعلومه، والحديث ومصطلحه، والفقه وأصوله، والنحو والصرف والبلاغة، ودرس الأدب العربي شعراً ونثراً، وصار موسوعة في حفظ الأمثال والحكم، التي يستحضرها ويستشهد بها في حديثه وخطبه.

كان الشيخ حمود هاشم عالماً غير متعصب، وفقيهاً يتبع الدليل، لكنه لا يقلل من آراء علماء المذاهب الفقهية، وقد تأثر بالأسلوب السهل واللطيف للقاضي يحيى بن لطف الفسيل - رحمه الله - الذي لزم دروسه في جامع السلام، في حي قاع العلفي بصنعاء، وشاركه في تأسيس المعاهد العلمية وافتتاح العديد منها في المدن والريف، وقد أحبه القاضي الفسيل، وزوجه ابنته، التي كانت خير مُعين له في كل مراحل حياته حتى وفاته، وألّف كتابا تضمن سيرة القاضي يحيى الفسيل وأعماله ومواقفه، سماه (ومضات مشرقة من حياة العلامة القاضي يحيى بن لطف الفسيل).

تميزت شخصية الشيخ حمود هاشم بصفات قيادية، وقدرة على الاستفادة من الفرص المتاحة، واستيعاب طاقات العاملين معه وتفعيلها، والتغلب على المشكلات، وكان يعتقد أن المثابرة والصبر عاملان أساسيان في النجاح، ويقول: العمل 10 % ،

والمتابعة 90 %، ولهذا حالفه التوفيق في كل الأعمال والوظائف التي تولاها، فقد كان ينزع نزعاً عبقرياً؛ وقد عملتُ معه، وسافرت بصحبته داخل اليمن وخارجه، ورافقته في رحلات عمل إلى الأردن وسوريا والكويت وقطر والسعودية والصومال والسودان ومصر وبريطانيا، ووجدت فيه الأخ الحنون، والأستاذ الحادب، والمربي الحكيم، والقائد المُلهِم، والإداري المقتدر، يبتكر الحلول، ويهوّن من الصعاب، ويحسن التعامل مع القادة والمسؤولين، ويرعى مرؤوسيه وينصفهم في حقوقهم، ويمضي لتحقيق ما يريد بعزيمة وحماس.

شغل عدة مواقع قيادية في الدولة؛ فعمل وكيلاً مساعداً للهيئة العامة للمعاهد العلمية، ووكيلاً مساعداً لمصلحة الواجبات، ورئيساً لهيئة تعاون مدينة شبام كوكبان، وأميناً عاماً مساعداً لمجلس التنسيق في محافظة المحويت، ثم عين عضوا في اللجنة العليا للانتخابات عام 1993م، ثم عضواً في لجنة الحوار الوطني 1994م؛ والتي توصلت إلى وثيقة العهد والاتفاق - وكان المتوقع منها نزع فتيل الصراع بين شركاء تحقيق الوحدة اليمنية - ثم عين محافظاً لمحافظة صنعاء لثلاث سنوات (1994-1997 م)، وقد كان في كل تلك المواقع التي شغلها، مثالاً لرجل الدولة المسؤول، الذي يعتبر الوظيفة خدمة لعامة الناس، وليست مجرد سلطة أو وجاهة، فترك أثراً طيبا حيثما حل؛ من حيث الأمانة والإخلاص، وتطوير العمل الإداري، وتبني المشروعات ذات النفع العام، وحل المشكلات الإدارية والاجتماعية، وإصلاح ذات البين، وله جهود كبيرة في تطوير منطقته، وإقامة العديد من المشروعات الخدمية.

كان الشيخ حمود خطيباً مؤثراً، يقوم بإعداد خطبه، ويختار موضوعاتها بعناية، وقد ظل لفترة طويلة يخطب في جامع دار الرئاسة بصنعاء، التي يحضر فيها الرئيس علي

عبد الله صالح مع كبار المسؤولين، وكان يجدها فرصة ليقدم نصائحه بأسلوب جذاب، يستعين بقصص القرآن، وحوادث التاريخ، للتنبيه للعبر والعظات منها، وتوصيل المفهومات التي يريدها، وقد يجد فرصة بعد الصلاة، ليقدم النصيحة مباشرة لرئيس الجمهورية بأسلوبه، الذي يجمع بين الدعابة والإقناع.

وكانت مشاركاته فاعلة في الندوات والاحتفالات والمهرجانات، والقنوات الفضائية، وفي المناسبات المختلفة؛ سواء تمت تلك الفعاليات في المساجد أم في القاعات أوالميادين العامة، في صنعاء وخارجها، إضافة إلى دعمه لقضايا المسلمين في العالم، ولا سيما القضية الفلسطينية، وشارك مع وفد جمعية الأقصى في زيارة لكسر حصار غزة.

أما نشاطه السياسي، فقد كان رحمه الله أحد السياسيين اليمنيين البارزين، وقد شغل عدة مناصب عليا في الدولة، وهو أحد مؤسسي التجمع اليمني للإصلاح، ومن الذين أسهموا في وضع نظامه ولوائحه، وقد انتخب عضواً في مجلس شورى الإصلاح، ورئيساً للدائرة الاجتماعية، ثم عضواً في الهيئة العليا، وهي أعلى وحدة تنظيمية في الحزب، وقد ظل فيها حتى وفاته رحمه الله، كان فاعلا، وصاحب مبادرات، ونادراً ما يحضر اجتماعاً من دون أن تكون لديه رؤية، أو ورقة عمل، أو مشروع يطرحه للنقاش وتبادل الرأي.

وعلى المستوى الإداري كان إدارياً محنكا، يتحمل المسؤولية بجدارة، ويتخذ القرار من دون خوف أو تردد، ويحسن متابعة متطلبات الجهة التي يرأسها، حتى يحصل على تلك المتطلبات؛ فليس أمام إرادته أمر صعب، وكان كبار المسؤولين يعجبون بعزيمته وقدراته، ولطف أسلوبه، ويستجيبون له.

يُعدّ الشيخ حمود هاشم أهم شخصية أسهمت في إنشاء المعاهد العلمية، ووضع أنظمتها وهياكلها الإدارية، ومناهجها التعليمية، ومن ثم التوسع في نشرها في المدن والأرياف، وإقامة علاقة شراكة وتعاون بينها وبين المؤسسات المماثلة في الوطن العربي، ولا سيما الأزهر الشريف في مصر، وكان له دور كبير في عقد المؤتمر الأول لمناهج المعاهد العلمية، الذي عقد في جامعة صنعاء، أواخر سبعينيات القرن الماضي، وشارك فيه خبراء ومختصون وموجهون، إضافة إلى أساتذة من جامعة صنعاء، يمنيين وغير يمنيين.

ولما كانت المعاهد العلمية تتوزع بين جهات إدارية متعددة، فقد كلف الرئيس علي عبدالله صالح لجنة برئاسة القاضي عبدالكريم العرشي، رئيس مجلس الشورى، وعضوية وزراء وعلماء وقضاة وأساتذة من الجامعة، للنظر في وضع المعاهد من الناحية الإدارية والمنهجية، فكان الشيخ حمود هاشم قطب الرحى في تلك اللجنة - مستعيناً بفريق من العاملين معه - يجهز الملفات عن كل سؤال تطرحه اللجنة، أو أي قضية تبحث عنها، وبعد أن رفعت اللجنة توصياتها إلى رئيس الجمهورية، أصدر قراراً بإنشاء الهيئة العامة للمعاهد العلمية، واعتماد هيكلها الإداري تحت إشراف وزارة التربية والتعليم، وضم جميع المعاهد التي تتبع وزارة التربية ورئاسة المعاهد والهيئة العلمية التربوية تحت إدارتها، واعتماد موازنتها في ضمن الموازنة العامة للدولة، وصدر قرار بتعيين القاضي يحيي بن لطف الفسيل رئيسًا لها، والأستاذ عبد الملك منصور وكيلاً، والشيخ حمود هاشم وكيلا مساعداً، وقد عمل بجد وإخلاص لمدة عشرين عاما أنجز فيها الكثير تحت رئاسة القاضي يحيي الفسيل، ثم القاضي أحمد عبد الله الحجري، وتحت إشراف عدد من الوزراء، الذين تعاقبوا على وزارة التربية والتعليم.

الصفة الأبرز التي اشتهر بها الشيخ حمود هاشم؛ خدمة الناس، والتفاني في إغاثة الملهوف، ونصرة المظلوم، وقضاء حاجات من يفدون إليه من كل الجهات، وكان ديوانه أشبه بمضافة مفتوحة للقريب والبعيد؛ فلا يسأل عن مكانة أحدهم الاجتماعية أو الاقتصادية، ولا انتمائه السياسي أو القبلي، ولا من أي منطقة جاء شمالاً أو جنوباً، شرقاً أو غرباً، وبمجرد أن يفهم القضية ويقتنع بحق صاحبها، يقوم بتبنيها، ويذهب منفرداً أو مع صاحبها لمقابلة المسؤولين، ولا يخرج حتى ينجزها، قد يكون الطلب عند رئيس الجمهورية، أو رئيس الحكومة، أو في أي وزارة أو مصلحة حكومية، وقد يتعلق الأمر بقضية عند أحد المشايخ أو الوجهاء، وحين يحالفه التوفيق، تكون السعادة عنده أكثر من صاحب الشأن.

تلك المساعي الحميدة التي كان يقوم بها الشيخ حمود، صارت مشهورة، يتناقلها الناس كدليل على أن في الأمة خيراً لا ينقطع، وأصحاب شهامة ومروءة في كل زمان، وسأنقل هنا بعض الشهادات التي ذكرها بعض من عرفها أو عايشها، بتصرف يسير يناسب مقام الاقتباس.

كتب الدكتور/ عبد الله الفروي مترحماً على الشيخ حمود هاشم فقال:

(... ونحن في فناء وزارة المالية، مجموعة من الشباب الذين لديهم قرارات باعتماد منحة الدكتوراه، لكن هيهات أن تحصل على أمر من وزير المالية بالاعتماد المالي، وكيف لك أن تصل إلى وزير المالية، ولو وصلت فكيف لك أن تقنعه، وكيف... وكيف...؟

إنه الشيخ حمود يا شباب: صرخ أحد زملائنا للمرة الثانية والثالثة، همست بداخلي

- وإيش يعنى الشيخ حمود؟!

يا شباب: هذا الذي سيحل مشكلتنا، الحقوا بعدي.. فيجري ونحن نجري خلفه كالمجانين، لا ندري إلى أي مصير يقودنا هذا المتهور!

أدركنا الشيخ على بوابة المبنى الخاص بالوزير، ناديناه يا شيخ يا شيخ: توقف الرجل مرحبا ومهللا، كأننا سنعطيه شيئا، تعجبنا الثلاثة من وقفته وترحيبه، كل منا يعتقد أن الشيخ يعرف أحدنا - وهو في الحقيقة لا يعرف أحداً منا- يا شيخ نحن طلبة دكتوراه في مصر، وأوراقنا كلها مكتملة، وجميع الشروط المحددة من الوزارة متحققة فينا، لكننا لا نستطيع مقابلة الوزير لاستخراج الأمر باعتماد الأثر المالي، أخذ المذكرة بعد أن تفهم الأمر جيداً، وسأل عن الوثائق، وتحقق منها بنفسه بخبرة إدارية عميقة، وقال: خلاص مفهوم، مطلوب توجيه الوزير.. فليدخل معي واحد منكم.

دخل إلى الوزير - وأنا معه - بلا موعد مسبق، تعجبت من القبول الذي كان يلقاه في كل المكاتب، وصولاً إلى مكتب الوزير.

فتح حقيبته، وبدأ في استعراض الموضوعات التي سيشفع فيها، تجادل مع الوزير، وأقنعه في كثير منها، ثم عرض موضوعنا، وتحدث عن معاناتنا، وعما لاقيناه من تعب في مرحلة الماجستير، ولابد من تتويج هذا بالحصول على الدكتوراه، وشرح للوزير مؤهلاتنا، واستعرض شهادات التفوق، كل هذا؛ وأنا واقف أتعجب: كيف لهذا المحامي أن يعرض قضيتي خيراً مما أردت! والوزير ينصت بأدب واحترام لهذا الشيخ العجيب في حواره، كما هو عجيب في هندامه.

لم يزد الوزير على تناول الملف، ووجه فيه توجيها صريحا، والتفت نحوي قائلا: (زدتم عليّ بالشيخ)! وقلت له ملاطفا: نصرنا الله عليك به! ومكث الشيخ نحو نصف ساعة، لكنه أنجز قضايا كثيرة.

نزل الشيخ والكل يرحب به ويبش له، وصلنا للبوابة، وكان الزملاء ينتظرون بفارغ الصبر، تسألنا أعينهم قبل ألسنتهم، لم يزد على أن قال: يالله يا شباب، شدوا حيلكم، وعودوا لتبنوا وطنكم، البلد محتاجة لكم قوي.. وإذا احتجتم شيئاً اتصلوا بي!

تدحرجت المعاملة، وسارت في أروقة الوزارة أياما قليلة، لكنها تعثرت في مكتب الوكيل، وكدنا نفقد الأمل مرة أخرى، فقال أحدهم: هيا نذهب للشيخ حمود، أو نتصل به، قال آخر: المرة الفائتة كانت فرصة وحظاً، ولكن أن يأتي الشيخ مرة أخرى لأجلنا، فهذا مستبعد لانشغالات الشيخ. اتصلت به، وذكرته بنفسي وبموضوعنا، وشرحت له القضية، طلب مني أن نأتي صباحا إليه في البيت، ونتحرك سويا، وفعلا ذهبنا إليه، وشاهدنا عدداً كبيراً من الناس؛ كل بيده ملف، وله قضية مختلفة عن الآخر، الكثير منهم تناول الإفطار في بيت الشيخ، وبعضهم بات من البارحة في ديوانه.

تحركنا معه، وقصد وزارة ثم أخرى ثم مؤسسة؛ يمكث في كل جهة حينا من الوقت، ثم ينزل ويناول كل واحد معاملته، وبعدها اتجه إلى المالية، وبالطريقة نفسها أخذ المعاملة وأنجزها، ومعها عدد من المعاملات.

انتهت علاقتنا بالشيخ في ذلك الموقف، ولم يكن يعرفني ولا يعرف أحداً من زملائي، ولم يسألنا من أي محافظة أو قبيلة أو حزب أنتم!

تحرك معنا بصدق وحب واجتهاد؛ كأنما سينجز الأمر لنفسه، كنت ألحظ السعادة تنفرط من عينيه، وهو يناول كل صاحب حاجة حاجته، وقد قضاها له، كان يشعر أنه مسؤول عن قضاء حاجات الناس، وليس مجرد متعاون مع الآخرين!)

وهذه شهادة الشيخ محمد عيضة شبيبة وزير الأوقاف والإرشاد، الذي يقول:

(رحمك الله يا شيخ حمود، لقد كنت تُغيث الملهوف، وتصنع المعروف، وتحمل الكَلّ، وتُعين على نوائب الدهر).

رحمك الله؛ فكم سَخّرْتَ وجاهتك في قضاء حوائج الناس وخدمتهم؛ لقد كان يأتيك المُحتاج ممن يُريد شفاعتك، وما أكثرهم! فتصحبهم في سيارتك، لا تسأل عن مذهبهم أو حزبهم أو منطقتهم، وتذهب بهم إلى الوزارة أو الرئاسة، أو أي إدارة حيثما كانت حاجتهم، فلا تعود إلا بقضائها، وكأن ذلك أمر لازم، أو لهم عليك حق، أو هم من خاصتك وأهلك، بينما أغلبهم لا تعرفه إلا في تلك الشفاعة وتلك الساعة.

رحمك الله! فكم من نفوس أسعدتها، وأعين جففت دمعها، وقلوب جبرت كسرها.)

وقال عنه الأستاذ الخضر سالم بن حليس:

(عرفته رجل عامة؛ يتصدر المواقف، ويعيش المعاناة، ويعشق المبادرة والإقدام، صحبته نحو عام، فلم أرَ إلا عطراً يدبّ على الأرض.

لم يكن الشيخ حمود يعرف النرجسية السمجة، بل كان التواضع أبرز مميزاته،

وكانت البساطة ترافقه في جميع تحركاته؛ كان يخطب ويدرّس، ويشهد المحافل نصرة للحق.)

وقال عنه د. بسام ضويحي:

(عرفته منذ أكثر من ثلاثين عاما، مبادراً إلى عمل الخير، ساعيا دؤوبا في قضاء حاجات الناس، وخاصة الإخوة الأشقاء الذين حلوا ضيوفا على الشعب اليمني الكريم، من سوريين وعراقيين ومصريين وفلسطينيين؛ فأشهد أنه كان يترك أعماله الخاصة، ليقضي حوائج ضيوف اليمن، مستخدما كافة علاقاته الاجتماعية ومعارفه الشخصية.)

وهذا الشيخ محمد بن علي الوشلي الحسني، يؤكد المكانة التي كانت للشيخ حمود هاشم الذارحي؛ فكتب تفصيلاً واسعاً اقتطف منه هاتين الفقرتين:

(منذ عقود وأنا أسمع عن عالم من علماء اليمن المعروفين، رحمه الله، أسمع عن علمه، وعن عقله، وعن كرمه، وعن شجاعته وغيرته، وعن خدمته للناس، والسعي في حاجات الفقراء والمساكين، سمعت عن ذلك كله، وسمعت عن نشاطه العلمي والدعوي، وعن غيرته حين تنتهك محارم الله، فكنت أُمَنّي نفسي بزيارة اليمن لأمور كثيرة، منها لقيا هذا الداعية الفذ رحمه الله.

قبل بضع سنين وإبان تعاوني مع برنامج "تواصل" علماء اليمن، التابع لوزارة الشؤون الإسلامية، مرض هذا العالم مرضاً شديداً، انتقل على إثره إلى رحمة الله،

وهالني حجم الحزن الذي أصاب أهل العلم والدعوة في اليمن بوفاته، ووصلتني كلمات رثاء عظيمة قيلت فيه، وإذا المخالف له ينافس الموافق في رثائه، وتعداد مناقبه، وإذا بي أسمع ممن عرفه، وممن لم يعرفه فضائل ومآثر لا تكاد تجدها إلا عند النادر من الرجال..).

التاريخ المجيد للشيخ حمود هاشم الذارحي، لم يمنع عنه الابتلاء والمحنة، وكأن ذلك الدأب والإخلاص والتفاني في خدمة الناس، كان لا بد أن يتوج باختبار صلابته في الشدة والضيق؛ فبعد سيطرة الحوثيين على العاصمة صنعاء، اقتادوه إلى سجونهم السرية، فما لانت له قناة، وما أظهر وهَناً ولا ضعفا، بل ظل ذلك الطود الأشم الذي لم يزدد إلا إيمانا وثباتا، وقد كان سجنه محل استنكار شعبي واسع؛ فتم الإفراج عنه، لكنه خرج من السجن وقد تدهورت صحته، وتم نقله إلى الأردن للعلاج، وهناك ودع الحياة صابرا راضيا باسما، فتوفي رحمه الله بأحد مشافي مدينة عمان في 25 من فبراير 2016م، ونقل جثمانه إلى صنعاء، وتم تشييعه في جنازة جماهيرية مهيبة، عبرت عن حب الناس وتقديرهم له، غادر الدنيا بعد حياة حافلة بالخير والعطاء والمبرات، تاركاً أطيب الذكر في نفوس من عرفه أو سمع عنه، ودفن في مقبرة حي الأصبحي جنوبي العاصمة صنعاء، وقد خلف ثلاثة أولاد وثلاث بنات.

أصداء الرحيل

عم الحزن أوساط اليمنيين عقب نشر خبر وفاة الشيخ حمود هاشم الذارحي، وامتلأت مواقع التواصل الاجتماعي بالترحم عليه، ونشر صوره وسيرته وأعماله، والإشادة بمناقبه، ودوره الوطني في مختلف المراحل والمواقف، ونظم شعراء قصائد

رثاء في الفقيد، تناولت جوانب من سيرته وأعماله وخصاله، ولاقت تداولًا واسعا بين الخاصة والعامة.

ونعت رحيله شخصيات سياسية وفكرية يمنية، منهم علماء ووزراء ومفكرون، وبعث رئيس الجمهورية عبدربه منصور هادي برقية عزاء لأولاده وأسرته، واعتبره مناضلاً جسوراً، مشيداً بأدواره البطولية، ومواقفه الاجتماعية التي تميز بها، وقيامه بحل الخلافات بين المتخاصمين في مختلف المحافظات، منوهاً بإسهاماته في الأعمال الخيرية.

وتجاوز الحزن اليمن إلى العالم العربي، وخاصة أرض فلسطين التي كانت قضيتها في قائمة أولوياته، من خلال موقعه كنائب لرئيس الهيئة الشعبية لنصرة فلسطين وقضايا الأمة، وترؤسه القافلة اليمنية الأولى لكسر الحصار عن قطاع غزة، ونعى وفاته الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، كما نعاه وأشاد بمناقبه ومواقفه عدد من العلماء والمفكرين والسياسيين في الوطن العربي.

وفي بيانٍ ضافٍ نعت الهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح الشيخ حمود هاشم الذارحي، وعبرت عن حزنها العميق لرحيل أحد أعضائها المثابرين الصابرين، وقالت: إنه بدأ حياته تلميذًا محبًا للعلم، منذ خمسينيات القرن الماضي، ومضى في ذات الطريق؛ ينهل العلم من منابعه الصافية، حتى صار مدرسة في العلم الشرعي، وظل منذ أن وعى الحياة من حوله داعية خير، ومصلحًا اجتماعيًا من طراز فريد، لا يعرف الكلل، ولا يتطرق إليه اليأس في أحلك الظروف، وأسهم في تطوير تجربة التعاونيات، من موقعه

كرئيس لهيئة التعاون في مدينة شبام كوكبان مسقط رأسه، وتنقل في السلك الحكومي، متمثلًا مواصفات رجل الدولة المتفاني والمحب لوطنه، وكان داعية للمحبة والوئام، يبحث عن نقاط الاتفاق، ولديه قدرة فائقة على الإقناع، وحسن تقديم النصح، خاصة لكبار المسؤولين، لغزارة علمه وثقافته، ثم قدرته على توظيف الحِكَم والأمثال، مع الدعابة التي تداوي ولا تجرح.

واختتم بيان النعي قائلاً: لقد مضى الفقيد إلى ربه، وقد عرفته اليمن سهولها وجبالها وجهًا، خدومًا، متسامحًا؛ لا يتردد عن فعل ما بوسعه لخدمة الناس، لا يفرق في ذلك بين من يعرف ومن لا يعرف رحمه الله.

ومن أجمل من كتب عنه نثراً وشعراً، الأستاذ أبوعبد الرحمن صالح بن محمد بن حليس اليافعي، الذي جاوره في السكن، وجالسه ورافقه خلال ربع قرن، فتحدث بعاطفة جياشة، ومعرفة لصيقة، **ومما جاء في كتاباته:**

(إنه ضوء صنعاء، وها هو قد انطفأ، مات كما تموت النجوم الساطعة، انطوى علم من أعلامنا التاريخية، المشهود لها بالجمع الموفق - بفضل الله - بين حماس الشباب، وحكمة الشيوخ، ورزانة تجارب الحياة.

فقدت اليمن أحد أعمدتها الأساسية، وأُغمد سيف من سيوفها؛ كان فقيدنا الحبيب - رحمة الله عليه- . وعلى الأجيال أن تتعلم من سيرته . نموذجا للتواضع؛ لا يحب التباهي، ولا يتسلل إلى قلبه الغرور والغطرسة، يجسد البساطة، وحسن الخلق،

وإكرام الضيف، وتأمين المستجير، وغسل قلوب الأرامل والأيتام، ومتابع جاد لإطلاق سراح المسجونين ظلماً، ورمزاً من رموز العزة والشموخ؛ يثير الإعجاب في نفس كل من يقابله أو يتعرف عليه عن قرب..)، كما نظم فيه خماسيات شعرية، نشرها في كتابه (دموع قلم وفيّ).

وقال الشيخ محمد الصادق مغلس في توديع أخيه الشيخ حمود هاشم رحمه الله:

وَإِحْدَى النَّـوازِلِ فِي يَوْمِنَا ..... وَإِحْدَى الطَّوَارِقِ إِحْدَى المِحَنْ

فَقَدْ غَيَّبَ المَوْتُ نَجْلَ اليَمَنْ ..... (فَتَى هَـاشِمٍ) مِنْ سَلِيْلِ الحَسَنْ

فَتَىً لِلْحَـوَ ائِجِ وَالمُعْضِلَات ..... وَقُطْبُ مَعَاهِــدِنَا المُؤْتَمَنْ

وَفَحْلُ التَّصَالُحِ والصَّالِحَات ..... يُزكِي الوَجَـاهَةَ مِنْ غَيْرِ مَنّْ

يُنَاضِلُ إِنْ جَاءَه المُسْتَغِيْثُ ..... أَكَانَ المُــوَ افِقَ أَمْ لَمْ يَكُنْ

هُوَ اللَّيْثُ تَخْشَاهُ كُلُّ اللِّيُوْث ..... هُوَ السَّيْفُ لِلْحَـقِّ أَو كَالمِجَنّْ

يُوَالِي على الدِّيْنِ لا التُّرَّهَات ..... يُوَالِي على النُّـورِ ثُمَّ السُّنَنْ

وَذَلِكَ ظَنِّي وَلا أَعْتَـدِي ..... وأَرْجُــو لَهُ اللهَ فَيْضَ المِنَنْ

ورثاه الدكتور/ عبد المجيد المخلافي بقصيدة منها هذه الأبيات:

يا رفيق الدرب في أرض اليمن..... يا شجاع العقل في دفع الفتن

هزني المـوت لفقدك يا أخي ..... إن روحي نحو روحك كم تحن

كنت للإصلاح سهما جـاهزا..... كنت درعـا في ملمات المحن

كم من الناس أتوك قـاصدين ..... فلـذات البين صلحا لـم تمن

تحمل طبا يداوي جـرحهم..... بل تداوي سقـم حكام علن

دون أن تخشى طغـاة منهم ..... حكما تهـدي بعـزم لم يلن

كنت ذو جـد وجهد لا تمل ..... لصلاح الأمـر تمضي لم تهن

وهذا بعض ما كتبه زميله الأديب/ يحيى بن شرف بن علي بن حمود شرف الدين:

(كان رحمه الله مثلاً صالحا للقدوة الحسنة؛ فقد رزقه الله من مواهب المروءة وشمائل الفتوة، ما جعله يحتل مركز الصدارة بين أعلام عصره.

تعود أول معرفتي به إلى أيام الطفولة؛ ولم نتجاوز معاً عمر المراهقة، حين كنا ندرس في مدرسة كوكبان الابتدائية، معتمدين على الكتابة في اللوح الخشبي، والمداد المكون من الجص الأبيض، والقلم الحلّال، وكان شعلة من الذكاء، يحقق من التحصيل العلمي كل يوم، ما لا يحققه غيره في شهر بأكمله.

وهكذا شاءت له قدراته - بتوفيق من الله - أن يرتقي في مراحل التعليم، وسرعان

ما التحق بالمدرسة العلمية بكوكبان، وعلى يد الأخ العلامة حمود محمد شرف الدين، فقطع شوطاً كبيراً في دراسة كتب الأصول والفروع، والحديث وعلم العربية.

كان شغوفا بحب الخير، وبذل المعروف والإحسان لكل من يقصده، وكم من مرة، بل ومرات لا تحصى، رأيته يتابع قضايا كثير من ذوي الحاجة بشتى الوسائل، من دون سأم أو كلل أو مَنّ، وصحبته سفراً وحضراً؛ فوجدته خفيف الظل، رقيق الطبع، تهزه الأريحية، وتطربه الفكاهة، بعيداً عن التزمت والرياء). ثم رثاه بهذه القصيدة:

فاجعٌ ألهب النهى والمشاعر ..... وطوى كوكبَ العُلى والمفاخر

وأسأل النفوس من كل عين ..... أضرم الخطبُ نارها في المحاجر

فهمت بالأسى نجيعا وضاقت ..... أنفس الناس في اللُّهى والحناجر

جزعاً إذ قضى حمود وولى ..... عن دنانا وغيبته المقابر

علم المتقين والعابد السجاد ..... والعالم الحكيم الماهر

ورضيع العلوم مذ كان في المهد ..... وقد شب هائما بالدفاتر

وحليف القرآن والسنة الغرا ..... وراوي صحاحها في المنابر

كان للسائرين في غيهب العيش ..... منارا يشق داجي الدياجر

ومقيلا عثار من قد رآه ..... يسلك الوعر في الضحى والهواجر

عاش في الناس منجدا ومعينا ..... وشفيقا لكل عــان وعــاثر

خلقـه السمح كان أصفى و أنقى ..... من ندى الطل في ثغـور الأزاهر

يفتدي البائسين بالنفس والمـال ..... بوجـه كأنه الفجــر سـافر

منطق يسحر العقــول وقلب ..... وسع الناس في القرى والحواضر

كم شهدنا مــو اقفا كان فيها ..... رابط الجـأش عنـد ناه وآمر

ليس يخشى في الحق لوم رئيس ..... أو مليـك يهــز بيض البو اتر

ورثاه الأستاذ عبد الرزاق الملاهي بقصيدة منها هذه الأبيات:

اِقْرَأْ سِجِلَّكَ في الْخُلُـودْ ..... وَ اقْطِفْ ثِمَارَكَ يَا (حُمُـودْ)

ذُقْ غَرْسَكَ الْحُلْوَ الْجَنَى ..... غَرْسَ الرُّكُوعِ أَوِ السُّجُودْ

غَرْسَ الْمَعَاهِدِ وَالْمَسَاجِدِ ..... وَهْيَ تَشْهَـدُ بِالْجُهُـودْ

مُلِئَتْ صَحَـائِفُكَ النَّظِيفَةُ ..... بِالْعَطَـاءِ وَبِالصُّمُـودْ

يَا كَوْكَبَ (الإِصْـلاحِ) ..... يَا نَجْماً أَضَاءَ لَهُ الْوُجُـودْ

يَا صَـالِحَاً.. يَا مُصْلِحاً ..... يَامَنْ مُلِئْتَ نَدىً وَجُـودْ

رحم الله الشيخ حمود هاشم الذارحي، وتقبله في الصالحين، وحشره في المهديين، وأسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

حميد شحرة الإعلامي المتألق

(1393 - 1427هـ) (1973 - 2006م)

الأستاذ حميد بن أحمد علي محمد شحرة؛ العزم الفتي، والقلب الذكي، والفؤاد النقي، والوطنية الخالصة، والأمل الذي ما انفكَّ يرقب عزيمة الشباب وهمة الرجال.. عاشق الحرية، كاره الاستبداد، محب المساواة، مبغض التمايز، داعية العدل، مقاوم الظلم، ظل يحلم بوطن يتعايش فيه جميع أبنائه، بحرية وكرامة وتآلف، وعندما يختلفون، يلجؤون للحوار لا العنف.

ولد في قرية الشُّعَيبة، عزلة الحرث مديرية بعدان، محافظة إب، التحق بالتعليم العام، وظهرت مواهبه الإعلامية في الإذاعة المدرسية والأنشطة الطلابية، منذ كان

طالبا، في مدرسة خالد بن الوليد بمدينة إب، ونشط في إعداد الصحف الحائطية، وكتابة المسرحيات، وكان يشتري الصحف، وبعضها غير عربية، ليستفيد من الرسوم، وشكل الإخراج، ثم درس في معهد المعلمين، وبعد تخرجه عمل في مكتب التربية والتعليم بمحافظة إب، وتميز بنشاطه الاجتماعي والنقابي، الذي جعله شخصية معروفة في مدينة إب، رغم صغر سنه.

عاش طموحاً وعصامياً، يعتمد على نفسه؛ تزوج مبكراً، وسكن في بيت مستقل، لكنه دائم الصلة بأرحامه؛ يكرمهم ويعطف عليهم، ويساعد المحتاج، ويسامح المخطئ، ولا يعاتب المقصر.

كان منفتحا؛ يحب التواصل مع الآخرين، فأقام علاقات مع الأدباء والسياسيين، واستفاد من كبار العلماء والدعاة في محافظة إب، فأنار الله بصيرته، وسار على هدى، يغار على دينه، وينافح عن الحق والعدل، ويكشف الظلم والفساد والزيف والخداع، والتلبيس والتدليس على الناس، ويقتحم الصعاب غير وجل ولا هياب، وأصبح متعلقاً بالدعوة إلى الله، وبيان جمال الدين وكمال الشريعة، والردود على الشبهات التي تثار ضد الإسلام وتاريخه ورموزه.

وكان شغوفًا بالقراءة منذ صغره، يوفر من مصروفه لشراء الكتب، لم يكمل الإعدادية إلا وقد جمع كمية كبيرة من الكتب، وكان أخوه (عليّ) نجاراً، فصنع له مكتبة استوعبت كتبه التي كان يضعها في كراتين تملأ جنبات بيتهم المتواضع.

تميّز حميد بالشجاعة والإقدام، وقوة التأثير، والثقة بالنفس، ومن مواقفه الدعوية أنه شارك في رحلة طلابية إلى عدن قبيل الوحدة عام 1989م، وكان مسؤولاً في اللجنة الثقافية، فرتب مع مدير تربية صيرة مكان الإقامة في المدرسة الفنية، وفي المساء أقيم سمر حضره طلاب المدرسة الفنية ومسؤولو التربية، كان السمر مشوقاً، ومحل استغراب وإعجاب؛ فيه الأناشيد والكلمات، والمشاهد المسرحية، وتضمن انتقادات سياسية واجتماعية، ولم يكن الإخوة في عدن قد اعتادوا على هذه الفضاء من الحرية!

بعد السمر، خلد الجميع للنوم إلا حميدا، فقد اصطحب معه بعض زملائه، وجلسوا مع مجموعة من طلاب المدرسة الفنية، الذين وجد أن لديهم الكثير من الشبهات حول الإسلام، وعلقت بأذهانهم تصورات مشوشة عن إخوانهم في الشطر الشمالي من اليمن، واستمر يحاورهم حتى الفجر، وكان ذلك فاتحة لعلاقة حب وإخاء معهم.

شارك في تحرير صحيفة (المشكاة) الصادرة عن نقابة المعلمين، وصحيفة (النهار) الصادرة عن فرع الإصلاح في إب، كما أصدر مع الأستاذ عبدالفتاح البتول نشرة **(الرأي الحر)**، وبمرور الأيام تبين أن ثوب محافظته لم يعد يتسع لنشاطه وتطلعاته، فانتقل إلى العاصمة صنعاء، وعمل محررا في مجلة النور الشهرية، وكاتباً في صحيفة الصحوة الأسبوعية، وكانت كتاباته مميزة في الجانب السياسي والفكري والاجتماعي، وتواصل مع صحيفة المستقلة اللندنية وصار مراسلاً لها، ثم عمل باحثاً وإداريًا في المركز اليمني للدراسات الاستراتيجية، وشارك في إصدار مجلة "نوافذ" الشهرية التي كانت تصدر عن المركز، وعمل سكرتيراً لمجلة شؤون العصر الفصلية، التي كانت تصدر عن المركز.

كان حميد شحرة يطوي أيامه بسرعة فائقة، ويحقق في أشهر، ما يعجز عنه غيره في سنوات، ولمع نجمه بإصداره صحيفة الناس الأسبوعية عام 2000م، والتي ولدت متميزة بتجردها، وصدقها وجرأتها، وانفتاحها على كل التيارات السياسية، واستطاع رحمه الله أن يجمع فيها الأضداد، فجعل القراء يستمتعون بقراءة مقالات الكتاب المشهورين، من كل ألوان الطيف السياسي، بمن فيهم المحسوبون على السلطة، مع أن الصحيفة أقرب إلى المعارضة، وكان بذلك يثبّت رسالة للأجيال، بضرورة أن يتعايش أبناء الوطن معاً، مهما اختلفت آراؤهم وتوجهاتهم السياسية، وهذا ما يحتاجه العرب والمسلمون، ليتخلصوا من حدة الاستقطاب والتباعد والتنافر، الذي حرف جهود النُّخب السياسية والفكرية نحو الصراع، وتبديد الإمكانات، وصرفهم عن البحث عن القواسم المشتركة التي تجمعهم، وما أكثرها!

استطاع حميد شحرة أن يجعل صحيفة الناس في طليعة الصحف اليمنية، وأن يحولها إلى مؤسسة صحفية تصدر عنها عدة مطبوعات، ومن بينها مجلة "نوافذ" الفكرية، ومجلة "نماء" الاقتصادية، وتمتلك دار توزيع وإعلان، وطاقما كبيرا من المحررين والموظفين، وكان بصدد تحويل الصحيفة إلى يومية، واشترى لها مطبعة خاصة، وأسس موقع "ناس برس" الإخباري، الذي بدأ بثه التجريبي في شهر مايو 2005م، وكان له تغطية فعالة في الانتخابات الرئاسية والمحلية عام 2006م، وحصد جائزة التغطية الإعلامية النزيهة للانتخابات الرئاسية في اليمن، الذي أعلنت عنه الشبكة العربية للانتخابات، ومركز عمان لدراسات حقوق الإنسان.

وعندما لمع نجمه، واتسعت شهرته وشعبيته، واتضح تأثيره؛ استدعاه الرئيس علي عبدالله صالح، وجلس معه، وراح يلاطفه، رغبة في استمالته، ولكنه ظل بإرادته الصلبة، وعزمه الذي لا يلين، وعلى منهجه الذي يأبى الانحياز إلا إلى هموم الشعب وتبني ألامه وآماله، فأحسن التعاطي مع الموقف، وقبل الدعم المالي الذي قدمه الرئيس لمؤسسته، وجعله في شراء أصول لمؤسسة الناس، حتى لا تتاثر إذا توقف ذلك الدعم، ولم يكن سهلاً على شاب طموح مثله أن يظل ثابتاً على مبدأه ولا يأخذ بلبّه القرب من الحاكم، فاستمر نشاطه وأداؤه الإعلامي كما كان عليه من قبل.

صدر للأستاذ حميد شحرة كتابه المشهور **(مصرع الابتسامة)**، الذي أرّخ فيه لثورة 1948م الدستورية، وتتبع أحداثها، وله عدد من الدراسات والرؤى المستقبلية، وكتب مقالات كثيرة في صحف يمنية وعربية، وشارك في عدة فعاليات ثقافية في اليمن وخارجها، وكان عضواً ومؤسساً في نقابة الصحفيين اليمنيين، وفي الهيئة الوطنية للدفاع عن الحقوق والحريات (هود)، ونقابة المعلمين اليمنيين.

بعد جهد مضنٍ في تغطية انتخابات الرئاسة اليمنية 2006م، رأى أن يعطي نفسه فرصة للاسترواح، فذهب مع زوجته وأولاده لأداء العمرة، وفي طريق عودته انقلبت سيارته، قبل أن يصل مدينة القناوص القريبة من الحديدة، ليسلم الروح لباريها، وتنطفئ تلك الشعلة الوقادة في ريعان الشباب، فقد كان لمّا يزل فتيًا في سن الثلاثة والثلاثين.

مات الشاب الإنسان، الذي ظل إلى آخر لحظة في حياته، يكافح الفساد بقلمه

اللاذع، ويعلي قيم الحق والعدل، ويحمل هموم المظلومين، ويتبنى قضاياهم، وسكنت تلك الروح الداعية للحب والوئام، ولكنها ظلت ملهمة للأجيال.

قال عنه الدكتور أحمد بن دغر رئيس الوزراء السابق، ونائب رئيس المؤتمر الشعبي العام: (لقد فقدت اليمن بغياب حميد شحرة صحافياً متمكناً، وكاتباً على درجة عالية من الأخلاق والارتباط بالقيم، فما أكثر الصحافيين والكتاب في الوطن العربي، ولكن ما أقل الجادين والصادقين بينهم، وقد أثبت حميد بالتجربة والأفعال، وليس بالأماني والأقوال، أنه صاحب مبدأ لا يحيد عنه، تجلى ذلك في صحيفة (الناس)، التي أنشأها وأدارها باقتدار وحرص على أن تجمع في تحريرها ألوان الطيف السياسي، مع الالتزام الصارم بالبعد عن الإسفاف، والسقوط في درك النميمة، وإشعال الحرائق المصطنعة، والبحث عن موضوعات سطحية وعابرة، بحجة استقطاب القراء، حسب زعم الصحافيين الفاشلين، الذين احترقت صحفهم بنيران الإثارة، في أقصر وقت من الزمان).

عاش الأستاذ حميد شحرة بسيطاً سهلاً متواضعاً، لكنه كان طوداً شامخاً، وعلماً بارزاً، يحاور ويناور، ولا يفرط في مبادئه، يتعامل مع الأصدقاء والخصوم دون أن يتخلى عن رسالته، وعلى الرغم من نهايته المؤلمة، إلا أنها جاءت حُسن خاتمة بعد طاعة وعبادة، وصيام وعمرة.

ولد حميد بن أحمد بن علي محمد شحرة في 18/ 9/ 1393هـ الموافق 14/10/ 1973م، في محافظة إب، وتوفي بتاريخ 1427/10/3هـ الموافق 2006/10/25م، وخلف

خمسة أولاد وبنتاً، ودفن في صنعاء بمقبرة الشيخ سنان في حدة، أسأل الله أن يتقبله في الصالحين، ويحشره في المهديين، وأن يسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

14

خالد المقداد التربوي الحازم

(1358 - 1431 هـ) (1939 – 2010م)

الأستاذ خالد محمد سعيد أحمد المقداد؛ تربوي قدير، أفنى عمره في حقل التربية والتعليم، صاحب المبادئ والقيم النبيلة، التي ظل يحملها طول حياته؛ معلماً، أو في كراسي القيادة التربوية المتعددة التي شغلها، أو كأحد وجهاء المجتمع ورموزه.

ولد عام 1939م في قرية الحدية، عزلة الحسية بالرونة، مديرية شرعب بمحافظة تعز، وبيت المقداد يرجعون لمديرية آنس بمحافظة ذمار.

وعندما اشتد عوده، سافر إلى المملكة العربية السعودية، فعمل مع والده في مكة،

والتحق بالمدارس الليلية، حتى أكمل المرحلة التوجيهية، ثم انتقل إلى الطائف، وعمل في الإسعاف الخيري مع الهلال الأحمر، وبعد ثورة سبتمبر 1962م، عاد إلى تعز، وعمل في حقل التدريس، ثم في الإدارة التربوية، وينسب إليه تصميم الشهادات، وجداول كشوف الامتحانات التي اعتمدتها وزارة التربية، وعممتها على سائر المحافظات.

ومع عمله في التدريس، ثم في الإدارة، واصل تعليمه وحصل على الثانوية العامة القسم الأدبي عام 1970م، وحصل بعدها على معادلة جامعية في العلوم الشرعية، ثم حصل على الماجستير من معهد الدراسات الإسلامية بالقاهرة، وأخذ دورات تدريبية كثيرة في اليمن وفي الخارج.

كان خلوقاً، سباقاً للخير، يتسم بالهدوء وعدم الانفعال، مضيافاً كريم النفس، بيته مفتوح للبعيد والقريب، وللصغير قبل الكبير، لا يتأخر عن خدمة من يعرف ومن لا يعرف، ولا يبخل بشفاعته لمن يحتاجها عند مسؤول.

كان مثالا للمربي المخلص، والإداري الناجح، والمسؤول الذي يستغرق العمل وقته وجهده، يحرص على إنصاف مرؤوسيه، ويقدم الأكثر كفاءة وقدرة، وقد تدرج في السلم التربوي والإداري في كل مراحل حياته، واستحق التقدير والتكريم منذ أن كان معلمًا متميزًا في مدرسة الثورة الابتدائية بتعز، فمديراً للمدرسة، ثم مساعداً لمدير عام مكتب التربية بتعز، فمديراً عاماً للمكتب لفترتين (1975 و 1989م)، وعين مساعدًا للملحق الثقافي في السفارة اليمنية بالقاهرة، ثم ملحقاً ثقافياً (1982م)، ومديراً عاماً للشؤون المالية والإدارية بمركز البحوث والتطوير التربوي، ثم مساعدًا لمدير المركز،

وفي كل المواقع الإدارية والمالية والتربوية التي شغلها، حتى تعيينه مستشارا لوزير التربية والتعليم بدرجة وزير، ظل ذلك الإداري الحازم الكفوء والنزيه.

كان كثير الفعال، قليل الأقوال، صوته خافت، لكن إدارته حازمة، استطاع أن يكسب احترام كل من عرفه من محبيه ومخالفيه، بل كان قاسماً مشتركاً عند الخلاف بين فرقاء السياسة، وشهدت محافظة تعز – تحت إدارته لمكتب التربية والتعليم - نهضة تربوية واسعة.

كان شهماً كريماً متسامحاً، ومن شهامته وسعة صدره، عندما كان مديراً عاما للتربية، أن قام أحد الطفيليين بتزوير خطه وتوقيعه، لخدمة أحد المراجعين، الذي أراد استكمال معاملته، فاكتشف أحد الموظفين التزوير، وأوصل الرجل إلى الأستاذ خالد، فطلب من صاحب المعاملة إحضار من قام بالتزوير، ووعده بأن لا يمسه بسوء، ولما جاء المزوِّر، أنَّبَه ونصحه، وبين له الآثار الخطيرة لجريمة التزوير، فكان درساً عملياً من مسؤول وأخ كبير، والتزم المزوّر ألا يعود لمثله، فأخلى سبيله.

بدأ رحلته التربوية من بعد الثورة اليمنية، وقد عرفته - مع ثلة كريمة - من خيرة المعلمين عندما كان يدرسنا الرياضيات، في الصف الثالث الابتدائي، بمدرسة الثورة بتعز، ونمت علاقتي به منذ ذلك التاريخ، حتى توفاه الله تعالى، كان يتميز بخطه الجميل، وتوجيهاته الهادئة الحانية والحازمة، وقد كنا في سنوات الدراسة والطلب، نهابه ونحبه في آن واحد؛ نشعر بالأمان حين يظهر علينا، ونحس بالاطمئنان عندما يأتي موجهاً لنا في

فصول الدراسة، أو زائراً في أثناء الامتحانات العامة، يرسل ابتسامته المشرقة، فتصل إلى قلوبنا من أبٍ، لا من مدير أو مفتش يتصيد الأخطاء.

تولى الأستاذ خالد الملحقية الثقافية اليمنية بالقاهرة، فكان أباً لجميع الطلاب، وأخاً لكل زائر لمصر، لا يألو جهداً في خدمة الطلاب والزوار، وقد ترك أطيب الأثر في نفوس كل من عمل معه، حتى أولئك الإداريين والسائقين والفراشين في الملحقية، الذين ظلوا يذكرونه بالخير والتقدير، بعد أكثر من عشرين سنة من مغادرته لعمله في مصر.

عانى الأستاذ خالد في آخر حياته من عدة أمراض، قابلها صابراً محتسباً، وكانت الجهات الرسمية التي عمل معها الأبعد عن معاناته، لولا بقية من وفاء بعض زملائه وطلابه ورفاق دربه، حيث اضطُر للسفر عدة مرات للعلاج في الخارج، وكان الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر- رحمه الله - يعرف قدر الرجال، وإن غادروا مناصبهم، فأولاه الاهتمام أثناء مرضه.

عاش الأستاذ خالد محمد سعيد يحمل القيم والاخلاق الفاضلة، وقد صحب الأستاذ عبده محمد المخلافي - رحمه الله - وتأثر به، وظل وفياً للمبادئ والقيم التي دعا إليها، وترجمها عملاً وطنياً؛ ما غيّر ولا بدّل، وما توانى ولا نكص، ولم يزده الابتلاء والمحن إلا حباً وقوة صلة بإخوانه وأحبابه ورفاق دربه.

ولد الأستاذ خالد محمد سعيد المقداد في محافظة تعز عام 1939م، وتوفي بصنعاء

عام 2010م، وخلف خمسة أولاد وخمس بنات، ودفن في مقبرة الرحمة على شارع الخمسين، جنوبي العاصمة صنعاء، وحضر جنازته أهله وأحبابه وبعض طلابه، الذين أصبحوا أعلاماً في المجتمع.

رحمة الله تغشاك أيها الأستاذ الجليل وكتب الله أجرك، وحشرك في المهديين.

•~•~•~•~•~•~•

15

سليمان الفرح المناضل الصلب

(1353 - 1435هـ) (1933 - 2014م)

الشيخ سليمان بن علي بن عيسى بن قاسم الفرح، من مشايخ رازح، ومن وجهاء محافظة صعدة، وأحد رجالات اليمن الذين أسهموا في البناء والتنمية، وكان له حضور سياسي واجتماعي فاعل، حياته حافلة بالتضحية والبذل والعطاء، وفعل الخير، وخدمة المجتمع، واكتساب حب الناس وتقديرهم .

ولد في قرية الشعراو بوادي دهوان مديرية رازح محافظة صعدة، توفي والده وهو صغير، درس القرآن والخط ومبادئ الحساب في كتاب قريته، ثم سافر إلى السعودية لطلب الرزق، والتحق هناك بمدرسة ليلية، والتقى الشيخ سعيد الأصبحي، الذي كان

على صلة بالثوار اليمنيين، وأعطاه بعض كتب الأستاذين محمد محمود الزبيري، وأحمد محمد نعمان، ووسع مداركه بالاطلاع على الكتب الثقافية والسياسية، التي كان لها تأثير كبير على مسيرة حياته فيما بعد.

عاصر حياة البؤس والتخلف والجهل، التي كانت تعيشها اليمن قبل الثورة، وقد كتب عن تلك الحقبة، وما فيها من شدة وصعوبة الحياة المعيشة في كتابه (مذكرات من حياتي)، لكنه ظل يتطلع إلى حياة سعيدة ومزدهرة، تليق بالشعب اليمني وأمجاده وحضارته الغابرة، ولذلك كان تفاعله كبيراً وحماسياً مع ثورة 26 سبتمبر 1962م، وأصبح أحد رموزها الذين عملوا على تثبيت النظام الجمهوري، ودافع عنه بنفسه وماله في رازح وصعدة وحجة، وفي أكثر من جبهة، وآخر المعارك في أثناء حصار السبعين (1967 - 1968م)، وقد جرح في منطقة حزيز، المدخل الجنوبي للعاصمة صنعاء.

ولكفاءته ومواقفه كلف بعدة أعمال بعد ثورة سبتمبر، فعين عاملاً (مديراً) لقضاء ميدي، ثم مديراً لمديريات حرض وكشر وبني قيس ووشحة (1968 – 1977م)، ثم عين عضواً في مجلس الشعب التأسيسي عام 1979م، وعين عضواً في مجلس الشورى عام 1983م، وانتخب رئيساً لهيئة التطوير التعاوني برازح، ثم أمينًا عاماً لمجلس التنسيق للتعاونيات لمحافظة صعدة عام 1979م، وانتخب بعدها عضواً للهيئة الإدارية للاتحاد العام للتطوير التعاوني 1982م و1985م، وتم انتخابه عضواً في مجلس الشورى 1988م، وكان عضواً في أول مجلس نواب بعد الوحدة (1990 - 1993م).

هو أحد مؤسسي هيئات التعاون التي كان لها دور كبير في تنمية الريف اليمني

كشق الطرق، وبناء المدارس، وحفر الآبار.. وفي كل المواقع التي شغلها، كان يمثل رجل الدولة الحكيم والنزيه؛ يدير ولا يتسلط، يضبط ولا يظلم، يحرص على الحق العام، ويحافظ على حقوق المواطنين.

في مراحله النضالية المتعاقبة، ظلت مواقفه منحازة للوطن والمواطن، وفي كل المحطات الوطنية، كان حاضراً بالرأي والمشورة، والانحياز للقضايا الوطنية العادلة، وكانت له جهود موفقة في إصلاح ذات البين، وفضّ النزاعات بين القبائل.

كان رحمه الله داعية للسلام والمحبة والإخاء، يتحرق حزناً وألماً لآلام الأمة وضعفها، وتفرق أبنائها، يدعو إلى لم الشمل، ونبذ الفرقة.

شارك الشيخ سليمان الفرح في تأسيس المؤتمر الشعبي العام قبل التعددية السياسية، وتم اختياره في لجنة الحوار الوطني التي قامت بصياغة الميثاق الوطني عام 1980م، وانتخب عضواً في اللجنة الدائمة لحزب المؤتمر الشعبي منذ تأسيسه، وحتى عام 1990م، وبعد الوحدة، كان أحد مؤسسي التجمع اليمني للإصلاح، وعضو مجلس شوراه، وآخر موقع شغله رئيساً لهيئة الشورى المحلية للإصلاح بمحافظة صعدة.

كان رحمه الله متواضعا، ليّنا، قريباً من الناس، يعيش على الكفاف، ويبتعد عن الحرام، وهو مع ذلك شهم كريم، يجود بما يملك، ويُخجِل من يجلس معه بتواضعه، وكرم أخلاقه وحُسن إنصاته، يحب العلماء والدعاة إلى الله ويدعمهم، وله باع واسع في فعل الخير، وتحقيق المصالح العامة للناس، وكان كثيراً ما يكرمني بزيارته لي في بيتي، مع أن الحق له بالزيارة لمرضه وكبر سنه، وفي كل لقاءاتي به، كان الهم العام هو ما يشغل

تفكيره، يحذر من عواقب الظلم والفساد، ومخاطر ضعف إدارة الدولة، وكانت قضايا الأمة في لب اهتمامه، يتفاعل معها ويتبنى قضاياها.

في سنوات عمره الأخيرة عانى الشيخ سليمان من عدة أمراض، وأسعف إلى الخارج أكثر من مرة، وتوفي في إحدى المستشفيات الأردنية، ودفن في مقبرة الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر بصنعاء.

الشيخ سليمان بن علي الفرح من مواليد عام 1353هـ - 1933م بمحافظة صعدة، وتوفي في 5/ 8/ 1435هـ الموافق 2014/6/23م، وخلف أربعة أولاد وبنتين، رحمه الله وأسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

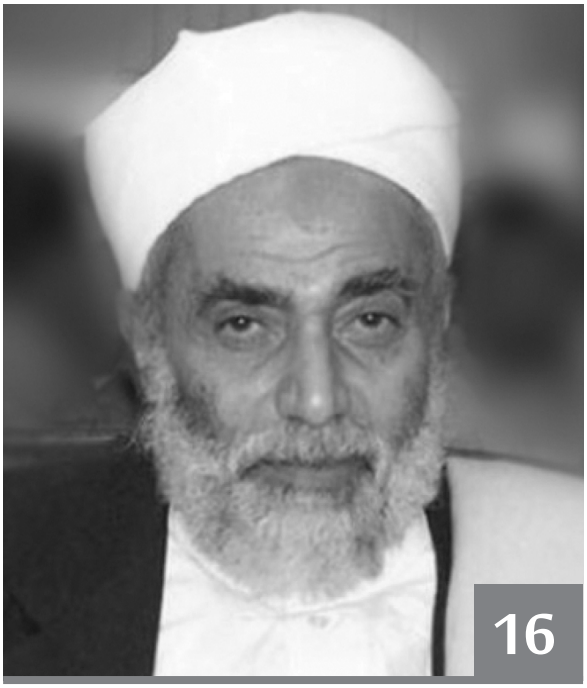

سليمان الأهدل العالم القانت

(1362 - 1440هـ) (1943 - 2019م)

الشيخ المحدِّث سليمان بن محمد بن عبدالوهاب بن محمد بن عبدالباقي بن عبدالرحمن الوجيه بن سليمان بن يحيى بن عمر الأهدل، العالم الفقيه الثَّبْت، الحافظ المتقن، والعابد القانت، والأديب الشاعر، والخطيب المفوّه، والمعلم القدير، والتربوي المؤثر، والمرشد الحكيم، والسياسي الحصيف، خصم الاستبداد، وداعية الحرية والعدالة والمساواة، أحد رجالات اليمن المعدودين، ومن ذوي الرأي والبصيرة، عضو جمعية علماء اليمن، وعضو مجلس النواب اليمني، عرف بالأخلاق الفاضلة، والكرم الفياض، صاحب الصورة الرضية، والطلة البهية، كانت عليه مهابة العلم وسيماء الصلاح، مع تواضع جمّ، ولين جانب، وهو إلى ذلك صاحب

قوة وصرامة في الحق، لا يهادن الباطل، ولا يستسلم للظلم والطغيان، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً.

ميلاده ونشأته ورحلته التعليمية

ولد في مدينة زبيد عام 1362هجرية 1943ميلادية، وفيها نشأ وترعرع، نذره والده للعلم والتعليم منذ صغره، فبدأ بتعليمه على يده، ثم حفظ القرآن كاملاً برواية حفص عن عاصم عند الشيخ سعيد النخلاني، ثم قرأه برواية نافع عند الشيخ محمد سعيد جُمع.

ولزم الشيخ المعمر محمد أحمد فقيه الحنفي الصوفي، وكان يحضر دروسه التي تبدأ من بعد صلاة الفجر، فقرأ عليه عدداً كبيراً من العلوم، ومنها عقيدة العوام، ودرس لثمان سنوات - مع والده - عند الشيخ محمد صديق البطاح، الأصول والفروع، والأمهات الست في الحديث، وبلوغ المرام، وموطأ الإمام مالك، والأربعين النووية، وكان يحضر القراءة لكثير من العلماء المسندين كالشيخ الأنباري، ولزم الشيوخ المهادلة، ومنهم الشيخ أحمد بن داود الأهدل، وأبكر عبدالرحمن المهادلة، وأخوه علي، ودرس عندهم كتب الفقه المشهورة كالزُّبَد في الفقه الشافعي، ومتن الغاية والتقريب بشرح ابن قاسم، وكذا متن التحرير، والكثير من المنهاج الذي أكمله على والده، بعد وفاة الشيخ.

التحق بالمدرسة العلمية، ومن مشايخه فيها الشيخ عبد الجليل الغُزي، والشيخ عبد الله بن زيد المعزبي الزبيدي، قرأ عليه المنهاج، وألفية ابن مالك

في النحو مع شرحها، ودرس المذهب الحنفي عند الشيخ أسد حمزة - وهو مرجع في المذهبين الحنفي والشافعي - وقرأ عليه في التفسير، ومتن الجزرية، وصحيحي البخاري ومسلم، والجامع الصغير للسيوطي، ومن مشايخه أيضا الشيخ خالد الشرعبي، وقرأ عليه - في رباط علي يوسف -عدة متون وشروح، وختم المنهاج عند الشيخ محمد سليمان الإدريسي، وحضر عنده معظم كتب أمهات السنة.

ودرس عند الشيخ أحمد علي السادة الصهباني منظومة مغني اللبيب، والذريعة في الأصول وشرحها للعلامة الشافعي محمد بن محمد الأهدل، وله منه إجازة بخطه، وحضر عنده الصحيحين، وقرأ كثيراً عند الفرَضي الشيخ أحمد بن داود البطاح كتب الفقه، وقد أتقن علم الفرائض (المواريث) وصار مدرسا ومرجعاً لهذا العلم.

وقرأ عند الشيخ عبده علي خليل في التجويد والنحو، وقرأ على الشيخ حسين عبد الله الحدايا مدير المدرسة العلمية علم المعاني والبديع، وقواعد اللغة العربية، والبلاغة الواضحة للجارم، وقرأ عند الشيخ محمد عبد الله بازي الحنفي معظم كتب السنة، ومن شيوخه أحمد محمد الخليل الخطيب، الذي ظل يخطب في جامع زبيد الكبير لمدة أربعين عاما، وله منه إجازة خطية، وأخرى منظومة شعراً، كما قرأ على الشيخ حسين محمد الوصابي التحفة الوصابية، وتفسير الجلالين، والبيضاوي، وحضر مجالسه في أمهات كتب الحديث الست.

ومن مشايخه من أهل الحرمين: الشيخ عبد الله عبد الوهاب الإرياني،

حضر عنده متن البيقونية في مصطلح الحديث، وشرحها وحاشيتها، وله منه إجازة مخطوطة، وقرأ عليه عدة كتب في الفقه، ومن مشايخه محمد أحمد السالمي، الذي يروي عن محمد بن ناصر الحازمي، والحسن عاكش، والحازمي يروي عن الوجيه الأهدل والشوكاني والوجيه الكزبري، ومحمد إسحاق، ومحمد عابد السندي، وبين الشيخ سليمان وهؤلاء الأعلام الخمسة: **(الأهدل، والشوكاني، والسندي، والكزبري، والدهلوي)**، ثلاثة أعلام فقط.

وقرأ على الشيخ أحمد عبد الله الخليل في الفقه؛ متدرجاً من المختصرات إلى المطولات، ومعظم أولئك الشيوخ أجازوه؛ حيث كان من عادة الشيوخ والعلماء، منح إجازات عامة أو خاصة للدارسين، مع ختم كل كتاب.

ومن مشايخه محمد أحمد فقيه الحنفي، الذي حضر عنده في علم النحو والتوحيد، وكان يحضر مكة في رمضان مع حسن البحر الأهدل، عند أحد المسندين الصوفية في الحديث، ومن مشايخه علي البيلولي، أحد علماء إفريقيا المهاجرين إلى زبيد.

ومن مشايخه القاضي محمد بن إسماعيل العمراني، وله منه إجازتان خطيتان، ومن مشايخه القاضي العلامة يحيى بن لطف الفسيل، رئيس المعاهد العلمية؛ فقد قرأ عليه في الحديث والسنة وعلم الآلة، حيث كان يحضر دروسه كلما طلع صنعاء.

كان الشيخ سليمان الأهدل عالماً موسوعياً، جمع بين العلوم التقليدية والثقافة المعاصرة، وقرأ للعلماء المشهورين في عصره، ومنهم علامة باكستان الشيخ أبو الأعلى المودودي، وعلامة مصر الشيخ محمد الغزالي وغيرهما من العلماء والمفكرين المعاصرين، وانعكس ذلك في دروسه وخطبه ومحاضراته وشعره وأدبه، الذي غلب عليه الأمل والتفاؤل واستنهاض الهمم، والرد على الشبهات والأباطيل، وإحياء الإيمان في النفوس، والدعوة للتمسك بقيم الإسلام وأخلاقه وآدابه، والمناداة بوحدة المسلمين وجمع كلمتهم.

مكانته العلمية و انشغاله بالتدريس:

كان الشيخ سليمان الأهدل يلقب بشافعي اليمن، وظل القاضي المفتي محمد بن إسماعيل العمراني، يحيل إليه الكثير من الفتاوى الشرعية، ليتعرف على رأي علماء زبيد في الكثير من أحكام الفقه، في المسائل المعاصرة.

وقد كانت دار الشيخ سليمان الأهدل ومزرعته في زبيد، مقصداً لكبار الزوار من الوجهاء والعلماء والساسة؛ يمنيين وغير يمنيين، وممن نزل عنده علامة اليمن المشهور الشيخ محمد بن سالم البيحاني الكدادي - رحمه الله - وقرأ عليه في الحديث، وأجازه، وكان الشيخ العلامة عمر أحمد سيف الأغبري ينزل عنده، وقد قرأ عليه في الفقه والعربية والحديث، ونزل عنده علامة الهند المفكر المشهور الشيخ علي أبو الحسن بن عبد الحي الندْوِي.

ظل الشيخ سليمان يلقي دروسه في العلوم الشرعية في منزله، وفي مساجد زبيد وصنعاء، وله حلقة علمية بالفقه الشافعي، ويخطب الجمعة

في مسجد أبي موسى الأشعري، وكذا مسجد عقاب في زبيد، ثم في جامع قلالة بصنعاء، الذي ظل يخطب فيه لأكثر من عشرين عامًا، وكانت له دروس في جامع القبة الخضراء غرب شارع هائل بصنعاء، وكان طلاب العلم من دول الخليج يأتون إلى صنعاء في الإجازات الصيفية، ويمكثون فيها فترات محددة، ليدرسوا على يديه.

نشاطه التربوي والثقافي والسياسي

التحق بوزارة التربية والتعليم مدرساً، ثم مديراً لبعض مدارس زبيد، ومنها ثانوية أبي موسى الأشعري، وشارك في تأليف مناهج التربية والتعليم.

عاش مؤثراً في الوسط الأدبي والثقافي؛ يُدعى لإلقاء المحاضرات، ويشارك في الندوات العلمية والأدبية، ويتألق في المناسبات بقصائده البعيدة عن المبالغات والتزلف والمجاملة، ويحضر المناشط الشبابية يوقد شعلة الحماس، ويستحضر الحكمة، ويحث على مكارم الأخلاق، ومعالي الأمور، ويشنف الآذان بغرر قصائده الشعرية.

خاض غمار العمل السياسي، دون أن يتخلى عن الالتزام بقيم الإسلام وأخلاقه، وكان يعتبر السياسة وسيلة لتقديم برامج تخدم المجتمع، وطريقا لممارسة الشورى، والوقوف ضد الاستبداد، ركز اهتمامه في الدعوة للحرية والعدالة، وتفعيل الشورى في حياة المسلمين، كرافع أساس لإصلاح أوضاع الأمة، وتقويم اعوجاج الحكام، يقول ذلك في شعره وفي خطبه ومحاضراته، وفي مشاركاته في الندوات والاجتماعات، وفي القنوات الفضائية، وقد

سبب له ذلك الكثير من المضايقات في حياته وعمله، لكنه لم يلتفت لذلك، ومضى على سجيته يعبر عما يعتقد، ولو أغضب أصحاب النفوذ والسلطان، وديوانه: (أغاريد تهامية ونفحات أهدلية)، سجل حافل لأفكاره وآلامه وآماله.

عاش عاشقاً للحرية، كارهاً للاستبداد الذي كان ينظر إليه كأهم أسباب تخلف الأمة، يقول في إحدى قصائده:

هي حريتي ومنحة ربي ..... وسبيلي لنيل أيِّ مرادي

ساد أجدادنا بها وحمَوْها ..... من ظلوم مستكبر جلاد

فقِهوها من شرعة الله حقا ..... لا عطاءً تسديه بعض الأيادي

سوف أحمي حريتي لا أبالي ..... أن أضحي بمهجتي وفؤادي

وأغني لسحرها لسناها ..... لشذاها لروضها المياد

لقد ظل سليمان الأهدل يطلق كلمته القوية، ويحمل سيف قلمه ضد الظلم والاستبداد، ومع تأييده لثورة سبتمبر 1962م؛ فلم يمنعه ذلك أن يدعو من منبر خطبة الجمعة، إلى تسليم السلطة لمجلس مدني توافقي، ليكون الحاكم مدنياً وليس عسكرياً، وقد اعتقل حينها بسبب ذلك، وكان يقول بأن الحاكم أجير عند الشعب، الذي له الحق أن يستأجر عاملاً بديلاً عنه، إذا لم يؤد الواجبات المناطة به.

عندما كان عضواً في البرلمان، نادي بكشف ملفات الفساد، وطالب

باستقلال القضاء، بعيداً عن تأثير السلطة التنفيذية، ودعا للانتقال إلى النظام البرلماني، الذي يحدد سلطة رئيس الجمهورية، ويمنح الحكومة الصلاحيات التنفيذية، ومحاسبتها إذا قصرت في واجباتها، وطالب الأخذ بنظام الحكم المحلي كامل الصلاحيات، لتوسيع المشاركة الشعبية في السلطة؛ لقد كانت هذه الرؤى واضحة تماماً لديه، وظل ينادي بها ويعلنها في اللقاءات والمنتديات والمحاضرات وعبر القنوات الفضائية.

الشيخ سليمان الأهدل من مؤسسي حزب المؤتمر الشعبي العام، وقد انتخب عضواً في اللجنة الدائمة لحزب المؤتمر في مؤتمره العام الأول عام 1982م، وأعيد انتخابه عام 1993م، وانتخب عضوًا في مجلس النواب عام 1993م، ممثلاً لإحدى دوائر زبيد، وصار عضوا في اللجنة الدائمة للمرة الثالثة، ثم انتقل إلى التجمع اليمني للإصلاح، وفي مؤتمره العام انتخب عام 2003م رئيساً للهيئة القضائية للإصلاح.

المحنة والمنحة آخر حياته

غادر اليمن مضطراً -بعد سيطرة الحوثيين على العاصمة صنعاء- وفي السنوات الأربع الأخيرة من حياته جاور بيت الله الحرام بمكة المكرمة، ومع محنة الغربة والبعد عن الوطن، إلا إنه كان يعتبرها منحة ربانية، وفرصة للتأمل والذكر، والخلوة مع الله عز وجل، فكان مثالًا للعالم المعلم القانت، فلم ينقطع عن التعليم وإلقاء الدروس؛ وظل طلاب العلم يتوافدون إليه من مكة وغيرها من المدن السعودية، يتعلمون منه، ويطلبون منه منحهم

الإجازات في مختلف العلوم، وبعضهم كان يأتي ليأخذه إلى مدن أخرى، ليقيم دروساً في العلوم الشرعية واللغة العربية، وقد داوم على درس أسبوعي في المواريث، يلقيه على طلابه في بيته بمكة المكرمة.

أما برنامجه اليومي في الذكر والتلاوة، فكبير وعظيم، فكان يتناوب عليه طلابه، فيقرأ مع أحدهم سورة البقرة، ويراجع مع آخر حفظ ثلاثة أجزاء من القرآن الكريم، ويداوم على الأذكار ومنها الصلاة والسلام على رسول الله ألف مرة في اليوم، وينزل الحرم بعد العصر، ويبقى فيه إلى منتصف الليل، يطوف حول الكعبة مرات حسب ما يتيسر له، ولما ينتهي من طوافه يذهب خلف مقام إبراهيم ليصلي ركعتين عن كل طواف، مرتين أو أكثر حسب عدد ما طاف، فهنيئاً له تلك الخاتمة الحسنة التي أكرمه الله بها.

ورغم تقدم سنه، وضعف جسمه، إلا إنه ظل يخدم نفسه، ويخرج إلى السوق لإحضار ما تحتاجه أسرته، ويحرص على صلاة الجماعة في الحرم، أو في المسجد المجاور لسكنه، وقد تعرض ذات يوم لحادث مروري وهو يسير على قدميه، ولطف الله به، وتماثل للشفاء، وقد أمتعه الله بالعافية إلى آخر يوم في حياته؛ عاد إلى منزله قبيل المغرب، فشعر بتعب وإرهاق، فأخبر أهله أنه يشعر بدنو أجله، وبعد صلاة العشاء أسلم الروح لباريها.

توفي الشيخ سليمان بن محمد عبد الوهاب الأهدل بمكة المكرمة يوم الخميس 30 من جمادى الآخرة 1440 هجرية 7 من مارس 2019م، وتمت الصلاة عليه في المسجد الحرام، ودفن في مقبرة المعلاة جوار الحرم، وشيعه جمع غفير من أحبابه وطلابه، وخلف أربعة أولاد وثمان بنات، رحمه الله

وكتب أجره، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

شهادة وثناء العامة والخاصة بعد وفاته

حزن لوفاة الشيخ سليمان الأهدل من عرفه أو سمع عنه، ونعاه علماء وساسة ومؤسسات وهيئات علمية، ومنها وزارة الأوقاف التي قالت عنه: (إن اليمن فقدت عالماً كبيرًا، ومصلحاً اجتماعياً، كرس حياته في تدريس العلوم الشرعية، والدعوة إلى الله، وإصلاح ذات البين).

أما بيان النعي الذي صدر عن الهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح، فقد عدد مناقب الشيخ سليمان الأهدل وأعماله ومواقفه، ومما جاء في البيان:

(لقد كان الشيخ سليمان الأهدل واحداً من الشخصيات التي قدمت الكثير في ميادين التعليم والتربية والدعوة، حيث ترك مآثر عظيمة، وتاريخا حافلاً بالإنجازات، وهو من الرجال القلائل الذين كرسوا حياتهم في خدمة وطنهم وشعبهم وأمتهم، وأسهم بالنهضة التعليمية في مدينته زبيد، وكان أحد مشايخ العلم الذين حملوا مشاعل التنوير؛ فقد كان خطيباً مفوّهاً، ومحاضراً مقنِعاً، وشاعراً مجيداً، وله دواوين شعرية مطبوعة ومخطوطة، فضلا عن تجربته البرلمانية المتميزة، كما شارك في ميادين العمل السياسي، وهو من رواد الحركة الإصلاحية، وأحد أبرز قياداتها، وكان من الداعين إلى تفعيل الشورى لتؤدي مهمتها في إصلاح الأوضاع العامة، ومنع الظلم والاستبداد، وكان مثالاً للتواضع والسمت الطيب والخلق الحسن، والحكمة

والوقار، ولقد أدرك كل من عرفه صفاء روحه، وهمته المتقدة في سبيل دينه ووطنه.

وكتبت عنه الصحوة نت:

(في شخصية الشيخ الأهدل تجتمع البساطة في أبهى حللها، والعظمة في أزهى تجلياتها، فهو إنسان مسكون بالجمال، ذو عاطفة جياشة، يشعر الجالسُ إليه أنه يجلس إلى صديق ودود محب، وهو إلى ذلك مفكر عميق الرؤية، مستقيم المنطق، قوي الاستدلال، يؤمن بالحوار، وكان كثيرا ما يدعو إلى الإصلاح في شؤون الحياة عموما، وإلى إصلاح التعليم والقضاء، فالأول مرهون بإخراج الأجيال المتسلحة بالعلم والوعي والمعرفة، والثاني جدير بتحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع).

وتحدث عنه أحبابه وأقاربه وجيرانه بما عرفوا عنه من الصفات العظيمة، والأخلاق العالية، فقال عنه رفيق دربه الشيخ محمد علي عجلان: (كان الشيخ سليمان عالماً محققاً، وفقيهاً مدققاً، وخطيباً وشاعراً مفلقاً، وأديباً بارزاً، تدعوه المنابر والمنتديات، وتتعشق حضوره الأمسيات والمناسبات، عمل مديراً وأستاذاً، ومربياً لمدرسة أبي موسى الأشعري في مدينة زبيد، ومن أشهر العلماء والخطباء والأدباء ورجال الإفتاء في اليمن).

وكتب عنه الأستاذ عمر بن محمد عبد العزيز فرحان فقال:

عرفته عن قرب، بحكم صداقته الحميمة العميقة مع والدي محمد

عبد العزيز، وبحكم مصاهرةٍ نتجت عن تلك الصداقة (حيث تزوج أخي من ابنة الشيخ). عرفته إنسانًا، عالمًا، عابدًا، مربيًا، سياسيًا، قاضيًا، تاجرًا، جارا، وشاعرا، ودعوني أحدثكم عن سليمان: الإنسان، العالم، العابد، الذي عرفت.

كان وافر الكرامة، باذخ الكرم، يجالس كبار القوم بمكانته، ويجالس صغار القوم بسماحته، يحب الطَيب من الطعام، فيعتني بنوعية مطعمه ومشربه، ولا يبخل على نفسه أو أهله أو ضيفه، كما يحب الطَيب من الطِيب، فكان يكثر من دهن العود والمسك والعنبر، يمسح على جسمه وملابسه وفراش نومه.

كان راسخاً في علوم الشريعة، متبحرًا في الحديث، ضليعًا في الفقه، متمكناً من أصول الفقه وقواعده ومقاصده ومذاهبه، بارعًا في العربية، ينظم الشعر والقريض، ويحبك النثر والخُطب. يأنسُ للجلوس مع الطلاب، ويراعي أوقاتهم قبل وقته، ويكرمهم بما يطلبونه من العلم إذا كان درسه بالمسجد أو الجامعة، ويكرمهم بالعلم والضيافة إذا كان درسه في منزله، يمزج في شرحه بين الهدوء والتفاعل، ويعتني بتقديم كنوز العلم في أجمل الأوعية، ثم يزينها ويُجملها بحسن تأدب، وعظيم خُلق، بتواضع العالم وحب الأب، وحرص المعلم، وشفقة المربي، ولا يُعنف مخطئًا، ولا يُحقر رأيًا. فيحصل الطالب على لمساتٍ من العواطف أولًا، ثم ممارساتٍ من الأخلاق ثانيًا، ثم نفحاتٍ تربوية وإيمانية ثالثًا، ومع هذه الثلاثة يقدم جرعات من العلم بشكلٍ راق رائقٍ رقراقٍ..

رحمك الله يا سليمان؛ فقد كنت في حياتك تعطينا نموذجًا للعظماء والنبلاء، الذين نقرأ عنهم ولا نعرفهم إلا في كتب السير والتراجم، كنت نموذجًا للعالم المتوازن، الذي ينشغل بهموم الناس وأحوالهم، ولا يشغله ذلك عن العلم وتعليمه، كنت نموذجًا للعالم المتوازن، الذي يمارس السياسة، ويخوض غمارها، دون أن يفقد أخلاقه، أو ينزلق في وحولها.

كنت نموذجًا للعالم المتوازن، الذي يأنس بذكر الله، ويتعلق بالمساجد، ولا ينسى نصيبه من الدنيا، فتجده متقنا لوظيفته، ومتابعا لأعمال معيشته).

وكتب عنه الأستاذ الدكتورعبد السميع الأنيس يقول:

هو عالم، مسند، عليه سيما الصالحين، مع تواضع، وزهد، وعبادة. وفي يوم الثلاثاء 29 من جمادى الآخرة 1438هـ، التقيته وقد انتهى من طوافه، ثم توجه إلى مجلسه المعهود، فبادرته بالسلام، وطلبت منه الإجازة بأسانيد الحديث النبوي فأجاز لي، ولولدي محمد نور الدين إجازة عامة.

وطلبت منه أن نسمع منه حديث الرحمة المسلسل بالأولية، ونصه: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». فقال: من عادتنا في زبيد أنَّ الطالب يقرأ على الشيخ، فقرأته عليه، وتكرَّم بالإجازة.

وطلبت منه الإجازة بحديث معاذ بن جبل، المعروف بحديث المسلسل بالمحبة، وقلت: لا بد أن نسمعه منكم، فقرأه علينا، وأجاز لنا به.

وأخبرني بأن شيخنا أبا الحسن الندوي - رحمه الله تعالى - زاره في زبيد، وطلب منه الإجازة، فقال له: أنت علم من أعلام العالم الإسلامي، والذي بقي في ذهني - والعهد بعيد - أني أجزته، وطلبت منه الإجازة فأجاز، وهذا يسمى عند المحدثين بالتدبيج.

ثم ذهب إلى موضع ماء زمزم، فقرأ الفاتحة على كأس منه، ثم قال: بلغنا عن نبينا عليه الصلاة والسلام أنه قال: «ماء زمزم لما شرب له»، وهو لا ينطق عن الهوى، ونشربها على نية الشفاء من كل الأمراض والأسقام.

وكتب عنه الشيخ عبد الرزاق محمد قطران فقال:

عرفناه عن قرب، وصادقناه، كان منطقه الصواب، وملبسه الاقتصاد، ومشيته التواضع، وقف سمعه على العلم النافع، كان يقصده الطلاب من مختلف البلدان، فيجدون عنده بغيتهم في كل فن بتحقيق بالغ.

وكان من العُبّاد الصافّة أقدامهم بين يدي الله؛ إن قام في صلاته فهو الناسك المتبتل، طويل القيام، أما النهار فالحلم الذي هو شقيق العلم عنوانه، والابتسامة والتواضع والبساطة والبشر بنيانه، وهو حقيق وجدير بصفات المتقين؛ فترى له قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وعلماً في حلم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى، وتحرجاً عن طمع؛ يعمل الأعمال الصالحة وهو على وجل، يمسي وهمه الشكر، ويصبح وهمه الذكر- رحمه الله.

تلك الصفات كنت أجدها حقيقة في سلوكه؛ فمجالسته تكسبك

الرغبة في الطاعة، ومعاشرته تمنحك القدوة، فهو من العلماء الذين يقل نظراؤهم، وكان يشار إليه بالبنان.

ورثاه الشعراء، ومنهم رفيق دربه الشيخ حسن مقبول الأهدل بقصيدة طويلة، عدَّد فيها صفاته ومناقبه ومواقفه، ومنها هذه الأبيات:

شيخ الشيوخ ورمز القادة القمم رب المحاسن والأخلاق والشيم
فقيهنا وأديب ما له مثل ..... رب الأسانيد رب الطرس والقلم
إمامنا الفذ نبراسٌ لأمته ..... وقائد عبقري سائسٌ وكميّ
مجاهد لوذعي صادق لبقٌ ..... وحافظ الذكر ذو علم وذو حكم
دعا إلى الله في سر وفي علن ..... منذ نعومة أظفارٍ إلى الهرم
معلما داعياً في كل حالته ..... محاضراً يا له من شاعر فهِم
جاب البلاد جميعاً ضمن دعوته ..... في صعدة وخبانٍ شرعب السلم
وفي تهامة أمضى جلَّ دعوته ..... وفي قراها غدا النبراس في الظلَم
هذا سليمان رمز الخير أجمعه ..... نجل الأشاوس ذو نبل وذو كرم
أقام مملكة للعلم باذخة ..... يؤمها الناس في الإصباح والعتم

رحم الله الشيخ سليمان الأهدل، وكتب أجره، ورفع درجته في عليين.

•~•~•~•~•~•~•

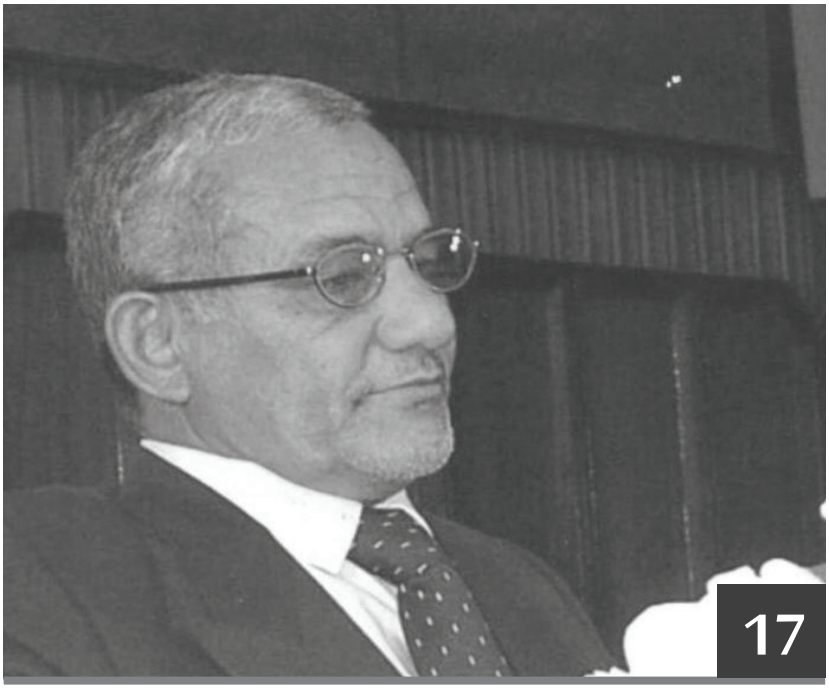

سيف الشرعبي التربوي والإداري الدؤوب

(1370 - 1440 هـ) (1951م - 2019م)

الأستاذ سيف بن محمد بن صالح بن مقبل بن حاجب الشرعبي، مثال الرجولة والفتوة، والمكابدة والكفاح، ومنذ عرفته خلال أكثر من أربعين عاماً، وحتى وفاته، وهو ماكينة دوّارة (دينامو) لا يتوقف، في حركة دؤوبة لا تعرف السكون؛ يحدد الهدف، ثم يمضي بكل طاقاته لتحقيقه، يعمل ولا يَمل، دائم التواصل مع الناس، لا ينقطع عن الذين عمل معهم من الرؤساء أو المرؤسين، يزورهم، ويستمع إليهم، ويستشيرهم أو ينصحهم، ويقدم مقترحاته لهم.

ولد عام 1951م في محلة (ذراعجش) قرية العنتري، عزلة الهياجم،

مديرية شرعب الرونة، بمحافظة تعز، وعاش مكافحاً صلباً؛ فبنى نفسه بنفسه، قدِم المدينة من الريف متسلحاً بإرادة فولاذية، وجَلَدٍ اكتسبه من صعوبة الحياة التي عاشها في طفولته، وبساطة تعوّد عليها منذ نعومة أظفاره، ونُبْلٍ ونقاء يجري في دمه كعيون الماء الصافية، التي كان يستقي منها في قريته.

(فرضت عليه ظروف وحياة قاسية منذ ولادته، فهو من أسرة متوسطة الحال، بسيطة متواضعة، امتهنت الفلاحة ورعي الماشية مصدرا لعيشها، تنقل في صغره بين ركام من التخلف والجهل والفقر والمرض والعزلة عن العالم، وقضى صباه في الغربة وفراق الأهل والوطن، ونحت حياته ومستقبله بجهده وعرقه وإخلاصه، معتمداً على الله ثم على نفسه، في بيئة قاسية متمردة عن اللين والعيش الكريم، وفرص عمل معدومة، أو نادرة في أحسن الأحوال، واصل تعليمه بهمة عالية وإرادة قوية لا تلين، وناضل من أجل فكرته، معتزاً بعقيدته ومبادئه، وسط تعصب حزبي أعمى، وقاوم الأعاصير الفكرية المختلفة والصراع السياسي، حتى بلغ الهدف الذي كان يصبو إليه وزيادة، وشارك في تربية الأجيال ونهضة التعليم في محافظة تعز قرابة أربعين عاماً، وسعى لتحسين خدمات مدينته من خلال مشاركته الفاعلة في المجالس البلدية والمحلية التعاونية، وربى أسرة كريمة، تتمتع بالحب والمودة، والرحمة والوفاء، وطيب العشرة، وتقلد مناصب عديدة في أجهزة الدولة بدءاً بوظيفة مدرس، وانتهاءً بوظيفة بدرجة وزير، وعاصر أهوالاً وأعاصير لا حصر لها، وأحداثاً عظاماً، وفتناً وحروباً وخوفاً ورعباً..)، هذا ما كتبه الأستاذ سيف الشرعبي عن نفسه في

مقدمة كتابه **(النقر في الذاكرة)**، وختم تلك المقدمة بقوله: **(تركت خلفي تسعة وستين عاماً من العمر المكتوب لي حتى كتابة هذه السطور، لا أدري ما صنعت فيها؟ أكدح يوماً بعد يوم، من الصباح حتى المساء، والدقائق والساعات تتسارع، وتمر كالريح أو كلمح البصر، ولا أدري متى تكون النهاية؟ وكيف؟ و أين؟)**.

عاش سيف محمد صالح طفولته يكافح مع أبيه؛ يحرث الأرض، ويحمل الحطب، ويجمع أعواد الشوك ليضعها حائطاً للزرع، ليحفظه من عدوان القرود والحيوانات، ويجلب الماء من مسافات بعيدة، ويرعى الماشية، ويأتي بعلف الحيوانات، ويحرس الزرع من الرباح **(القرود)**، ويساعد والدته في البيت، أما طعامهم فمن أرضهم، وإدامهم من البقرة والغنم والدجاج الذي يربونه، ومع ذلك فإن أباه كان إذا انتهى من أكل كسرة الخبز على لبن أو قهوة، دون سكر، يشكر الله حامدا، ويدعو الله راضيا: (اللهم أدمها نعمة، واحفظها من الزوال).

كان يذهب مع والده إلى الرونة مركز مديرية شرعب مشيا على الأقدام، ليسلم الواجبات المفروضة، لأن من يتأخر عن تسليم تلك الواجبات، فإن عليه أن يستقبل عسكري الإمام ويكرمه، ويدفع أجرته، وإلا فله الويل والثبور، وعواقب الأمور!

أحوال ومعاناة تشبه الخيال، لكنها كانت الواقع الذي عاشه سيف في صباه أواخر حكم الأئمة، قبل ثورة سبتمبر 1962م، حيث كانت الحياة قاسية، والدنيا شديدة العبوس في وجوه الناس؛ الأمراض تفتك بالبشر،

ولا يوجد مراكز صحية ولا أطباء، والمعالجة للمريض تتم بشكل بدائي؛ بالأعشاب أو الكي أو التمائم، وأحياناً بشرب بول الحيوان أو الإنسان، أما التعليم فيتم عند الفقيه الذي يقاسم الطلاب الخبزة (الفطيرة) التي يحضرونها معهم للغداء، إضافة إلى بقشات (أفلاس) تسلم له نهاية الأسبوع. ووسيلة التعليم لوح خشبي أملس، يكتب عليه الفقيه الآيات ليحفظها الطالب.

كان قدَرُ سيف أن يصير الابن الأكبر بعد موت خمسة من إخوته، وبقي معه أخ أصغر منه، فقد أنجب والده سبعة أولاد وأربع بنات من ثلاث زوجات، ماتت زوجة أبيه الأولى، ثم ماتت زوجته الثانية، ثم مات والده وهو لايزال في الثالثة عشر من عمره، فأصبح رجل الأسرة، أما والدته فقد حظيت برعايته أربعين عاماً بعد وفاة والده.

تتلمذ سيفٌ على يد علماء تعز ومشايخها، من أمثال مفتي تعز إبراهيم عمر بن عقيل، وعبد الرحمن قحطان، وسعيد بن سعيد حزام، ومحمد عبد الغني سعيد، وأحمد مقبل نصر، وأحمد عبده عقيل، وناصر محمد الشيباني، وعبد الملك داود، وعبد الله سنان سيف الجلال، وعاصر الشيخ محمد بن سالم البيحاني، والشيخ عمر أحمد سيف الأغبري، واستفاد من الأستاذ ياسين عبد العزيز القباطي، والأستاذ عمر سالم طرموم، إضافة إلى انتظامه في مراحل التعليم العام، من الابتدائية إلى الثانوية العامة، حتى إكمال دراسته في كلية الآداب بجامعة صنعاء 1979م.

علامات النجابة والنبوغ ظهرت عليه منذ صغره؛ حيويته، التزامه،

صلاحه وحبه لدينه، فالدفاع عن عقيدة الإسلام أمر لا يقبل التهاون لديه، نشأ في ستينيات القرن العشرين الميلادي، حيث كان المدّ الإلحادي على أشده في أنحاء شتى من العالم، حتى بدا الإسلام غريباً بين أهله، نكوص وانحراف، ودعوات لا تفتر لتقليد الغرب، والبعد عن تعاليم الشريعة السمحة، وما كان ذلك ليتوقف، إلا بشباب يتشربون العقيدة الإسلامية الصحيحة، ويغترفون من معين كتاب الله الخالد، وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم الصحيحة؛ يقرؤون فكر الإسلام الصافي، ويطّلعون على السيرة النبوية المطهرة، ليواجهوا الفكرة بالفكرة، ويدمغوا الشبهة بالحقيقة، ويستلهموا العزة من ماضي أمتهم المجيد، ليستنهضوا همم النفوس المهزومة، ويشعلوا الحماسة في القلوب الخائرة.. وكان سيفٌ أحد هؤلاء؛ شاب نشأ في طاعة الله، غيورٌ على دينه ووطنه، صالح في نفسه، مجتهد في إصلاح غيره.

وهناك في مدينة تعز، حيث الحراك الثقافي، والنشاط الفكري، والصراع السياسي، يقابله دروس العلماء، ومحاضرات الدعاة، وندوات المساجد، كان الشاب المتوقد حاضراً في معمعة الصراع، يقرأ ويستمع، يدرس ويُعلِّم، يحاور ويناقش، في المدرسة والشارع والمسجد والنادي، وربما تعرض للتهديد والاعتداء، لكنه لا يعطي الدنية في دينه، ولا يقبل الضيم على نفسه أو غيره، وقد كان طالباً في الصباح، ومعلماً في الفترة المسائية.

ولا بد هنا من التعريج على المعركة الطلابية، التي حدثت حينها في مدرسة الثورة الثانوية بتعز بين تيارين: أحدهما يمثل ما بات يعرف بـ

(الحداثة)، ويضم القوميين واليساريين، والثاني يعبر عن (الأصالة)، ويتمثل بالتوجه الإسلامي، وكان سيف، وهو أحد طلاب الصف الثالث الثانوي، رمزاً لهذه المواجهة، وقد كان جلْدا ورياضياً، وكان السبب في نشوب تلك المواجهة، أن مدرس التربية الرياضية المصري المشرف على الطابور، كان يختار أحد الطلاب ليقرأ سورة الفاتحة ثم يؤدي تحية العلَم، وكان بعض من يختارهم لا يحسنون التلاوة، فطلب منه سيف راجيا، أن لا يكلف إلا من يحسن التلاوة، فاستحسن المدرس مقترحه، إلا أن الطالب الذي اختاره في اليوم التالي، اجتهد؛ وبدلاً من ترديد عبارة **(تحيا القومية العربية والعزة للعرب)**، قال: **(والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين)**، وهنا قامت الدنيا ولم تقعد، واعتبر أنصار الحداثة أن هذا تهديد للأمة العربية، ورجعية لا يمكن السكوت عليها، وبدأ الاحتقان يتصاعد!

مضى يومان، والتوتر على أشده، وجاء اليوم الرابع (19من نوفمبر 1974م)، وحدث الاشتباك في ساحة المدرسة بين الفريقين، وسالت دماء بعض الطلاب من هؤلاء وأولئك، ومنهم سيف الشرعبي، وأسعف بعضهم إلى المستشفى، وما لبث الاشتباك أن تطور إلى مظاهرة عمت شوارع مدينة تعز، وتم فيها مهاجمة دار القرآن الكريم الواقعة جوار مدرسة الثورة الثانوية، وامتد الهجوم إلى المركز الإسلامي في شارع 26 سبتمر، حيث كسّر المتظاهرون أبوابه ونوافذه، ومزقوا المصاحف والكتب الموجودة فيه، ورموها في الشارع، وتدخل الأمن والجيش، وسيق قادة الفريقين إلى سجن الأمن الوطني، وسجن الأستاذ سيف مع بعض الطلاب والأساتذة ومشايخ العلم عشرة أيام، وبعضهم استمر سبعين يومًا، وأثير الموضوع في مجلس

الشورى بصنعاء، وتم إرسال مجموعة ممن تم اعتقالهم إلى العاصمة صنعاء لشرح ما حدث، وكان سيف أحدهم، وهكذا خرج الصراع المخفي إلى السطح، وتحول إلى قضية رأي عام!

تلك مرحلة عصيبة دخل فيها الشباب اليمني صراعاً حادًا كان يمكن تجنبه، ولننظر ما كتب الأستاذ سيف عن تلك الأحداث آخر أيامه، **يقول: (وإذا أردنا الحقيقة، فيجب علينا الاعتراف بأخطائنا جميعًا كطلاب، من جميع التيارات الفكرية؛ فبعد ثورة 26 سبتمبر، انشغلنا بالأفكار، وتطرفنا في استخدامها، وكان الأجدر بنا أن ننشغل في العمل والبناء، وتقديم الخدمات للناس، ونحن أبناء بلد واحد، ودين واحد، ولغة واحدة، وأصل واحد..)، إلى أن قال: (سواء أكنا طلاباً أم مدرسين من كلا الطرفين، فقد كانت تنقصنا الحكمة ولغة التفاهم، وحسن التخاطب والحوار، والتواصل والقبول بالآخر..)**

اختار الأستاذ سيف حقل التعليم ليكون مزرعته وميدانه، فبدأه من أول السُّلَّم معلماً، فمديراً لمدرسة، ثم مديراً للتعليم الابتدائي في مكتب التربية بتعز، ثم مديراً للتعليم العام، فمديراً عاماً مساعداً للشؤون الفنية، إلى أن عُيِّن مديراً عاماً لمكتب التربية والتعليم بمحافظة تعز، التي شهدت تحت إدارته نهضة تعليمية كبيرة في الريف والحضر، وكان نعم المدافع والمتابع المثابر، لتوفير متطلبات ولوازم التعليم في محافظته.

ظل الأستاذ سيف علماً من أعلام التربية والتعليم؛ مربياً فاضلاً، ومديراً ناجحاً؛ يجمع بين الحزم واللين، والصرامة والرفق، يأخذ نفسه

بالعزيمة، ويشدّ من حوله نحو معالي الأمور، وعُرف في كل مراحل عمله الإداري مخلصاً وخدوماً، نزيهاً وعفيفاً، لا يمدّ يده للحرام، لا يهادن الفساد، ولا يقبل الإهمال أو التأخير في إنجاز الأعمال، يكافئ المخلصين، ولا يتسامح مع المقصرين، وكان - رحمه الله - قدوة وأسوة في أداء واجباته، ففي مكتبه أول من يحضر، وآخر من يغادر، وهو إلى ذلك العالم العابد الزاهد، الذي لم تزده المناصب إلا تواضعاً..

كان أحد الوجاهات الاجتماعية والسياسية المشهورة، فهو عضو فاعل في المجلس البلدي، ثم في المجلس المحلي لمدينة تعز، وعضو مؤسس في جمعية مواجهة أضرار القات، ومستشار لنقابة المعلمين، وبعد مغادرته مكتب التربية، عُيِّنَ مستشاراً لوزارة التربية والتعليم، وأدار بكفاءة واقتدار فرع جامعة العلوم والتكنولوجيا بتعز، ثم عُين عضواً في اللجنة العليا للانتخابات عام 2006م، ثم اختير نائباً لرئيس الدائرة السياسية بالتجمع اليمني للإصلاح.

العمل الإداري لم يمنع الأستاذ سيف من الكتابة والتأليف؛ فصدر له كتاب **(القات بين شهوة النفس وتأنيب الضمير)**، وكتاب (لمحة موجزة عن التعليم في محافظة تعز: ماضيه وحاضره، صدر عام 1996م)، وكتاب **(الحرب والسياسة)** غير مطبوع، وله كتابات في عدد من الصحف وخاصة عن التعليم، وعن القات، فقد كان أحد المهمومين بالتحذير من أضرار القات على الفرد والأسرة والمجتمع، وله كتاب **(النقر في الذاكرة)**، دوّنه على جهاز حاسوبه في أيامه الأخيرة، ولم ينشر بعد، وعلى الرغم من أنه

يتحدث عن أسرته ونشأته وحياته الخاصة، إلا إن الكتاب سجل رائع وأمين وصادق، لحياة اليمنيين قبل ثورة سبتمبر 1962م، وقد نثره لآلئ جميلة، بأسلوب أدبي ماتع، وجاءت كلماته رشيقة جذّابة، وروى فيه قصصاً لطيفة وظريفة، مضحكة ومبكية في آن، وأرجو أن يُطبع وينشر لتستفيد منه الأجيال.

والأستاذ سيف طراز فريد في بناء الأسرة، وتربية الأولاد، وصلة الرحم، شديد الارتباط بزوجته وأولاده، متابعٌ للصغير والكبير منهم، وقد انسجموا مع طبيعته، فما يكاد يومئ بإشارة، حتى يبادروا بتنفيذ ما يريد، ولا سيما في الترحيب بالضيوف وإكرامهم، وحسن التعامل مع الآخرين، وقد ترك بصمته على أسرته وبنيه وبناته، الذين اجتهد في تربيتهم على الإيمان والصلاح، والأخلاق الفاضلة، والأخذ بعزائم الأمور، والاهتمام بامتلاك مفاتيح المعرفة، وتعلُّم مهارات التواصل مع المجتمع، وأولاده عشرة؛ أربعة ذكور وست إناث، أنْعِمْ بهم وأكرم، وحُقَّ لأسرتهم أن تفاخر بهم تربية وعلماً، أدباً وخُلُقاً.

لقد كان الأستاذ سيف - بالنسبة لي - أكثر من أخ: فهو الصديق الصدوق؛ رفيق درب، وزميل عمل، خبرته عن قرب: كريماً، جواداً، عطوفاً، شهماً، صاحب واجب لا يتأخر في المناسبات أو الملمات، بل كان سبّاقاً وصاحب فضل، وليس من السهولة أن تكافئه أو تدانيه، وجاءت أحداث انقلاب عام 2014م، التي باعدت بيننا مكاناً، إلا إنه لم يقطع التواصل والسؤال عني وأسرتي، ومعرفة أحوالي تكرماً منه ووفاء، وحباً وإخاء.

وقد عمد آخر أيامه إلى التأمل في سنن الله في الكون والحياة، والتفكر والوقوف عند آيات القرآن الكريم، حتى كان يبعث إليّ برسائل مطولة، من العبر التي يجدها في آي الذكر الحكيم، وأكثر من مرة يرسل لي خلاصة تفسير جزء كامل من القرآن الكريم، ولعل ذلك من فضل الله عليه، أن ختم عمره في ظلال كتاب الله تعالى.

وقد كان من توفيق الله لهذا المربي العظيم، أن يموت في مدينته التي أحبها، وخدم أهلها، ومن كرم الله عليه أن يوافيه الأجل المحتوم دون مرض، فلم يُتعب أحداً؛ فتوعّك ساعات، وأسلم الروح لباريها، وكان قد أخبرني - قبل وفاته بأيام - أنه قام بجولة حول مدينة تعز: شوارعها، جبالها، هضابها، أسواقها، معالمها، وتتبع أثار الدمار الذي خلفته الحرب الظالمة على مدينته الحالمة، ولم ينسَ أن يذكر لي بيوتاً زارها في الجحملية، منها بيت عمي، وأخرى صارت ركاماً تنتظر عدالة السماء من الظالمين، وأخذ يعدد لي الأحياء والحارات من باب موسى والمدينة القديمة، إلى المجلية والدمغة وحوض الأشراف وسوق الأشبط وسوق الصميل.. وتنتهي جولته عند الاقتراب من مواطن الخطر والقنص والحصار، ليعود إلى منزله في حي المسبح، وكأنه يودع الأرض التي ألفها وألفته، لينتقل إلى عالم الغيب والشهادة، وليرح جسده من سغَب الدنيا ولغبها..

لقد آن الأوان لذلك المحرك (الدينمو) القوي أن يأخذ حقه من الهدوء والسكينة، فقد عمل كثيراً؛ ناضل وكافح، عاركَ وصارع، صال وجال، ناقش وحاور، علّم ووجّه، اجتهد في عبادة الله وطاعته، ما عرف الضعف

والوهن، ما انتكس ولا انكسر، ولا استسلم للمثَبّطات والمُحْبِطات في كل مراحل حياته، وكأنما مات واقفاً، وقد حزن عليه من عرفه ورثّاه كثيرون، نعاه الأستاذ نبيل شمسان محافظ تعز، ونعاه مكتب التربية والتعليم، وفرع نقابة المعلمين بتعز، باعتباره أحد أعمدة الكيان التربوي والتعليمي، كما نعته الأمانة العامة للتجمع اليمني للإصلاح، ووصفته بأنه أحد قيادات الإصلاح، الذين كان لهم دور بارز في مسيرته السياسية، وقد رحل وهو في قمة عطائه، مقدماً نموذجاً متميزاً في العمل السياسي، ومتمثلاً لقيم الحرية والحوار، وكتب عنه كثيرون، ومنهم زميله الأستاذ أحمد عبد الملك المقرمي، الذي رثّاه بقصيدة مؤثرة، **ومما جاء فيها:**

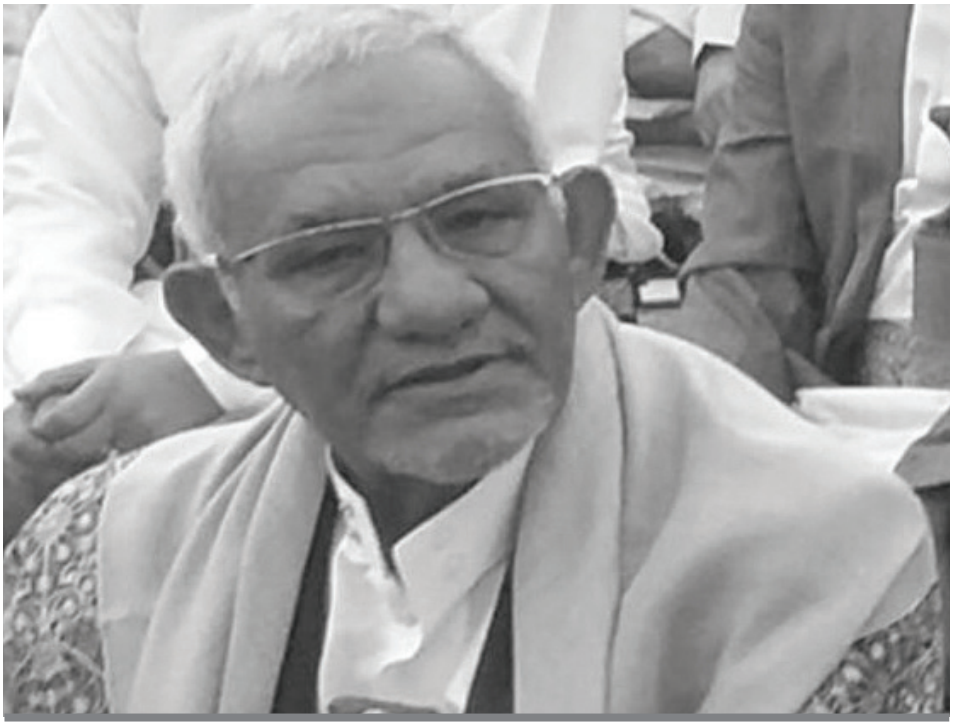

سطرت مجـدك بالأحبار والقلم ..... وكنت للعلـم والتعليم كالعلم

وكنت يا(سيف) للتعليم روح هدىً ..... تذكي وتشحذ سـاح العلم بالهمم

سلكت بالعلـم مَنْحَىً كنت تنشده ..... كيما تمكّن جيلاً عـالي القمم

وكنت في فتية تبني مـدارسنا ..... تبني النفوس بأخـلاق وبالقلم

رحيلك اليـوم و افانا بكل أسى ..... وأوْدَعَ النفس آهـاتٍ من الألم

أبا (جلال) وداعـاً يا فتى تعز..... عساك نلقاك في عـزوفي نعم

واللهَ نسـأل أن تغشاك رحمته ..... ومن يكن في رضا الرحمن يغتنم

عـام 1370 هجرية 1951 ميلادية كان ميلاد الاستاذ سيف محمد صالح الشرعبي بمحافظة تعز، ووافاه الأجل المحتوم يوم الخميس 17 من شوال 1440هـ، الموافق 20 من يونيو 2019م، وشُيّع في موكب جنائزي كبير، وتم مواراة جثمانه الثرىٰ في مقبرة عصيفرة بمدينة تعز، رحمه الله، وجعله في الصالحين، وحشره في المهديين وأسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•~•~•

صادق منصور داعية السلم والوفاق

(1386 - 1436 هـ) (1966 - 2014م)

الأستاذ صادق بن منصور بن علي بن سيف الحيدري، أستاذ ومربي وداعية، أحد عمالقة السلم والوئام في بيئته وزمانه، نشأ على الطهر والصلاح، وتشرب الصفاء والنقاء في قريته الريفية، وحمل من قريته الخضراء الوادعة حب الناس ومودتهم.

درس حتى أكمل الصف الخامس في مدرسة الأنوار في عزلة الأكروف، ثم انتقل للدراسة في معهد حطين ممسى الهَبن عزلة الأفيوش، ولكن عوادي الزمان وصلت بلده عندما نشطت أواخر السبعينيات عصابات التخريب التي نشرت الخوف وأفسدت على الناس حياتهم، فهجمت على المعهد في

أثناء الدراسة، وقتلوا اثنين من المدرسين، واختطفوا خمسة آخرين، كان صادق منصور في الصف السادس الابتدائي فاضطرت أسرته إلى إرساله إلى معهد عمر بن الخطاب في مديرية المسراخ، عزلة الأقروض بتعز، ليواصل تعليمه، كان الصبي نبيهاً يتّقِد ذكاءً واستيعابا للحياة، وما يدور فيها من حراك وصراع، وقد اجتهد في دراسته فكان طالباً مثالياً ومتميزاً.

ظهرت مواهبه في معهد معاذ بن جبل بالجند، الذي درس فيه المرحلتين الإعدادية والثانوية، وبدا سابقا لزمانه؛ فعقله كان أكبر من عمره، فكلفته إدارة المعهد بمهمات إدارية وتربوية، وهو مازال طالباً، فأسندت إليه الإشراف على طلاب الكشافة، ثم اختارته مديراً للأقسام الداخلية، التي كانت تضم حوالي ألف طالب، وتوّج تفوقه بحصوله على الترتيب الأول في الثانوية العامة على مستوى الجمهورية، العام الدراسي 1988/1987م، ولتفوقه أعفي من الخدمة الإلزامية فالتحق بكلية التربية بتعز، وكانت تتبع جامعة صنعاء، قبل افتتاح جامعة تعز، وتخرج فيها عام 1992م.

عمل مدرساً للغة العربية في صفوف الثانوية العامة، ثم موجهاً لمادة اللغة العربية في عدد من مديريات محافظة تعز، وعين مديراً للثقافة والنشاط الاجتماعي بإدارة المعاهد العلمية بتعز.

كان صادق منصور رجلاً استثنائياً، وكأن عليه أن ينجز الكثير في وقت قصير، خلال أعوامه الثمانية والأربعين، فانطلق يسابق الزمن، ويطوي الأرض طيّاً؛ داعية وموجها، ومربيا، ومنظّما، يتنقّل في مديريات تعز بين المخاء والوازعية وموزع وجبل حبشي ومقبنة، ومن الرونة والسلام إلى المسراخ

والموادم ومشرعة وحدنان، وترك بصماته في الدمنة والراهدة وحيفان والقبيطة، وشمل بنشاطه الصلو وسامع وماوية والحُشاء والتعزية والمعافر، يحمل روحاً وثّابة متفائلة، لا تعرف الإحباط ولا تستسلم للمعوقات.

وعلى صعيد عمله التنظيمي في حزب الإصلاح، فقد عمل نائباً لدائرة التنظيم والتأهيل بتعز، ثم رئيساً للدائرة المالية، فأميناً للمكتب التنفيذي، ثم أميناً مساعداً لدورتين انتخابيتين.

لقد كان رحمه الله داعية للحرية والعزة والكرامة، منادياً بتحقيق العدالة للجميع، مقداماً في التقريب بين فرقاء العمل السياسي، يبتكر الحلول للمشكلات، ويسعى لقطع دابر الفتنة التي تطل من هنا أو هناك، وهو في سيرته من الذين يمشون على الأرض هوناً، متواضع، قريب من الناس، خدوم للقريب والبعيد، صاحب خلق رفيع وأدب جمّ، عليه سيماء الأتقياء والعبّاد الصالحين، أفنى عمره في خدمة دينه ووطنه وشعبه، وكان كريماً مضيافاً، ودوداً خدوماً، يحظى باحترام وتقدير من عرفه أو تعامل معه.

عاش صادق منصور لين الجانب، هادئ الطبع، يعمل بصمت، يناقش بهدوء، ويحاور من دون انفعال، وكان رحمه الله بعيد النظر، عميق التأمل، عصي عن الاستجابة للاستفزازات، وظل الهدوء سمة ملازمة له وقد تمكن أن يكوّن علاقات واسعة بالوجهاء والساسة على تنوع توجهاتهم ورؤاهم، وكان حضوره فاعلاً، ومثابرته متميزة في المجلس الأهلي لمدينة تعز، وكذا في أثناء تشكيل لجنة التهدئة لمحافظة تعز في عهد حكومة

باسنــدوة (2012 – 2014م).

جاء عام 2014م عاصفاً بالتوتر والأحداث، والاستقطابات السياسية، وحمل صادق منصور مهمة إطفاء الحرائق، ومد حبال التواصل، يتنقل بين القادة والساسة والوجهاء، يدعو للوئام والتعايش، محاولاً تجنيب محافظة تعز الاقتتال، وحقق نجاحات كبيرة، ولكن من يكرهون السلام، ومشعلو الفتن لم يرُق لهم ذلك، فقرروا التخلص منه.

ولأنه كان مطمئناً لمسلكه، فقد اعتاد ألا يتخذ احتياطات أمنية، وذات صباح خرج من بيته منفرداً ذاهباً إلى مقر عمله، يقود سيارته بنفسه، وبينما كان يعبر حارة المسبح، بجوار نادي تعز السياحي، انفجرت عبوة ناسفة، كان قد تم إلصاقها بسيارته، تحت مقبض باب السائق، وبطريقة كانت جديدة على محافظة تعز الآمنة، فخرّ على وجهه ساجداً سجدته الأخيرة، التي لم يعش بعدها، وانتقل إلى جوار ربه تعالى وهو لمّا يزل في قمة العطاء، وكان الناس ينتظرون له مستقبلاً زاهرا ينفع فيه شعبه ووطنه، لكن أجله المحتوم حان، فختم الله له بالشهادة.

لقد خسر الوسط السياسي بوفاة صادق الحيدري قائدا محنكاً، وغاب عن الوسط التربوي معلماً ملهماً، وفقد إخوانه وزملاؤه أخاً عزيزاً، وحبيباً طالما جمعتهم به الهموم الدعوية والوطنية المشتركة، وميادين العمل التربوي والاجتماعي والسياسي.

لا أذكر في كل اللقاءات التي جمعتني به، أن حدثني عن قضية تخصّه شخصياً، أو تتعلق بمصلحة له، أو لأحد أقاربه، كان داعية بسلوكه وهدوئه ومواقفه، وعاش يحمل همّ أمّته، ويسعى لصلاحها ومجدها.

كان مع زميله أمين ناجي الرجوي، من النوابغ المشهود لهم، ومن الموافقات، أن يقضي صادق منصور في حادث تفجير غادر، ويلحق به رفيق دراسته أمين ناجي الرجوي، عندما اقتيد إلى السجن، وأعيد إلى أهله جثة هامدة، كتبهما الله في الشهداء، فأين سيذهب القتلة من قول الله تعالى:

{وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيما}.

عاش صادق منصور حاضراً في القضايا العامة، غائبا عن مصالحه الشخصية؛ فقد انتقل إلى جوار ربه تاركاً أسرته في بيت مستأجر، وكانت جنازته الشعبية والرسمية الكبيرة في مدينة تعز، خير شهادة لجهوده وتفانيه، وحب الناس له.

ولد صادق منصور علي سيف الحيدري في قرية النزيهة، ممسى الهَبن،

عزلة الأفيوش، مديرية مذيخرة، محافظة إب عام 1966 م، وتوفي في مدينة تعز، صباح الثلاثاء 18من نوفمبر 2014 م، مخلفاً أربعة أولاد وأربع بنات، وقد شيعه الآلاف إلى مثواه الأخير في مقبرة كلابة، رحمه الله وكتبه في الشهداء وحشره مع المهديين.

•~•~•~•~•~•~•~•

صالح السنباني حامل راية الحريات والحقوق

(1376 - 1441هـ) (1957 - 2020م)

الدكتور/ صالح بن عبد الله بن علي السنباني، من رجالات اليمن الأفذاذ، قامة علمية سامقة، ووجاهة اجتماعية فاعلة، داعية للخير والصلاح، كان طوداً أشمّاً، يقول كلمة الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، صاحب عزم متين، وبأس شديد، وبصيرة ثاقبة، ورأي سديد، جمع بين حماس الشباب، وحكمة الشيوخ، مدافع صلب عن الحقوق والحريات، عاش مرابطاً في محراب التعليم والتوجيه، وميادين العمل التربوي والأكاديمي والخيري والنقابي والسياسي.

كان عظيماً، معتزاً بدينه، محباً لشعبه ووطنه، غيوراً على أمته، خدوماً

للناس، قوّالاً للحق، مكافحاً للباطل، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، أفنى حياته يروم العزة والكرامة لأمته، ويسعى لرفعتها ومجدها.

ولد صالح السنباني عام 1957م في سنبان حاضرة قرى عنس محافظة ذمار، الواقعة على بعد 125 كم جنوبي العاصمة صنعاء، توفي والده وهو طفل صغير، وتولت تربيته والإنفاق عليه والدته الفاضلة، من خلال عملها في الحياكة وخياطة الثياب. درس الابتدائية في قريته، ثم انتقل إلى العاصمة صنعاء، ودرس المرحلة الإعدادية في مدرسة الوحدة، وسكن في القسم الداخلي التابع للمدرسة، وأكمل المرحلة الثانوية بمدرسة جمال عبد الناصر.

التحق بجامعة صنعاء، وتخرج في كلية التربية، وحصل على درجة بكالوريوس تربية في علوم الكيمياء والفيزياء عام 1984م، ثم حصل منها على الدبلوم الخاص عام 1988م، ونال فيها أيضاً درجة الماجستير في علم النفس التربوي عام 1991م، ثم واصل دراسته في بريطانيا، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة برمنجهام في علم النفس التربوي، تخصص علم نفس التعلم عام 1998م.

نشأ السنباني نشأة صالحة، وتعلق قلبه بالمسجد، وعلامات النجابة التي ظهرت عليه منذ صغره، كانت تنبئ عن شخصية سيكون لها شأن في المستقبل، ومنذ مقتبل شبابه، بدأ يمارس الدعوة والإرشاد في أي وسط يكون فيه، وتأثر بعدد من الدعاة، منهم الأساتذة محمد حمود الخميسي، وعبد

الله عبد الله قشوة، وعبد الملك منصور المصعبي، وعلي يوسف الجعدي، ومن معلميه الأستاذان الفلسطينيان محمد ذياب سلوت، وسلمان محمد دلول. وتتلمذ على يد الأستاذ علي عبد الله الواسعي، وتعلم منه الكتابة الصحفية، وعمل معه مديراً لتحرير مجلة الإرشاد التابعة لوزارة الأوقاف، ومحرراً لباب شؤون يمانية.

ثم صار صالح السنباني كاتباً صحفياً، يناقش بموضوعية هموم المواطن، ومشكلات البلاد، وقضايا الأمة، وقد استمر لأكثر من سبع سنوات يكتب عموداً أسبوعياً في صحيفة الصحوة تحت عنوان (قضية).

وبعد أن أكمل الثانوية العامة، أدى خدمة التدريس الإلزامية في وادي عبيدة بمحافظة مأرب، وترك أثراً عظيماً في الطلاب الذين درسهم، وعلى أولياء أمورهم في المساجد والملتقيات العامة، ثم انتقل إلى منطقة خارف في قبيلة حاشد، معلماً وموجهاً، وكسب حب أهلها وتقديرهم، ولم تنقطع صلته بهم إلى أواخر أيام حياته.

الشجاعة والإقدام، والشهامة والنجدة، صفات لازمته طول سني عمره، فكان مبادراً لنصرة المظلومين، وانتزاع الحقوق لأصحابها، ساعياً في فعل الخير، يتبنى المشروعات ذات النفع العام، ويجد راحته في خدمة الضعفاء والمحتاجين.

كانت لصالح السنباني مهابة لا تخطئها العين، يفرض احترامه حيثما حلّ، ويكسب ثقة من حوله بقوة شخصيته، وتعدد مواهبه، فعندما تشكل

أول اتحاد للطلاب في اليمن عام 1980م، تم انتخابه أول رئيس لاتحاد طلاب اليمن في دورته الأولى، وفي الدورة الثانية تم انتخابه رئيسًا لمجلس الاتحاد عام 1982م، فكان مثالاً للطالب المجتهد، والشاب الطموح، الذي ينظر للمستقبل بتفاؤل، والنقابي الحريص على مصلحة الطلاب، والساعي لتوفير متطلبات التعليم ووسائله، والداعي لنشر التعليم في الحضر والريف، وللإناث والذكور، وشهد اتحاد الطلاب برئاسته حضوراً قوياً ومؤازراً لتطوير العملية التعليمية، لمختلف المراحل الدراسية.

وبعد أن أصبح أستاذاً في كلية التربية بجامعة صنعاء، تم اختياره عضواً في نقابة هيئة التدريس ومساعديهم بجامعة صنعاء، لأكثر من دورة انتخابية، وقد كان عضواً نشيطاً وفاعلاً بشهادة زملائه، المتفقين معه والمختلفين معه سياسياً، وكان بعضهم يطلق عليه لقب صاروخ النقابة، و(جوكر) النقابة، كرس قدراته ومواهبه في الإسهام بتطوير التعليم في الجامعة، واكتسب حب وتقدير زملائه من أساتذة الجامعات اليمنية ومنتسبيها، لتفانيه في خدمتهم، وتبني قضاياهم، واستخراج حقوقهم المادية والمعنوية.

وفي أثناء دراسته للدكتوراه في بريطانيا، استمر نشاطه الدعوي في البيئة الجديدة التي انتقل إليها، وتم اختياره نائباً لرئيس مجلس أمناء أمانة معاذ الخيرية بمدينة برمنجهام، وبعد إكمال دراسته في بريطانيا، ظل عضواً في مجلس أمانة معاذ حتى توفي رحمه الله.

وفي كلية التربية بجامعة صنعاء، عمل أستاذاً مشاركاً، وأشرف على عشرات رسائل الماجستير والدكتوراه، وكان له حضور أكاديمي وإداري ونقابي على مستوى الكلية والجامعة، وتم اختياره نائباً لرئيس الجمعية اليمنية للعلوم التربوية والنفسية، وتم تكليفه عضواً في لجان الامتحانات بكلية التربية، وعلى مستوى الجامعة، وعين عميداً للدراسات العليا والفروع والتعليم المفتوح بالجامعة اليمنية، وعمل مدرساً لمادة علم النفس في عدد من الجامعات الخاصة، وتم اختياره نائباً لرئيس مجلس أمناء معهد الأحمر للدراسات والعلوم المقدسية، كما تم تعيينه عضو مجلس أمناء ومجلس إدارة العديد من الجمعيات والمؤسسات الاجتماعية الخيرية، المحلية والدولية، ومنها رئيس مؤسسة إثمار لطالب العلم، وعضو مجلس أمناء مؤسسة اليتيم، وعضو مؤسسة الفاروق التنموية.

شارك في عدد من المؤتمرات، والندوات العلمية، وورش العمل في اليمن ومصر ولبنان وتركيا وبريطانيا، ونشرت له بحوث تربوية باللغتين العربية والإنجليزية، في مجلات علمية محكّمة.

ظل الدكتور/ صالح متواصلاً مع أبناء بلدته سنبان؛ يتبنى همومهم، ويسعى لقضاء حوائجهم، والمطالبة بالمشاريع الخدمية لبلادهم، وكان خير من يمثلهم ويسعى في مصالحهم، وتم انتخابه نائباً لرئيس جمعية سنبان الاجتماعية الخيرية، وأسس دار القرآن الكريم في سنبان، وقد تم اختياره رئيساً لمجلس إدارة الدار التي تخرج منها مئات الحفاظ، ولم يكن في منطقته قبل ذلك حافظ واحد منذ مئات السنين، وتم اختياره مشرفاً عاماً لدار

الصديق لتعليم القرآن الكريم والعلوم الشرعية، في حمة سليمان، مديرية عنس، محافظة ذمار.

انتخب الدكتور/ صالح السنباني عضواً في مجلس النواب ممثلاً للدائرة 15 بأمانة العاصمة (دورة 2003م)، وكان عضواً في لجنة التعليم العالي والشباب والرياضة، ورأس لجاناً خاصة كثيرة في المجلس، وقد كان فاعلاً في قاعة المجلس، وفي جميع اللجان والوفود التي شارك فيها، وعُرِف بالجدية في أداء واجباته؛ يعطي المهمة التي توكل إليه حقها، ولا يجامل أو يغض الطرف عن أي خطأ يطلع عليه، ولا يسمح بأي تجاوز للدستور والقانون.

جمعتني بالدكتور صالح ميادين العمل التربوي والخيري والسياسي، وتوّجنا أعمارنا أعضاء في مجلس النواب؛ فلم نألُ جهداً، ولم ندخر وسعاً في الوفاء بواجباتنا الدستورية، وحمل هموم شعبنا ووطننا، جعل الله ذلك شاهداً لنا وبراءة لذمتنا، وأشهد أن أخي صالح كان أكثر حماسة، وأمضى عزيمة، وأكثر إقداماً، وأسرع مبادرة في تبني القضايا العامة، والدفاع عن حقوق المواطنين وحرياتهم.

عرفته عن قرب رحيماً وعطوفاً على أهله وأولاده، لين الجانب مع إخوانه، ينزل على إرادتهم، ولا يصرّ على رأيه، قوياً في مواجهة الباطل مهما كانت منزلة من يتبناه، أو يدافع عنه؛ وهو مع ذلك متسامح كريم، سريع الفيء، يرضى بقضاء الله وقدره، وينظر للمستقبل بتفاؤل، لا يبالي بالصعاب، ولا يكترث للحوادث العظام، يواجهها من دون يأس، ولا ينكفئ على نفسه إذا أوصدت

في وجهه الأبواب، ما لانت له قناة، ولا أوهنته عوادي الزمن، ولَم ينكسر أمام الظلم والطغيان، بل ظل شامخاً مرفوع الرأس، عالي الهامة، يقتدي الأحباب والأقران بعزيمته وشدة بأسه، فلله دره من رجل، وما أعظمه من قائد، وما أقربه من صاحب، وما أكرمه من مضيف، وما أبرّه من ولد، وما أحناه من أب، وما أروعه من زوج، وما ألطفه من رب أسرة، وما أقربه من أخ وشقيق؛ والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً.

في بداية ثمانينيات القرن الماضي، تم إعلان وإشهار حزب المؤتمر الشعبي العام، فكان صالح السنباني أحد مؤسسيه، وبعد الوحدة اليمنية والسماح بالتعددية السياسية، كان من **مؤسسي حزب التجمع اليمني** للإصلاح، وتم اختياره رئيساً لدائرة الإعلام والثقافة بأمانة العاصمة، ثم عين أميناً مساعداً لمكتب الإصلاح التنفيذي بأمانة العاصمة، وانتخب عضواً في مجلس شورى الإصلاح، واختارته الكتلة البرلمانية للإصلاح نائباً لرئيس الكتلة، وقد كان له حضور بارز في كل المواقف والمشاهد التي مرت بها اليمن.

بعد خروجه الأخير من صنعاء عام 2015م، كان له دور كبير في جمع شتات أعضاء مجلس النواب، الذين غادروا الوطن بعد إغلاق البرلمان، ومطاردة الأعضاء من قبل سلطة الانقلاب بصنعاء، وقد استطاع مع بعض زملائه إعادة المجلس إلى الواجهة، على الرغم من الإهمال المتعمد لمؤسسة البرلمان، وعدم استفادة الشرعية منها.

وفي السودان محطته الأخيرة صار الدكتور صالح الأب الحاني للطلاب

الدارسين هناك، والمرجع الذي تأرز إليه الجالية اليمنية لحل الكثير من المشكلات التي تواجههم، في الظرف الاستثنائي الذي تعيشه اليمن.

شاءت الأقدار أن يتعرض الدكتور/ صالح السنباني أواخر حياته للابتلاء الشديد، فبعد سيطرة جماعة الحوثي على العاصمة صنعاء، قامت باقتحام مساكنه ونهب بعض محتوياتها، وتلقى مع بعض أفراد أسرته أكثر من مرة تهديداً بالتصفية الجسدية، فاضطر إلى مغادرة اليمن عام 2015م، واستقر به المقام في العاصمة السودانية الخرطوم، وفي 2020/3/9م، حكمت عليه جماعة الحوثي - مع أعضاء آخرين - بالإعدام، وصادرت منزله، وأخرجت منه من تبقى فيه من أسرته، بمن فيهم والدته ذات التسعين عاماً، فاحتسب ذلك عند الله، واعتبره جولة من الصراع بين الحق والباطل، ولم تمض فترة طويلة حتى اختاره الله إلى جواره، متأثراً بأمراض القلب التي كان يعاني منها.

وعلى الرغم من أنه عاش نصيراً للمظلومين، وسنداً للمكلومين، لكنه توفي مهاجراً مظلوماً ليقول لمن بعده: اعملوا ولا تيأسوا، فالدنيا ليست دار جزاء، وإنما محطة في الرحلة إلى الدار الآخرة، وهناك بين يدي جبار السماوات والأرض الحكم العدل، سيقضي الله بين عباده، وينصف المظلوم، وسيجزي فاعلاً ما قد فعل، والسعيد من أدخل السعادة إلى نفوس الآخرين، وخرج من الدنيا خفيفاً من حمل أوزار الناس وحقوقهم.

برحيل الدكتور/ صالح السنباني، خسرت اليمن أحد أبنائها البررة،

ورجالها الأوفياء؛ فخيّم الحزن على زملائه وتلامذته ومحبيه، ومن عرفه في مختلف الميادين، ونعته رئاسة الجمهورية، وهيئة رئاسة مجلس النواب، والكتلة البرلمانية للإصلاح، والمكتب التنفيذي للإصلاح بأمانة العاصمة، والأمانة العامة للإصلاح، كما نعاه الطالب والأستاذ والأكاديمي والسياسي والإعلامي، وجميع فئات المجتمع الذين كان قريباً منهم.

ونظم الاتحاد العام لطلاب اليمن في السودان فعالية تأبين الكترونية، شارك فيها رئيس مجلس النواب ونوابه، ورؤساء الكتل البرلمانية، وعدد من زملائه النواب والأكاديميين، وشخصيات اجتماعية وسياسية، وتخللت فعالية التأبين عدد من الكلمات، التي تطرقت إلى مناقبه وأدواره النضالية في مختلف مراحل حياته.

كتابات كثيرة وشهادات، تحدثت عن صفات الدكتور صالح السنباني وأعماله، وأرجو أن يقوم أولاده بجمعها وطباعتها، وقد كان للشعراء إسهام في النعي، وبيان صفات الراحل رحمه الله، **ومن ذلك هذه الأبيات للدكتور غالب عبد الكافي القرشي وزير الأوقاف السابق:**

جَلَّ الأسى وتضاعفت أحزاني ..... إذ غادر الدنيا الهُدى السنباني

إن كان صالحُ في القديم هدىً لمن ..... سلك الضلال متابعَ الشيطانِ

فلأنت كنت هدية ممنوحة ..... للغافلين عن الهدى الرباني

لا داعياً للدينِ أولَّ مرةٍ ..... بل مرشداً ومربياً بتفاني

ومعلّماً ومبصّراً ومـذكّراً ..... أقـر انك القُربى من الشبّانِ

والأبعـدينَ فلم تكنْ متبـاعداً ..... عنهمْ بلِ الكلُّ كما السنباني

الكل يشعــر أنه الحِبُّ الذي ..... أحببتـهُ وخصصته وتؤاني

ما كنتَ يوماً حاسـداً أو حاقداً ..... أو جاحـداً للحـقِّ للإنسانِ

بل كنت ذا حـلمٍ وذا علمٍ..... وذا فضـلٍ ولا منٍّ ولا رَوَغَـانِ

تجدِ المخـالفَ منتش بِعـدائهِ ..... فتكونَ سِلمـاً سالكَ الغُفرانِ

فإذا تجـاوز حـدّهُ قامتْ لهُ ..... تلك القيـامة منك ياسنباني

أما المـو افقُ فالـذي تبدي لهُ ..... هو حبُّـه والنقـدُ شيءٌ ثاني

حينَ اقتر افـهِ ما يشينُ لجهله ..... فتكونُ أنت الناقـدَ الرباني

يا صـالحَ الإصلاح نم متوسداً ..... مجـداً من الإسلام والإيمانِ

أرجـو لك الحُسنى وقبركَ روضةٌ ..... فهما الجزاءُ لصاحب الإحسانِ

ما كـان ظني أن أراكَ مولياً ..... قبلي إلى الأخـرى ونا بمكاني

لكنَّـه قدروآجـالٌ فمـا ..... ندري متى أوْفَى ثرى السـودانِ

الله يجمعنـا بدار سعـادةٍ ..... أبديّـةٍ مع سـادة الإنسـانِ

توفي الدكتور صالح السنباني في أحد مستشفيات العاصمة السودانية

(الخرطوم)، يوم الأحد 8 من شوال 1441 هـ، الموافق 31 من مايو 2020م، وخلف أربعة أولاد وست بنات، وتم مواراة جثمانه الثرى في مقبرة الفاروق بالعمارات، شارع 15 البوابة الغربية، وكان التشييع مهيباً ومؤثراً، وقبل أن يودع الحاضرون القبر، كانت أسراب من الحمام تقف على قبره، رحمه الله، وتقبله في الصالحين، وحشره في المهديين، وأسكنه الفردوس الأعلى من جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•~•

طارق أبو لحوم رائد العمل الخيري والإنساني

(1365 - 1435هـ) (1946 - 2014م)

كحامل المسك؛ إما أن يحذيك، أوتبتاع منه، أو تجد منه ريحاً طيبة، إيجابيّ فيما يُعرض عليه، لا يتردد في خدمة الناس والسعي لمنفعتهم، نسمة عليلة تنعشك، وجدولٌ رقراقٌ لا تملّ من رؤيته، قليل الأقوال، كثير الفعال، مبتسم بشوشٌ، نادر الشكوى، دائم الإنجاز، صلب المراس، قد يدخل في صراع شديد مع أصحاب الوجاهة والنفوذ، من أجل مصلحة عامة، وبعدها يكتشف من اختلف معهم، بأنه لا مصلحة شخصية له في قضية الخلاف معهم، وإنما كان ذلك من أجل مصلحة عامة للأيتام والأرامل، أو جمعية خيرية ذات نفع عام.

الدكتور طارق بن سنان بن عبد الله أبو لحوم، من مواليد قرية يعْكُب، عزلة وراف، مديرية جبلة، محافظة إب عام 1946م، له سبعة إخوة، وست أخوات، وترتيبه الثاني بينهم، والده سياسي مخضرم، شارك بفعالية في مراحل النضال الوطني في اليمن، وكان له تأثير فاعل في الحياة الاجتماعية والسياسية، وأصل أسرة (أبو لحوم) من نهم، وانتقل جدهم إلى إب واستقر فيها.

لم تكن الطريق مفروشة بالورود لطارق منذ صغره؛ فقد أُخِذَ رهينة في عهد الإمام أحمد حميد الدين، مرة إلى حجة، ومرة إلى صنعاء، وكان ذلك نظاما اعتمده الأئمة؛ يأخذون أولاد المشايخ رهائن، ليضمنوا ولاءهم، وعدم تمرد قبائلهم.

بدأ تعليمه الأولي في كتّاب القرية، وبعد أن انتهت فترة حجزه رهينة، أرسله والده إلى مصر للدراسة، وظل تحت عناية أبي الأحرار محمد محمود الزبيري قبل ثورة سبتمبر 1962م، وفي القاهرة درس الابتدائية والإعدادية وأكمل الثانوية العامة القسم العلمي.

وفي عام 1966م استدعت القيادة المصرية الحكومة اليمنية والسياسيين المؤثرين، وعندما وصل القادة اليمنيون القاهرة، تم إيداعهم السجن باستثناء القاضي عبد الرحمن الأرياني، والقاضي عبد السلام صبرة، أما والده الشيخ سنان أبو لحوم فقد توجس من تلك الدعوة فاتجه إلى بيروت، ولم يذهب إلى القاهرة، فتم اعتقال ولده طارق بدلاً عنه – وكان ما يزال طالباً في الثانوية - مع أعضاء الحكومة، وأودع معهم السجن الحربي، وبقي فيه لمدة عام، ولم يتم الإفراج عنهم إلا بعد نكسة 1967م، وانتحار المشير عبدالحكيم عامر

النائب الأول للرئيس جمال عبدالناصر، والذي أمر بسجنهم.

كان السجن فرصة لاحتكاك طارق بكبار الساسة والمناضلين اليمنيين المعتقلين، والاستفادة من خبراتهم وتجاربهم، إضافة إلى تفرغه لحفظ أجزاء من القرآن الكريم، ولم يؤثر ذلك على عزيمته، بل واصل مشوار تعليمه، واستمر يتعامل مع أحداث الحياة بإيجابية، فلم يشعر بالإحباط، ولم يتطرق إلى نفسه اليأس، بل غدا واحداً من أعلام الخير والصلاح، وخدمة الناس.

بعد أن أكمل الثانوية العامة في مصر ابتعث لدراسة الطب في فرنسا، ومنها حصل على شهادة بكالوريوس في الطب عام 1977م، وتخصص بعدها في طب الأطفال، ثم واصل الدراسة في الجامعة التونسية، وحصل منها على درجة الدكتوراه في طب الأطفال عام 1983م.

الأحداث التي كانت تقطع الدكتور طارق عن مواصلة الدراسة، لم توهن عزيمته في حب التعلم، فما يلبث أن يعود إلى مقاعد الدراسة بكل همة ونشاط، وكان يقول: العلم ليس له مقياس بالعمر، ويظل الإنسان يتعلم كل يوم جديداً، وفي عامه الأخير، اهتمّ بمراجعة لغته الفرنسية، التي انقطع عن ممارسة الحديث بها، منذ عودته من دراسة الدكتوراه.

عمل أستاذاً لطب الأطفال في كلية الطب بجامعة صنعاء، ورئيساً لقسم الأطفال، وشارك في تأليف مناهج طب الأطفال في الجامعة، وعلى الرغم من أنه طبيبٌ نطاسيٌّ، فقد كانت لديه اهتمامات متعددة: علمية، وتجارية، وسياسية، واجتماعية واسعة..

افتتح عيادة في شارع حدة بصنعاء، وكانت عيادته نموذجية في نظامها، ومواعيدها، وتجهيزاتها، ونظافتها، وكان رائعا في تعامله مع مرضاه الأطفال، ومع آبائهم وأمهاتهم، يعطي الحالة التي أمامه حقها من الاهتمام، وحُسن الاستماع، ودقة الكشف، وتشخيص المرض، ويُشعر أهل المريض بأن الطفل الذي يعالجه ولده هو، وأمره يهمّه أكثر من والديه، وكانت تلك المعاملة الراقية رسالة تعني الكثير، وتداوي النفوس، قبل أن تعالج الأجساد.

وكان الدكتور طارق - رحمه الله - منظّماً، ومتميّزاً في علمه وعمله وعطائه، متعدد المواهب، مبادراً، ولديه طموح واسع، لكنه يقول بأنه لم يجد ذاته إلا في العمل الخيري، الذي أصبح يجري في عروقه ودمه، ويشغل فكره ووقته وجهده، حتى برّز فيه، وصار علَماً ورائداً وقائداً لا يُشقّ له غبار في عمل الخير، وخدمة المجتمع، معرضاً عن الاهتمامات الشخصية، وراحته وسلوى نفسه حين يحقق نجاحاً أو مكسباً للفقراء والأيتام، أو طلاب العلم، أو مساعدة المرضى، ومع ذلك فقد سعى إليه المجد، وكسب حب الناس، ونسأل الله أن يجعل ذلك في موازين أعماله يوم القيامة.

تبنى مع والده الشيخ سنان أبو لحوم، إقامة سكن خيري لطلاب جامعة صنعاء، مكون من عدة مبانٍ، استوعبت – ومازالت - آلاف الطلاب المحتاجين للسكن.

وفي أواخر الثمانينيات، دعا مع ثُلّة من أهل الخير إلى تأسيس جمعية خيرية، تخدم شرائح المجتمع المختلفة، لا سيما الفقراء، وذوي الدخل المحدود، وتم وضع النظام الأساسي للجمعية، وسميت (جمعية التكافل

الاجتماعي الخيرية)، إلا أن وزارة الشؤون الاجتماعية اعترضت حينها على الاسم، لوجود جمعية سابقة بذات الاسم، فعدل التسمية إلى (جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية)، وتم اختيار الدكتور طارق رئيساً للجمعية.

بدأ العمل مع زملائه من الصفر، واعتمدت الجمعية في البداية على الاشتراك الشهري للأعضاء المؤسسين وتبرعاتهم، واستطاع - رحمة الله تغشاه - بدأبه وعزيمته وحكمته، وقدرته الفائقة على تكوين العلاقات، وحسن قيادته للعاملين معه، واطلاعه على تجارب العمل الخيري في الكثير من دول العالم، أن يقفز بالجمعية خلال عقد من الزمان، فأصبحت خدماتها تغطي كل أنحاء الجمهورية اليمنية في الأعمال الخيرية والصحية والتعليمية والاجتماعية، بل صار لها إسهامات في حملات الإغاثة على مستوى الوطن العربي، والعالم الإسلامي، وغدت محل الإعجاب والتقدير محلياً وإقليمياً ودولياً، ومنحت شهادات ودروعا وجوائز عربياً ودولياً، وعلى مستوى الأمم المتحدة، والأهم من ذلك أنها كسبت ثقة أهل الخير في الداخل والخارج.

ومن فضل الله على الدكتور طارق، أنه رأى ثمرة جهده مع إخوانه المؤسسين، وزملائه العاملين، فصارت الجمعية تكفل أكثر من خمسين ألف يتيم، وعشرات الآلاف من الأسر الفقيرة، إضافة إلى عدد من المستشفيات والمراكز الصحية، وتبنت حملات الإغاثة عند الأزمات والزلازل، وكانت الجمعية حاضرة قبل الدولة مع النازحين، وعند الكوارث والسيول الجارفة، حتى غدت أكبر جمعية خيرية في اليمن.

لقد استطاع الدكتور طارق أن يقود فريق عمل، اتسم بالتآزر والتعاون في فعل الخير، فأنجز الكثير، ومن ذلك أنهم زاروا السجن المركزي فوجدوا حالات من السجناء والسجينات في أوضاع نفسية صعبة، فتأثروا لذلك، وذهبوا إلى وزير الداخلية، وأقنعوه بنقل أولئك السجناء إلى مستشفى يتم إنشاؤه لهذا الغرض، وبادر رجال الأعمال الخيّرون لتمويل المشروع حتى أصبح مؤسسة تقدم خدماتها المتميزة لمرضى الحالات النفسية، وكانت سبباً لعلاج حالات كثيرة ممن يئس منهم أهلهم، أو اعتقدوا أنهم قد ماتوا، فعادوا بكامل صحتهم وقواهم العقلية.

وعندما رأى الدكتور طارق أن جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية قد وقفت على أقدامها، بعد أن درب فيها قيادات قادرة على تسيير أعمالها بكفاءة وأمانة، وصار عملها يتسم بالنزاهة والشفافية والتفاني، ترك رئاستها لينتقل إلى ميادين أخرى أبدع فيها وأجاد.

كان الدكتور طارق الرائد والمؤسس لمدارس النهضة الحديثة، بنظامها الحديث المتطور وإدارتها التربوية المتميزة، ثم تبنى فتح كلية العلوم والتكنولوجيا التي تطورت بعدها إلى جامعة العلوم والتكنولوجيا (كبرى الجامعات الخاصة في الجمهورية اليمنية)، واستقطب لها خيرة الأساتذة والمربين، وتولّى رئاسة مجلس أمناء الجامعة، وتوّج ذلك الإنجاز بإنشاء مستشفى جامعة العلوم والتكنولوجيا، الصرح الطبي الشامخ، الذي ظل رئيساً لمجلس إدارته حتى وفاته رحمه الله.

وكان الدكتور طارق سنان عضوًا فاعلًا في الجمعية الخيرية لتعليم

القرآن الكريم، وشغل موقع رئيس مجلس إدارة شركة الموارد للخدمات التعليمية والصحية، وتم اختياره عضواً في المجلس الأعلى العالمي للمساجد برابطة العالم الإسلامي، وعضوا لمجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية، وهو أيضاً عضو مجلس إدارة الصندوق الاجتماعي للتنمية، كما أنه عضو ومؤسس في العديد من المؤسسات، ومنظمات المجتمع المدني، والشبكات الخيرية والتنموية.

لقد استطاع الدكتور طارق أبولحوم ورفقاء دربه تجسيد مبادئ الإسلام، وتحويلها إلى واقع، وأن يجعلوا من القيم النبيلة حقائق يعيشها الناس، وكان هذا عزاءه وسلواه؛ فيما يكابده من لأواء وجهد وتعب في فعل الخير، وكنت عندما أراه مغموماً لأمر لم ينجح فيه، أُسَرِّي عنه، فأذكر له الأثر العظيم الذي يحدثه جهده بنقل قيم الإسلام من الأقوال إلى الأفعال، ومن المعاني المجردة إلى واقع ملموس فينشرح صدره لذلك.

كانت سيماء التقوى والصلاح بادية على الدكتور طارق، فهو دائم الذكر والدعاء، تراه خاشعاً في صلاته، حريصاً على أداء الفرائض في المسجد، يتميز بالورع، فقد كان تعامله مع المال مثالاً للمؤمن الصادق؛ فهو كريم في إنفاق ماله الخاص، لكنه شديد الحرص على المال العام، ولا أزكي على الله أحداً.

ومع جلال قدره، فهو متواضع، لين الجانب، حلو المعشر، وأتذكر أنني حضرتُ يوما مأدبة غداء في دار الأحمر التابع لجمعية الإصلاح الاجتماعية

الخيرية، بمناسبة مناقشة رسالة دكتوراه لأحد أقاربي، وتفاجأتُ بأن الدكتور طارق هو من يقوم بتقديم الطعام، وخدمة الضيوف بنفسه، ولم يأكل إلا بعد أن أكل الحاضرون!

أما علاقته الأسرية فهو نموذج رائع للولد البار بوالديه، وقدوة يُحتذى للزوج المثالي، والأب الحنون، والأخ العطوف، وعندما سألتُ أهله عن صلته لأرحامه، قالوا بأن الحديث عن ذلك متشعب، ولا يسعه كتاب، ومع ذلك فقد كان يحب أن يظل ذلك بينه وبين خالقه، ولا يحب أن يطلع عليه الناس، ومن برِّه أنه بعد تقدم السن بوالده، كان يحرص على ألا يفارقه إلا لعمل ضروري، ومع كثرة أعماله وتعدد مسؤولياته، فإنه لا يغيب في مناسبات الأفراح والأتراح، لأقاربه وأصدقائه وأحبابه.

على الرغم من ملازمة بعض الأمراض له، كمرض السكر لأكثر من ثلاثين عاما، فقد كان رحمه الله متفائلاً، وصاحب حيوية ونشاط، لا يكلُّ ولا يَمَلّ؛ يبدأ دوامه من بعد صلاة الفجر، ويستمر حتى المساء، فكان يشعر أن هناك واجبات كثيرة، وعليه أن يؤديها في عمره المحدود، وهو أيضاً حازم وقوي، وصاحب شكيمة وعزم، ومن ذوي الرأي وبُعْد النظر.

الدكتور طارق سنان الرجل الذي حفر اسمه في ذاكرة اليمنيين، حاملاً راية البِر والخير والإحسان، ترك بصمات لا تُنسى في خدمة المجتمع، وظل ينأى بنفسه عن المناصب السياسية التي عرضت عليه، وكان شديد الحرص على أن يكون عطاؤه لكل الناس، بغض النظر عن توجهاتهم السياسية، أو

مناطقهم الجغرافية، تم اختياره عضواً في اللجنة الدائمة لحزب المؤتمر الشعبي العام، إلا إنه لم يعرف التعصب الحزبي ولا القبلي ولا المناطقي، ولم يتنكر لأي جهة أو فرد، وظل خدوماً لمن يعرف ومن لا يعرف، لاسيما الفقراء والمساكين والأيتام، والأرامل والمرضى، وطلاب العلم.

برحيل الدكتور طارق سنان، فقدت اليمن والعالم الإسلامي شخصية اجتماعية فاعلة ونادرة، ذات قدرات فائقة في نسج العلاقات وتوجيهها لعمل الخير، عاش لأمته، وبذل حياته من أجل الآخرين، وترك فراغاً كبيراً في جميع الميادين التي عمل فيها.

تشييع مهيب لجثمان الفقيد الدكتور/ طارق سنان أبو لحوم- رحمه الله

ولد طارق سنان أبو لحوم في محافظة إب عام 1365هـ 1946م، وتوفي بتاريخ 22 من جمادى الأولى 1435هـ الموافق 2014/3/23م إثر جلطة شديدة أصيب بها، وهو في رحلة عمل في ماليزيا، ثم نقل إلى الرياض، وتوفي هناك، خلف بنتاً وأربعة أولاد، ودفن في صنعاء جوار والدته رحمها الله، قرب منزلهم في مقبرة بحي العميري، وشيّع جنازته الآلاف من كل شرائح المجتمع اليمني، إضافة إلى محبيه من غير اليمنيين، من سفراء ودبلوماسيين وغيرهم.

اللهم ارحمه وارفع منزلته، وتقبله في الصالحين واحشره في المهديين واجمعنا به في جنات النعيم، واجزه بالإحسان إحساناً وبالسيئات عفواً ومغفرة ورضواناً.

•~•~•~•~•~•~•~•

21

عبد الرحمن بافضل القائد الفذّ والعقل المستنير

(1368 - 1437هـ) (1948 - 2015م)

الدكتور عبد الرحمن بافضل، داعية وأستاذ ومفكر، قبل أن يكون سياسياً ووزيراً وبرلمانياً؛ فهو المربي القدير، والموجّه الحكيم، والقائد الفذّ، والمجاهد الصلب، والسياسي الصادق، والوزير القوي الأمين، والبرلماني الشجاع؛ كريم النفس، خفيف الظل، لطيف المعشر، عُرفَ مؤمناً صالحاً، عابداً خاشعاً، وزاهداً عن غنىً، الدنيا في يده لا في قلبه، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً.

وآل بافضل أسرة مشهورة بالعلم والوجاهة، ومن أقدم من سكن تريم حضرموت، ومنها انتقلوا إلى مدن الوادي والساحل، ويرجع نسب آل بافضل إلى سعد العشيرة من بني مذحج.

النشأة والتعليم

ولد عبد الرحمن بن عبد القادر بن محمد بن عبد الرحمن بافضل عام 1948م في مدينة القطن، بمحافظة حضرموت، وفيها درس الابتدائية، ثم انتقل إلى غيل باوزير، ودرس فيها الإعدادية، وممن تتلمذ على أيديهم الأستاذان: فرج بن غانم، وفيصل بن شملان رحمهما الله.

كان من الطلاب الذين ابتعثتهم السلطنة القعيطية لمواصلة دراستهم في السودان، والتحق بثانوية مدينة حنتوب بإقليم مدني - وهي المدرسة التي تخرج منها أغلب القيادات الفكرية والسياسية التي حكمت السودان، وصنعت تاريخه الحديث – وقد حصل فيها على الثانوية العامة عام 1966م، ثم درس الهندسة الإلكترونية في جامعة الخرطوم، وتخرج فيها عام 1972م، وبعد عودته إلى اليمن، أخذ دورة تدريبية في بيروت في مجال الطيران المدني لستة أشهر.

ابتعث إلى فرنسا وحصل على الماجستير في الهندسة الكهربائية (مجال الاتصالات: المايكروويف والضوء) عام 1977م، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الهندسة الصناعية (مجال الإلكترونيك والمايكروويف) بتقدير ممتاز عام 1980م.

أنشأ مكتباً استشارياً للصناعة والاستثمار في فرنسا عام 1984م، وبعد مغادرته فرنسا، عمل مستشاراً تجارياً لعدد من المؤسسات التجارية في المملكة العربية السعودية، إضافة إلى عمله في هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، التابع لرابطة العالم الإسلامي.

بافضل الداعية

في بداية شبابه انتمى إلى الجبهة القومية، التي حكمت الشطر الجنوبي من اليمن بعد الاستقلال، لكنه لم يلبث أن ترك التوجه اليساري، واقتنع بالفكر والدعوة الإسلامية في أثناء دراسته بالسودان، وأصبح داعية للإسلام بشموله وكماله ووسطيته، متحمساً للرد على الشبهات التي تنال من العقيدة والشريعة، أو تشكك في القرآن والسنة، أو تشوّه التاريخ الإسلامي.

بعد عودته إلى اليمن، بدأ نشاطه الدعوي بحماس منقطع النظير، ليس بالمواعظ والخطب المسجدية، بل اتجه نحو الحوار والنقاش مع الخريجين والمثقفين والطلاب، وقد انتسب إلى نادي الخريجين، الذين كانت اجتماعاتهم واحة للحوار، والنقاش الفكري، ولاسيما أنهم قد تخرجوا من جامعات عربية وغربية وشرقية، بتوجهات مختلفة، وكانت له مواقف لا تنسى، منها أنه في أحد اللقاءات حان موعد الصلاة، فطلب بافضل إيقاف النقاش، وإقامة الصلاة، فكان ذلك محل استغراب، واقترح بعضهم أن يتم التصويت على الطلب، وهنا أقام الدنيا ولم يقعدها، محتجاً بأن الصلاة فريضة، ولا يجوز أن تخضع للتصويت، وكان له ما أراد.

وذات مرة أقيمت فعالية بدار الكتب بصنعاء، فقام بتوزيع منشور ضد الفعالية، فتم اعتقاله من جانب الأمن الوطني(جهاز المخابرات) بتهمة أنه شيوعي، وفي سجن الأمن الوطني بـ(دار البشائر)، تبين لهم أنه أبعد ما يكون عن الشيوعية، فأطلق سراحه.

كان بافضل بعد انتهاء دوامه الوظيفي، يتنقّل بين المساجد من العصر إلى العشاء، ويعطي دروس تقوية لطلاب الثانوية في الإنجليزية، والمواد العلمية، إضافة إلى قيامه بزيارة خريجي الجامعات، الذين لديهم مفهومات قاصرة أو خاطئة عن الإسلام،

ويقضي معهم وقتاً طويلاً في الحوار والنقاش الذي يحتدّ أحياناً، لكنه لا يتركهم إلا وقد حدد معهم موعداً آخر للقاء، أمّا بيته فقد جعله مضافة للزوار وللقادمين من حضرموت، وغيرها من المحافظات.

في السبعينيات كان الصراع الفكري على أشده بين دعاة التغريب، والمتمسكين بالعودة إلى منابع الإسلام الصافية، وكان من أنشطة بافضل مواجهة تلك الأفكار المستوردة، من خلال المشاركة في دورات التوعية ضد الحركات الهدامة، التي كان يقيمها معهد التوجيه والإرشاد، في العطلة الصيفية بمدرسة الوحدة بصنعاء.

أما في فرنسا، فقد كانت انطلاقته نحو عالمية الدعوة، ابتداء بمعهد اللغة الذي تعلم فيه الفرنسية، فجعل المعهد قاعات للندوات والمناقشات لبيان حقائق الإيمان، وسماحة الدين الإسلامي وشموله.

ومن نشاطه الدعوي في بداية انتقاله إلى فرنسا، أن دعا المفكر الفرنسي الشهير رجاء جارودي لإلقاء محاضرة عن الإسلام في إحدى القاعات الكبرى في باريس، ودعا إليها كبار المسؤولين الفرنسيين والمحامين والأطباء والعسكريين، وأعداداً غفيرة من العرب، وكانت مبادرة يصعب أن يتبناها غيره.

أسهم بافضل في تأسيس اتحاد المنظمات الإسلامية بفرنسا 1983م، وتم اختياره عضواً فيه، وفي المؤتمرات التي كان يعقدها الاتحاد، ويحضرها عشرات الآلاف، كان يكلف برئاستها، فيحسن الإدارة، ويتفانى في خدمة المشاركين، فهو أول من يصحو وآخر من ينام، ولا يأكل حتى يطمئن إلى أن الطعام قد وصل للجميع، وقد ألتقيتُ في فعاليات عديدة الكثير من الأعلام والقادة والنواب والمسؤولين،

من مختلف الدول، فيسألونني عن الدكتور عبد الرحمن بافضل، الذي لهم معه ذكريات طيبة خلال معرفتهم به في أوروبا.

سعى الدكتور بافضل لإنشاء المساجد في المدن الفرنسية التي ليس فيها مساجد، وتابع فاعلي الخير في الخليج، وحثهم على تحمل تكاليف بنائها وتجهيزها، ومن إنجازاته الرائعة إنهاء الخلافات والتباينات بين الإخوة أبناء الجاليات المغربية والتونسية والجزائرية، حتى اجتمعوا على إدارة واحدة، وبرامج موحدة، وكان يقوم برحلات دعوية إلى بريطانيا وإسبانيا وإيطاليا وألمانيا وبلجيكا، يلقي المحاضرات، ويعقد اللقاءات الخاصة، وينسق بين الدعاة في هذه الدول.

ولم تكن الطرق سالكة أمام الدكتور بافضل؛ فقد واجه حرباً ومضايقات ومؤامرات، وصلت إلى حد اختطاف أولاده، مستغربين أنه خلال بقائه الطويل في فرنسا، لم يتأثر بالثقافة الغربية، وأكثر من كان يكيد له اليهود، الذين ما فتئوا يحرضون عليه، ويكيلون له التهم الباطلة، ولكن الله نجاه من مكرهم والحمد لله.

بافضل رجل الدولة

أما رحلته الوظيفية، فإنها حافلة بالتميز والإنجاز؛ فقد عمل مدرساً للغة الإنجليزية بمدارس مديرية القطن 1966 - 1967م، ومديرًا فنياً لمطار صنعاء 1972 - 1975م، حيث كانت بداياته الإدارية الحازمة، التي ظهرت فيها مواهبه القيادية والإنسانية، وخلالها عمل مدرساً للغة الإنجليزية في عدد من الكليات العسكرية والمدنية في صنعاء، عين وزيراً للتموين والتجارة 1993 - 1995م، ثم وزيراً للثروة السمكية 1995 - 1997 م، وانتخب عضواً بمجلس النواب دورة 1997م، ودورة 2003م، وتم اختياره رئيساً للكتلة البرلمانية للتجمع اليمني للإصلاح.

كان بافضل واثقاً من نفسه، يملأ الموقع الذي يشغله، ولذلك لم تضف له المناصب مكانة، وإنما هو الذي أعطاها الأهمية، ولفت الانتباه لما يمكن أن يفعله المسؤول المخلص، إذا جلس على كرسي السلطة.

بافضل الوزير

في كل المواقع التي شغلها، كان بافضل نجماً ساطعاً، كفاءة وعطاءً وإخلاصا، اتسمت قيادته بالإبداع والابتكار، والمبادأة والتجديد، وأصبح أنموذجاً للمسؤول الجاد، النزيه العفيف، الحريص على المال العام، فأحدث نقلة نوعية في وزارة التموين والتجارة؛ فأنهى الاحتكار، ووفر السلع الضرورية بأسعار مناسبة، وفي وزارة الثروة السمكية، تمكن من تحويلها من وزارة خدمية، إلى وزارة إيرادية، واستطاع أن يوصل لحوم السمك إلى كل المحافظات اليمنية، بسعر في متناول كل المواطنين، أما الحزم والضبط والمتابعة، وفرض هيبة الدولة، فتلك صفات عرفت عنه واشتهر بها.

وقد كانت للدكتور بافضل مواقف لطيفة وظريفة في تعامله ومقابلاته مع الزعماء والرؤساء والملوك والقادة، يقول كلمته بقوة وصراحة، ويتبعها بطُرفة أو ضحكة تخفف وطأة النقد، وتبْسُط القبول للنصيحة.

بافضل السياسي والبرلماني

كان الدكتور عبد الرحمن بافضل متعدد المواهب؛ فهو عدة رجال اجتمعوا في شخص واحد، وما يجهله الناس عنه أكثر مما يعرفون، وخلال العقدين الأخيرين من حياته، عُرِفَ سياسياً بارعاً، ووزيراً ناجحاً، وبرلمانياً متألقاً.

وبعد انتخابه عضواً بمجلس النواب، فتح مكتباً في دائرته لخدمة المواطنين

والتواصل معهم، وقدم الكثير من الخدمات لأبناء دائرته في المجال الاجتماعي والصحي والتعليمي، وظل متابعاً لنشاط المكتب في حال حضوره أو غيابه وحتى وفاته رحمه الله.

كنت على مقربة من الدكتور بافضل، أتتلمذ وأستفيد، استلهم العزيمة والمصابرة، وأتعلم المحاججة والبيان، وعندما أجلس إلى جواره في مجلس النواب، أشعر بسند راسخ، وقائد ملهَم.

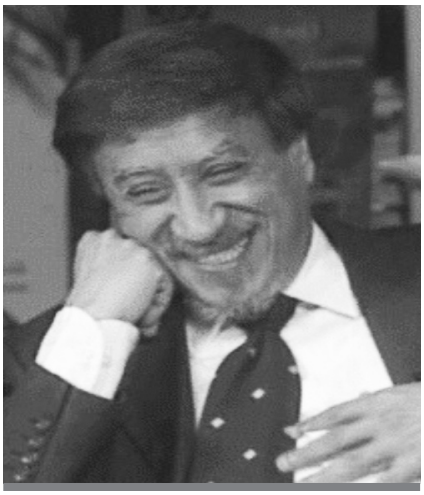

أسأله أحياناً: لقد طلبتَ الحديث في قضية لم تستعد لها، فيقول: لا تقلق ستسمع ما يعجبك، وعندما يُعطَى الكلمة، يجري الحق على لسانه، وتتدفق الأفكار التي يطرحها مرتبة منظمة، كأنما يقرؤها من كتاب، فيصغي له رئيس الحكومة والوزراء، ويتابعه الإعلاميون، وينقلون تعليقاته اللاذعة، ونقده الموضوعي، يتحدث بالوقائع والأرقام، لا يهادن ولا يجامل، ولا يبالي بغضب السامعين أو برضاهم، فقد كانت له - رحمه الله - صولات وجولات، ولا سيما إذا كان الأمر متعلقاً بالسياسات المالية، أو الإجراءات الاقتصادية، أو قضايا الفساد المالي والإداري.

كان بافضل في البرلمان علماً بارزا، لا تخطئه العين؛ يفرض نفسه بما يحمله من رؤى، وما يتحلّى به من صدق، وما يتصف به من حماس، وما يبديه من نقد مؤثر، سواء أكان ذلك في قاعة مجلس النواب، أم في لجانه الدائمة أو الخاصة، أما إذا

حضرت الحكومة، فالدكتور بافضل الطود الشامخ، الذي تشرئب الأعناق لسماع صوته المُجلجل، وحججه القوية، وقدرته على الإقناع والإمتاع في ذات الوقت!

مداخلات وتعقيبات الدكتور بافضل في البرلمان تتضمن سجلاً عظيماً للفترة الزمنية التي عاشتها اليمن حينها، وتنبئ عمّا كان في حنايا ذلكم الرجل العظيم من حب لوطنه، وحرص على رفعته وتقدمه.

لم يكن يُسمح للدكتور با فضل بالحديث كلما طلب الكلمة، مع أنه رئيس الكتلة البرلمانية الثانية في المجلس، خشية أن يطرح قضايا ساخنة تتعلق بإدارة الدولة، أو سوء التصرف بمواردها، أو ما يكشفه من بعض مظاهر الفساد في أجهزتها، وكان - رحمه الله - يتضايق من هذا التجاهل، وكثيراً ما يغادر قاعة المجلس مُغاضِباً!

أما مشاركة الدكتور عبد الرحمن بافضل في الوفود والمؤتمرات الإقليمية والدولية، فقد كان نجم تلك اللقاءات بلا منازع، وحتى من يختلفون معه في قاعة البرلمان، فإنهم يتفقون معه عند التمثيل الخارجي، بل يقدمونه على أنفسهم متحدثاً ومحاوراً، لسعة ثقافته، وإجادته للإنجليزية والفرنسية، وإلمامه بقضايا الصراع الإقليمي والدولي، ثم لتواضعه ونسيان ذاته، التي تذوب في مصلحة وطنه وشعبه وأمته.

شارك بفعالية في لجان مجلس النواب: عضواً في لجنة التجارة، وعضو لجنة التنمية، وعضو لجنة الحريات وحقوق الإنسان، وعضوا في جمعيات الصداقة اليمنية: البريطانية، البلجيكية، الاتحاد الأوروبي، وشارك ممثلاً للبرلمان في مؤتمرات دولية في بلجيكا، ومنغوليا، والمكسيك، والفلبين، ونيروبي، وإندونيسيا، وجنوب إفريقيا، ومؤتمر القدس في طهران 2006م، ومؤتمر القدس في إسطنبول 2007م.

وهناك جانب آخر في حياة بافضل البرلمانية، وهي مشاركته الفاعلة في الاحتفالات والمناسبات التي تقيمها السفارات العربية والأجنبية بصنعاء، حيث يغتنم تلك الفرص ليشرح القضايا الوطنية، ويدعو إلى الحوار الإنساني، وتلاقح الحضارات، بدلاً من تصادمها، وله في هذا باع طويل، وقد كسب ثقة السفراء وتقديرهم.

أما رئاسته للكتلة البرلمانية للإصلاح؛ وهي اختيار وتكليف من زملائه لدورتين برلمانيتين، فقد كان خير من يمثل الإصلاح، وخير من يقود الكتلة، وأشجع من يتخذ المواقف المناسبة في الأوقات الحرجة، وهو مع ذلك قريب من إخوانه، سهل في تعامله، متسامح في حقوقه الشخصية، وإذا غضب ترك الاجتماع، وكلف أحد نوابه باستكمال النقاش، ثم تراه سريع الفيء، ينسى ويتناسى الإساءة في حقه، لكنه يظل صارماً وحازماً في القضايا المفصلية.

ومع المكانة الكبيرة التي كان يحتلها الدكتور عبد الرحمن بافضل في نفوس إخوانه وزملائه؛ إلا إنه كان سهلاً مطواعاً، يتنازل عن رأيه، ويقدم الاجتهاد الجماعي على الرأي الفردي، ولا يستنكف أن يكون جندياً وهو القائد، ومن ذلك أنه بعد أن غادر اليمن، وأصبحتُ رئيساً للكتلة البرلمانية خلفاً له، لم يتردد في القيام بأي تكليف يطلب منه، وآخر ما طلبت منه، حضور لقاء المنتدى الإسلامي العالمي للبرلمانيين في تركيا، فاستجاب وشارك بفعالية، وعلى نفقته الخاصة رحمه الله.

بافضل.. رجل البر والإحسان

كان رحمه الله يبحث عن الأعمال التي يحتاجها المجتمع، ولا يهتم بها أغلب الناس، ومن ذلك خدمة الأيتام ورعايتهم، وله قصص جميل مع الأيتام، يسعد عندما يأخذهم

في فسحة، أو يوفر لهم طعاماً أو كساء، ويفرح عندما يدخل السرور إلى نفوسهم.

ومن تلك الأعمال، حرصه على إعداد الفتيات للحياة العامة، من خلال تعليمهن وتدريبهن على أعمال السكرتارية، واستخدام الحاسوب، وقد فتح لهن مركزاً في طابق من منزله، ووفر لهن الإمكانات، وتكفل بمرتبات المدربات، وتخرج من المركز متدربات كثر، استطعن الحصول على أعمال ووظائف تسدّ حاجتهن.

ومن تلك الأعمال الخاصة أنه فتح باب القرض الحسن، وهذا باب لا يفطن إليه القادرون عليه، مع أهميته وعِظَم الأجر فيه، وكان يأخذ رهناً ليحفِّز المستقرض على الوفاء، ومن أعماله المحببة أنه كان يحمل بسيارته أوعية الماء، ويذهب إلى مصنع مشروبات **(سفن أب)**، الكائن في نهاية الحي الذي يسكنه، للحصول على ماء نقي، فيملأ تلك الأوعية، ويحملها إلى المسجد ليشرب المصلون.

وذات مرة عرضنا عليه إقامة مشروع إفطار الصائم في مسجد المنصور، الذي يقع في شارع المطار بصنعاء، فدفع تكاليف المشروع لشهر رمضان كاملاً، وتم تقديم وجبة الإفطار يومياً لأربعمائة فرد في المسجد، ومئتين وخمسين أسرة، ولم يتيسر له كفالة المشروع في السنوات التالية، فتحمل أهل الخير النفقات، لأنهم رأوا فائدة المشروع وأثره، واستمر المشروع لأكثر من عشر سنوات تالية، فكان - رحمه الله - مؤسساً لتلك السنة الحسنة، كتب الله أجره.

ومن مبرّاته أنه اشترى أرضاً واسعة شمالي مطار صنعاء، في منطقة العروق، وجعلها مزرعة، يستفيد منها الأيتام والعائلات التي ترغب بقضاء أيام العطلات، مقابل إيجار رمزي، وكان بالقرب من المزرعة مقبرة كبيرة على شارع عام، وكانت معرضة

للسطو عليها، فقام بتسوير المقبرة بكلفة تقارب كلفة تسوير المزرعة، وبعد دخول الحوثيين صنعاء في سبتمبر 2014م، استولوا على المزرعة، وظلت مصادرة حتى وفاته!

عرف عن الدكتور بافضل أنه يعطي ولا يستعطي، ويحرص على دعم الفقراء والمحتاجين، وقد يذهب بنفسه، أو يرسل من يتعرف على حال أسرة أو مريض، وعندما يتأكد من الحالة، يقدم المساعدة السخية، وكنا إذا أردنا الإسهام في مشروع خيري، أو مساعدة شخص ما، فإننا نحمله الجانب الأكبر، فيظهر التمنع في البداية، ويرتفع صوته المُحَبب إلينا، على عادته في ملاطفة أصحابه وأحبابه، ثم ما يلبث أن يلبي ما طلب منه وأكثر!

كان الدكتور بافضل - رحمه الله – كريماً، يفرح بالضيوف ويكرمهم، وكثيراً ما يستضيف اجتماعات مكتب الكتلة في منزله، ويقوم بنفسه بخدمة ضيوفه، لكنه لا يحب الإسراف والعبث.

كان بافضل لطيفاً وظريفاً، لا تُمَلّ مجالسته، وصاحب نكتة هادفة، قريبا من الضعفاء والمساكين، يحب متاحفة الأطفال، والتحدث مع عامة الناس، وذات مرة جاء أصحاب قضية إلى مجلس النواب، وكان معهم ثور (عادة عند اليمنيين في ذبح الثيران لإعلان مظلوميتهم أو لإرضاء خصومهم)، وتمكن الثور من الإفلات من يد أصحابه، واندفع نحو باب المجلس، ونطح عدة أشخاص، ولما خرج الدكتور من قاعة المجلس أخذ يعاتب حراس المجلس، على سماحهم للثور بدخول بوابة المجلس، ملاطفا كعادته، قائلاً: لو كنت واقفاً هناك بشعري الأحمر سأصبح هدفاً للثور!

بافضل الفيلسوف المفكر

والدكتور بافضل صاحب رأي وفلسفة في الحياة، فكان يرى أن نشر دعوة الإسلام، وتعليم الناس الخير، وفتح الحوار مع الغرب والشرق، هو ما يجب التركيز عليه، ولذلك فقد كان يفضل المشاركة المحدودة للأحزاب الإسلامية في السلطة، للتعريف بالمشروع الإسلامي، وبعيداً عن السيطرة والتفرد بالقرار، وكان يقول: يكفي الثلث، والثلث كثير، لأنه يعلم بأن خصوم الإسلام، لن يسمحوا له أن يسود العالم بسهولة.

أسس موقع مؤسسة الحوار الإنساني، ونشر في الموقع عدداً من البحوث المتعلقة بحوار الحضارات، وبيان شمولية الإسلام وكماله، والحلول التي وضعها لمشكلات البشر عبر الأزمان.

الحياة الطيبة والخاتمة الحسنة

لقد عاش الدكتور بافضل حياة حافلة بالعطاء، مليئة بالأحداث، كان فيها صانعاً لا تابعاً، وناصحاً لا متنطعاً، وخدوماً لا آمِراً؛ أحب الناس وأحبّوه، وكان قلبه مع يمن واحد آمن متقدم، ينعم فيه أبناؤه بخيرات وطنهم، ويستنشقون في أجوائه عبير الحرية، ويعيشون بكرامة، وقد عبر عن ذلك بأقواله وأفعاله، ومواقفه وكتاباته، رحمه الله.

كان الدكتور عبد الرحمن يحرص على صلاة الجماعة في المسجد، وله ورد من

القرآن والأذكار، يؤديه بعد عودته من صلاة الفجر، حيث تسمع له دوياً مؤنِساً في حوش منزله، نفقده عندما يسافر.

لقد فقدتُ برحيل الدكتور عبد الرحمن بافضل أخاً كريماً، وجاراً باراً، وحبيباً ضنيناً، ومعلماً مُلهِماً، وصديقاً عزيزاً، وزميلا لطيفاً؛ لا تفارقه حتى تشتاق للقائه، ولأن بيتي كان ملاصقاً لبيته، فقد عرفت عنه الكثير من مواقف القدوة والخيرية والصلاح.

وفي عامه الأخير، بدا وكأنه يُحسُّ بدنو أجله؛ فزاد في مواصلة أرحامه، وأكرمهم أكثر مما اعتاد عليه من قبل، ثم صام رمضان في مكة المكرمة، ورابط في المسجد الحرام، وكان يصلي التراويح والقيام مطلاً على المطاف، ويقول: أشعر بمتعة وأنا أرى جموع الطائفين.

في مدينة حفر الباطن، كان يمشي راجلاً، فصدمته سيارة، ووافاه الأجل المحتوم في 2 من محرم 1437هـ، الموافق 15 من أكتوبر 2015م، مخلفا ولداً وابنتين، ونقل جثمانه إلى مكة المكرمة، وتمت الصلاة عليه في الحرم، ودفن في مقبرة المعلاة، وشيّعه أهله وأحبابه الذين قدموا من اليمن، ومختلف المدن السعودية.

صدر عنه بعد وفاته كتاب (عبد الرحمن بافضل رائدٌ صدقَ شعبَه)، حررته واعتنت به زوجته الدكتورة/ حفصة أحمد منشي، جزاها الله خيراً، وقد تضمن الكتاب سيرته الذاتية، وشهادات لكثير ممن عرفه؛ طالباً وموظفاً، وسياسياً ووزيراً، ونائباً وداعية ومربياً، ورب أسرة كريم، رحمه الله وكتبه في الصالحين، وحشره في المهديين، ورفع درجته في عليين.

•~•~•~•~•~•~•~•

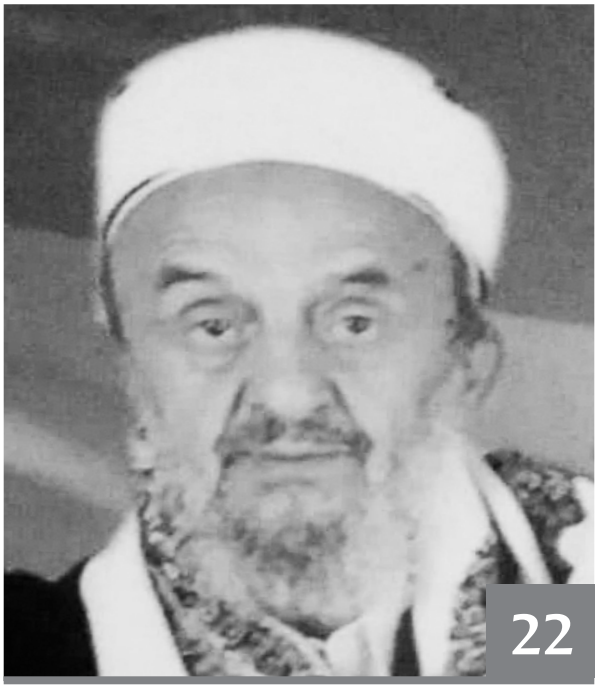

عبد الرحمن الذاري الزاهد الأمين

(1358 - 1441 هـ) (1939 - 2020م)

كالنجم سطوعاً، والذهب لمعاناً، والماء نقاءً، من القلائل الذين ينظرون إلى الدنيا من عَلٍ، عاش متخففاً من أثقالها، فما كانت يوماً أكبر همه، ولا مبلغ علمه، ولا غاية رغبته..

عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد الذاري العالم الرباني، والداعية المعلم، والحافظ المؤتمن، رمز الزهد والورع، ومثال القناعة والتواضع، محبٌ لفعل الخير، غيورٌ على الدين، يعيش آمال وآلام أمة الإسلام، لطيف، ظريفٌ خدومٌ للناس، سهلٌ، ليِّنٌ، قريب الدمعة، دائم البشاشة والبِشْر، حلو المعشر، لا يُمَلُّ حديثه؛ الجلوس معه فائدة ومتعة، والاستماع إليه راحة للنفوس ودواء لأوجاع القلوب،

والصلاة خلفه موعظة وسكينة وخشوع، ولا أزكي على الله أحداً.

رجُلٌ.. والرِّجالُ قليل ..... فجميع ما أحكيه عنك قليلُ!

من وجهاء محافظة تعز وعلمائها، وخطيب في أشهر مساجدها، جامع الرضوان، وجامع العرضي، وجامع المظفر.. وكانت له دروس مسجدية في القرآن والتفسير، والفقه والحديث والسيرة، كثير القراءة، منفتح على كل المذاهب، بعيد عن التعصب، وقد داوم في مسجد عباس بالجحملية على تدريس كتاب فقه السنة لسيد سابق رحمه الله، لأسلوب الكتاب السهل، وشرحه لآراء مختلف المذاهب الفقهية.

ولد في قرية الذاري بمديرية الرضمة محافظة إب عام 1939م، من أسرة عرفت بالعلم والزهد والتقى، نشأ على الفضيلة والصلاح، وتربىٰ على الخشونة والجلَد، وفي قريته تعلم القرآن الكريم، وأساسيات التعليم.

ولما استقام عوده، يَمَّمَ وجهه صوب صنعاء - سيراً على الأقدام - ليواصل تعليمه، وسكنَ في مسجد الفليحي، في غُرْيْفَة يسمّونها (مَنْزِلة)، وكان الطالب ينتظر ما ترسل له والدته من الكعك بين الحين والآخر مع المسافرين، ويعيش على ما يقدمه أهل بيوت صنعاء الكرام من الطعام للمهاجرين (وهو مسمىً لطلاب العلم القادمين من الأرياف).

كانت الظروف صعبة، ولكن غالَبَتْها هِمَمٌ عالية، ونفوسٌ اشرأَبت للعلم والمعرفة، فاليوم الدراسي يبدأ قبل الفجر، ويتنقل الطالب من شيخ إلى آخر، ومن مسجد إلى آخر؛ فيدرس القرآن عند هذا، والتفسير عند آخر، والفقه هنا، والنحو والصرف هناك، والمعاني والبيان والبلاغة عند أربابها، وكل طالب ينال من المعرفة بحسب جِدِّه واجتهاده، وقد كان عبدالرحمن الذاري أحد الطلاب المجتهدين، الذين استفادوا من

تفرغهم للدراسة، وقربهم من العلماء، وتكونت لديه حصيلة كبيرة من العلوم الشرعية والعربية، إضافة إلى الشعر والأدب، والقصص والطرائف، والأمثال والحكم..

انتقل بعدها إلى تعز، وعمل مع عمه أحمد بن علي بن أحمد الذاري - عامل الأوقاف - الذي كان عالماً زاهداً ورعاً وكريماً، وصار قدوته في تلك الصفات، وقد زوجه ابنته، وبعد وفاة عمه تحمل مسؤولية الأسرة، وفي بيت عمه المتواضع في الجحملية عاش حياته، ولم يغادرها إلا قبل وفاته بخمس سنوات، بسبب أحداث الحرب وتداعياتها.

عمل رحمه الله في عدة وظائف بمكتب الأوقاف، آخرها نائب مدير عام الأوقاف بتعز، وأسند إليه حفظ مستندات أوقاف المحافظة، إضافة إلى تكليفه بالمحاماة، والترافع في النيابات والمحاكم، ضد المعتدين والناهبين لأموال الأوقاف، وعقاراتها وأراضيها، فقام بذلك خير قيام، وأصبح مرجعاً يُعتد برأيه، فلديه الإلمام بكل شاردة وواردة تخص الوقف، وصار يعرف أسماء من يعتدون على ممتلكات الأوقاف من الأفراد والأسر، ويقف لهم بالمرصاد.

وذات مرة ذهب لتفقد أراضي الأوقاف في الجَنَدية، فانقلبت سيارة الأجرة التي كان يركبها في طريق الحوبان، ورأت الوزارة إعطاءه سيارة وسائقاً، لكنه رفض ذلك، كي لا يحمّل الأوقاف نفقات يراها غير ضرورية، وهكذا ظل يتنقل بسيارات الأجرة، ولم يمتلك سيارة في حياته، حتى توفاه الله!

ظل عبد الرحمن الذاري مرجعاً للأهل والأقربين، وقاضياً بين المتخاصمين الذين يرتضونه حكَمَاً بينهم، ثقة بكفاءته وعدالته، وصارت لديه خبرة واسعة في تقسيم

المواريث، وما يصدر عنه محل قبول ورضا، وتم اختياره أمينًا شرعياً في منطقة الجحملية بتعز، يتولى عقود النكاح، والبيع والشراء وغيرها، ويكتبها بخطه الجميل والمتميز، لا يشترط أجراً محدداً على تلك الأعمال، بل يقبل باليسير، وكان حافظاً للأمانات مؤدياً لها، يثق الجميع بتقواه وحرصه ونزاهته وفضله.

في زماننا الذي أضاع كثيرون أمانتهم، تتبادر إلى ذهني صورة هذا الأمين النادر الوجود كلما قرأتُ حديث حذيفة بن اليمان عن الأمانة، وفيه:

(... فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايَعُون، لاَ يَكَادُ أَحَدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّى يُقَالَ: إِنَّ فِي بَنِي فُلاَنٍ رَجُلاً أميناً حَتَّى يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أَجْلَدَهُ مَا أَظْرَفَهُ مَا أَعْقَلَهُ وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ).

قال عنه الدكتور غالب القُرشي وزير الأوقاف السابق:

(لقد كان من الأمناء القلائل، الذين يعتمد عليهم فيما يؤتمنون عليه، عمل في مكتب أوقاف تعز ردحاً من الزمن، فكان خير من حافظ على وثائق الأوقاف، كنت أرجع إليه فيما يُختلَف فيه، فيما يتصل بملكية الوقف).

وعندما أحيل إلى المعاش (التقاعد)، وقّعت معه وزارة الأوقاف عقداً باستمرار عمله، حافظاً لمستندات ووثائق الأوقاف، لكفاءته وخبرته وأمانته ونظافة يده، ودامت الثقة به من جميع الوزراء الذين تعاقبوا على وزارة الأوقاف.

ستون عاماً قضاها الوالد عبد الرحمن موظفاً ومسؤولاً في الأوقاف، ومع ذلك لم تطاوعه نفسه أن يستفيد بأرضية أو عقار للوقف، لاعن طريق الشراء، ولا الإيجار،

وعندما حجَّ لأكثر من مرة، لم يحاول أن يكون في ضمن بعثة الحج الرسمية، وهو الجدير بالمهمة إدارة وإرشاداً وفتوى.

هكذا أمضى حياته بهذا الانسياب الطاهر السهل، وعند وفاته - رحمه الله - لم يكن يملك سوى ملابسه الشخصية، وبقايا عطور ادّخرها ليُطَيَبَ بها جسدُه، وتُرَشُّ على كفنه!

من لطائف حرصه على وثائق ومستندات الأوقاف، أن الوزارة عام 2009م كلفت لجنة بالنزول إلى تعز، لحصر الوثائق والمستندات، وتزامن ذلك مع عرس سبطه إبراهيم، فاعتذر عن حضور العرس ليبقى مع لجنة الحصر الوزارية، وحاولنا إقناعه أن يأتي، ثم يعود بالطائرة، لكنه رأى أن بقاءه محافظاً على مستندات الوقف، أولى وأهم، واكتفى بإرسال قصيدة شعرية تهنئة بالمناسبة.

أما عن زهده فحدّث ولا حرج، ويكفي أن تعلم أن بيته في تعز الذي عاش فيه لأكثر من ستين عاما، من المباني القديمة للدولة، وملاصق لبيتين عن يمينه ويساره، غُرَفُهُ ضيقة، وأبوابه منخفضة، وسلالم الدّرَج من الحجر المغطى بالطين ثم استبدله بالإسمنت، وقد ظل يصلح ويرمم فيه بأكثر من قيمته، وعندما أتعبه الطلوع والنزول من السُّلَم غير المريح، بنى في حوش البيت غرفة صغيرة، (مترين × مترين ونصف) من الطوب الإسمنتي على شكل شبه منحرف، وصارت هي غرفة الاستقبال والطعام، ومكان الفصل بين أصحاب القضايا، وهي غرفة النوم والتهجّد، ووضع فيها طاولة صغيرة يكتب عليها الأحكام والعقود والرسائل، وتظل تلك الغرفة شاهدة على سمو نفسه، وعلو همته، ودليل زهده في الدنيا.

في ذلك البيت المتواضع، كان يستقبل ضيوفه من الأهل والزوار والمسؤولين وعِلية القوم، وكنت كلما قدمت إلى مدينة تعز، فلا أتردد في أن أدعو زملائي وضيوفي إلى بيته؛ يحفزني الكرم المتأصل في هذا البيت، إضافة إلى سرور الوالد عبد الرحمن بالضيوف، وترحيبه بهم، وحديثه الماتع الذي تنشرح له نفوسهم.

لم يستفد رحمه الله من فرصٍ كثيرة، كان يمكنه من خلالها أن يحصل على ملكية بيته هِبَةً أو بالشراء، فقد كان خاله القاضي عبد الله الحجري رئيساً للوزراء، وعندما يأتي إلى تعز، يزوره في بيته المتواضع، ويكون ذلك يوماً مشهودًا بين الناس، لوجود الحراسة الخاصة برئيس الوزراء! وتمرّ الأيام ويصبح ابن خاله القاضي أحمد عبد الله الحجري محافظاً لمحافظة تعز لسنوات عدة، وكان يُجِلُّه، ويرى أن سَمْتَه يذكرُّه بوالده، ومع هذه العلاقة الأسرية، وخدمته الطويلة للدولة، لم يحرص على استغلالها لنقل ملكية البيت إليه، كما يفعل كثيرون.

عندما بدأت مؤسسة بيت هائل سعيد أنعم بتنظيم صرف الزكوات، كلَّفته بحصر الفقراء والمحتاجين في منطقة الجحملية، وإعداد كشوف الصرف، ثم القيام باستلام النقود وتسليمها للمستحقين، وقد أبلى في ذلك بلاء حسناً، وتحمل عناء شديدا؛ حيث يطرق بيته الفقراء والمساكين ليلاً ونهاراً، فصاحب الحاجة أعمى لا يرى إلا قضاءها، وبعضهم قد يُغلِظ عليه القول، وربما أسمعه كلمة جارحة، لأنه يريد مبلغاً أكبر، أو يظن أنه لم ينصفه، وكان يكظم غيظه ويصبّرُ نفسه، وقد استمر على ذلك سنوات، ثم طلب إعفاءه من هذه المهمة الشاقة.

كان العلامة عبدالرحمن الذاري حاضراً في مجالس العلماء، لا يتأخر عن أي

دعوة لهم في القضايا العامة، التي يتداعَوْن من أجلها في تعز، أو إلى العاصمة صنعاء، ويحب حضور الندوات والمحاضرات، التي يلقيها الدعاة المشهورون من اليمنيين، أو الضيوف القادمون من الخارج، ويسعد كثيراً بالمشاركة في الاحتفالات والمهرجانات التي يتم فيها تكريم طلاب العلم، وحُفّاظ القرآن الكريم، ويحرص على اقتناء الجديد من الكتب التي تعالج مشكلات الواقع، أو ترد على شبهات المنهزمين، ومع أعماله الكثيرة، فهو متابع للأخبار المحلية والدولية، ويطّلع يومياً على صحيفتي الجمهورية الصادرة في تعز، والثورة التي تصدر من صنعاء، إضافة لصحيفة الصحوة الأسبوعية، وغيرها من الصحف، ويحب الاستماع للدروس والخطب والمحاضرات المسجلة على أشرطة الكاسيت، ويحتفظ بها، ولديه منها تسجيلات قديمة نادرة، ولعل تلك الكتب والأشرطة أثمن مقتنياته.

الناس شهداء الله في أرضه، وقد شهد له بالصلاح والفضل من عرفه، وعاش معه، وسبر غوره، ورثاه كثيرون، ولا يتسع المقام هنا لإحصاء ما كُتِب، وسأذكر ما كتبه الأستاذ جمال الرازي، أحد شباب تعز وأعلامها، كمثال فقط على نظرة الناس لهذا الرجل العظيم رحمه الله:

(رحمك الله شيخنا الحبيب، الوالد العلامة.. العالم الرباني، الوالد الحاني القاضي والأديب، الشيخ عبد الرحمن الذاري، صاحب القلب المفتوح، والوجه السموح، من لا يغلق باب بيته، ولا يرد من قصده. كم وكم له من الأيادي البيضاء، ليس في منطقة الجحملية والعرضي، بل في مدينة تعز كلها!

كان أميناً وقاضياً شرعياً، ونائباً لمدير عام الأوقاف والإرشاد بالمحافظة، كان مرجعية للأوقاف، ومرجعية للناس في مشكلاتهم، وكان صديقاً وأباً لنا معشر الشباب،

له في القلب حضور، وفي الوجدان مكان، كان عالماً ومعلماً، وكان قدوة وأنموذجاً..).

وقال عنه الأستاذ زيد بن محمد يحيى الذاري:

(عاش في مدينة تعز بالجحملية العليا خادما للناس، مؤديا للأمانات، حريصا على الحقوق، مشهود الأمانة والفضل والفضيلة أينما حل أو ارتحل، ساعيا بالخير بين الناس، ناصحاً وموجها بحكمة وحزم وحرص، يثق الجميع بعدله وعدالته وأمانته؛ فيلجؤون إليه بكل رضى واطمئنان وثقة).

رحم الله والدي وأخي الكبير، شيخي وتاج رأسي، وجد أولادي، الذي ترك بصمة في رعايتهم صغاراً، وتربيتهم أطفالاً، وإرشادهم كباراً، وأفضاله متعددة عليَّ، فقد أهداني ضنينة قلبه، ومهجة فؤاده - وإن كان كل الآباء يزوجون بناتهم - إلا أن التيسير الذي عمله في زواجي يذكِّرُ بالتابعين من سلف الأمة، فالخِطبة تمت بيسر، ودون تكاليف، وحينها كانت المغالاة في المهور قد بلغت شأوْاً كبيراً، وبدأت دعوات العلماء لتيسير الزواج، فنال قصب السبق، وفي يوم مشهود بالجامع الكبير بصنعاء، كان خطيب الجمعة - شيخ عمي - الصفي محبوب رحمه الله فدعا إلى تيسير وتسهيل الزواج، وأشار إلى أن المصلين سيشهدون مثالاً عملياً بعد صلاة الجمعة، وبعد الصلاة بسط الوالد عبدالرحمن يده ليعقد لي القران بابنته بمهر قدره مائة ريال ورقية فقط (قيمة خاتم من الذهب في حينه)، وارتفعت أصوات المصلين بالتكبير، والدعاء بالخير والبركة.

لقد عاملني الزاهد الكريم كأحد أولاده، بل اعتبرني كبيرهم، وغمرني بعطفه وحنانه، وعندما باع مدخراته ليبني له بيتاً شعبيا، جعله في صنعاء، وأسكنني فيه لمدة سبع سنوات - ومن دون إيجار - حتى أكملتُ بناء بيتي، ولم يكن يهنأ بأكل أضحية

العيد، حتى يرسل لي أُضحية كل عام، ولمّا كانت ظروفي غير مواتية، ورأى ابنته عُطْلاً من الحُلِيّ، اشترى لها ذهباً لئلا تحزن، أو تشعر أنها أقل من أترابها وقريباتها، وعندما كنتُ ملحقاً ثقافياً بالسفارة اليمنية بالرياض عام 1989م، حدث حريق في الشقة التي أسكنها، فأرسل لي مبلغاً غطى الجزء الأكبر من تكاليف ترميم الشقة، ومعالجة أثار الحريق. وكم له من الأيادي البيضاء عليّ وعلى أولادي وأهلي، ولم يكن مُسْتَغْرَباً أن أفاخر به وأقول: هذا عمي.. فلْيُرِني امرؤ عمَّه!

كم تمنيت - وما كل ما يتمنى المرء يدركه - أن أرد لك الجميل أيها الأب الشهم الكريم، وكانت لدي أحلام أن أهتم بك، وأرعاك عند كبر سنك، وضعف جسدك، ولكني حرمتُ من ذلك لأسباب خارجة عن إرادتي، وها أنت تموت وأنا بعيدٌ عنك، عاجز عن إلقاء نظرة الوداع عليك، أو المشاركة في تشييع جنازتك، ويبقى عزائي أن مشيئة الله قد ساقت لك ابنتك - أم أولادي - سَوْقاً لتكون بقربك قبل وفاتك بأيام، لتقول لها: أنك راضٍ عني وعنها، وفاضت روحك وهي بين يديك، وكان هذا لطفا وكرما من أرحم الراحمين لا نحصي ثناء عليه.

ثمانون عاماً قضيتها في طاعة الله، وخدمة الناس؛ لم تقعدك أمراض الشيخوخة عن التواصل مع الآخرين، وظللت بكامل حواسّك وقواك العقلية، حتى دنا موعد الرحيل، فتوضأتَ لصلاة الفجر كأحسن ما يتوضأ المؤمن، وقبل أن تصل إلى سجادتك سجدت سجدتك الأخيرة، وفاضت روحك بيسر وسهولة إلى بارئها، فما أحسنها من خاتمة، وما أتمَّها من نعمة، وإني لأدعو الله أن تكون ممن شملك حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: **(إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنْ الدُّنْيَا، وَ إِقْبَالٍ مِنْ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنْ السَّمَاءِ، بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمْ**

الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ - عَلَيْهِ السَّلَام - حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ»، قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاء..)

نستودعك الله يا فريد عصرك، طبت حياً وميتاً، خرجت من الحياة الفانية بأجرك وزهدك ونزاهتك، فقيراً من حطام الدنيا وزينتها، غنياً بأعمالك الصالحة وذكرك الحسن، (وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ).

عام 1358هـ الموافق 1939م بمحافظة إب، كان ميلاد عبد الرحمن بن محمد بن علي بن أحمد الذاري، وتوفي بمدينة صنعاء يوم الخميس 1441/5/7هـ الموافق 2020/1/2م، وخلف ثلاثة أولاد وبنتين، ودفن في مقبرة الصيَّاح بشعوب.

اللهم طيب ثراه، وأكرم مثواه، واجعل الجنة مستقره ومأواه، اللهم يمّن كتابه، وهوّن حسابه، ونور مرقده، وعطر مشهده، اللهم اجزه بالإحسان إحسانا، وبالسيئات عفوا ومغفرة ورضواناً.

•~•~•~•~•~•~•~•

عبد العظيم العمري عطاء بلا حدود

(1377 - 1434هـ) (1958 - 2013 م)

الأستاذ الكبير، والمربي الفاضل، والقائد الجامع، **الدكتور عبد العظيم بن محمد بن عبدالله بن الحسين بن علي العمري**، ولد في مدينة تعز عام 1958م، من أسرة كريمة، جمعت بين العلم والكفاءة في إدارة الدولة، والده محمد بن عبد الله العمري سياسي وأديب، ومؤرخ ومؤلف، ومن علماء اليمن المعدودين، درس العلوم الشرعية عند كبار العلماء في صنعاء، لكنه كان منفتحا، بعيداً عن التعصب المذهبي، وكانت لديه أفكار إصلاحية للنهوض باليمن، عمل في السلك الدبلوماسي، وعين وزيرا للدولة، ونائبا لوزير الخارجية في عهد الإمام أحمد حميد الدين، ومثل اليمن في عدد من المؤتمرات العربية والدولية، وترأس دورة مجلس جامعة الدول العربية عام

1952م، وتوفي في حادث احتراق طائرة (اليوشن) الروسية قرب موسكو، عندما كان يترأس وفداً رسمياً إلى الصين عام 1960م.

لم يمض على ولادة عبد العظيم سوى أقل من عامين عندما توفي والده، فتولت رعايته والدته الفاضلة أمة الملك محمد مطهر، وانتقلت به إلى صنعاء عام 1963م، ونشأ على الطاعة والصلاح في كنف أسرته، وبرعاية القاضي علي بن عبد الله العمري محافظ صنعاء السابق، درس الابتدائية والإعدادية والثانوية في العاصمة صنعاء، ثم انتقل إلى مصر ودرس الطب في جامعة عين شمس بالقاهرة، وتخرج فيها عام 1986م.

كان شغوفاً بالحاسوب (**الكمبيوتر**) ودرس البرمجة في عدة دورات منذ كان طالباً في كلية الطب، ونمّى قدراته في التعامل مع هذا الذكاء الصناعي، وعمل على تطوير كل الأعمال التي تولاها بهذه التقنية، سواء أكانت أعمالاً إدارية أم تنظيمية.

بعد تخرجه من كلية الطب عاد إلى اليمن، وعمل في مستوصف ضلاع همدان، ثم انتقل إلى المستشفى الجمهوري طبيباً في قسم الباطنية، وتم اختياره ضمن اللجنة التي شكلت لتجهيز المبنى الجديد للمستشفى، ثم عين نائباً لمدير المستشفى عام 1996م، وتم اختياره مستشارًا للمجلس الأعلى للتخصصات الطبية بوزارة الصحة حتى عام 1999م.

ولأنه طبيب متميز، فقد كان مستشاراً موثوقاً في تقديم النصائح والإرشادات الطبية لمن يسأله، أو يعرض عليه حالته، وكانت لديه مهارة في تشخيص المرض وعلاجه، الذي يتطابق غالباً مع رأي أشهر الأطباء في الخارج، فقد كان المرضى الذين يذهبون إلى بريطانيا لمواصلة علاجهم ينصحهم الأطباء أن يراجعوه بعد عودتهم إلى اليمن.

فتح عيادة طبية خاصة لفترة محدودة، لكنه فضل تخصيص غرفة في منزله، لاستقبال من يأتيه من المرضى في أي وقت، وكان لا يتقاضى منهم أجرة مقابل ذلك، بل أصبح يعامل المرضى الذين يأتون إليه كضيوف، يحظون بالاحترام والإكرام، وقد انسجمت زوجته وأولاده مع طبيعته في خدمة المرضى وإكرامهم، ولم يظهروا أي تبرم من ذلك، وكانت سعادته في خدمة الفقراء والمحتاجين، وشراء العلاج لغير القادرين منهم.

الكرم والسماحة صفتان لازمتا الدكتور عبد العظيم رحمه الله، ومن عجائب كرمه، أنه اشترى سيارة تويوتا جديدة لاند كروزر (صالون)، فكان كثيراً ما يعيرها لأصحابه بنفس طيبة، في رحلاتهم، أو في مناسبة عرس ونحوها، وينتقل بسيارة أجرة إلى مقر عمله، في سلوك نادر، قل مثيله.

تربى الدكتور عبد العظيم على قيم الإسلام العظيمة، وأخلاقه الحميدة، ومن بواكير شبابه تعلق قلبه بالدعوة إلى الله، وتوجيه الناس وإرشادهم وحب العلماء والدعاة، ونذر حياته لدينه ووطنه وأمته، فكان مربياً فاضلاً، وداعية محبوباً، ومعلماً مخلصاً، وظل طوداً شامخاً يواجه الأحداث الجسام بإيمان الواثقين، وصبر المجاهدين، ويقين المؤمنين، اتصف بحماس الشباب وطموحهم، وهمّة القادة الكبار، وعزيمة الأبطال، وكان من الرواحل الذين حملوا هموم الأمة، وظل يبشر بفجرها الباسم.

دفء الأخوة وحنان الأبوة، صفتان ملازمتان للدكتور العمري، وقد علّم تلامذته بسلوكه؛ كيف يعطون ولا ينتظرون الجزاء من البشر، ورباهم على العمل بجد ونشاط، وعدم الاستسلام للدعة والراحة، وكان لهم نعم القدوة والأسوة.

كان عبد العظيم العمري علَماً مهاباً، يفرض احترامه حيثما حلّ، لكنه يبتعد عن الأضواء، ونادراً ما يظهر على وسائل الإعلام، على الرغم من المواقع القيادية التي شغلها؛ يُقدم غيره وينسى نفسه، سواء أكان ذلك في الأعمال التنظيمية أم المناصب العامة، يصنع الرجال ولا يسابقهم في دنياهم، وسعادته حين ينجحون ويتقدمون، ويبرزون قادة في المجتمع، وخدماً لشعبهم في مختلف مجالات الحياة.

كان الدكتور عبد العظيم صبوراً وحكيماً، صاحب رأي يحسن عرضه وتوضيحه والمنافحة عنه، ولا يتنازل عنه بسهولة، لكنه ليس متعصباً ولا متزمتاً، بل حين يُجمع إخوانه على أمر، فإنه يصبح جنديّاً مطواعا، لا يتردد ولا يتلكأ، لا يمُنّ ولا يستكثر، لا يتعالى ولا يعتَدّ برأيه.

عرفته داعية متزنا، منذ كان طالبا في القاهرة، في ثمانينيات القرن الماضي، يستضيف الزائرين في شقته ويكرمهم، وبجاذبيته يجمع الشباب حوله، كثير التبسم نادر العبوس، حبيباً قريباً ودوداً، الجلوس معه يفتح الآمال، ويذلل الصعاب، ويُهَوّن المخاطر ويشدّ العزائم، لا يعرف التّسَخُط، ولا يدركه اليأس، فهو ذلك المعين الذي يروي الظامئين من إيمانه وعلمه، وفكره وتجاربه، وقد ظل ذلك النبع العذب الصافي حتى آخر أيام حياته رحمه الله، تلك معرفتي به ولا أزكي على الله أحداً.

عاصر الدكتور العمري التحولات الكبرى في وطنه اليمن وكان أحد صانعيها، لكنه آثر أن يذهب بأجره كله، فلم يأخذ من دنيا الناس شيئاً؛ فلم يُزاحم على مال ولا منصب ولا جاه، رحل خفيفاً إلا ما تركه من رجال ونساء، أسهم في تربيتهم، وأحسن صقل مواهبهم، وصنع منهم دعاة وساسة وقادة، وأساتذة ومربين، وكانت أعلىٰ وظيفة

تولاها نائباً لمدير المستشفى الجمهوري التعليمي بصنعاء ولم يبقَ فيها طويلاً، حيث تفرغ للعمل التربوي والدعوي وعمل على تطويره، وإدخال تقنية الحاسوب في إدارته.

تولى رئاسة المكتب التنفيذي للتجمع اليمني للإصلاح بأمانة العاصمة لثلاث دورات (1994 - 2006م)، ثم رئيساً لهيئة الشورى المحلية (2006 - 2013م)، وظل عضواً منتخباً في مجلس شورى الإصلاح حتى وفاته.

كان الدكتور عبد العظيم محاضراً يأسر القلوب، ويُقنع العقول، ويُحَرّك العواطف، ويحسن استعراض التاريخ ودلالاته، يعطي بلا حدود، وينداح شلالاً من الحكمة والخلق الكريم، وكثيراً ما كنت ألتقيه في مدينة قريبة أو بعيدة، ملبياً لدعوة محبيه، مشاركاً لهم مناشطهم وندواتهم، يذهب ويأتي بلا جلبة ولا ضجيج، ولا مرافقين كما يفعل كثيرون ممن هم أقل منه شأناً، التقيته ذات مرة وحيداً بصحبة ولده في منطقة العبر، ثم سمعته يحاضر في مدينة القطن بحضرموت.

ظل الدكتور عبد العظيم يحذر من أضرار القات، ولكنه كان لا يهاجم الذين يمضغونه بشكل منَفِّر، بل يذكر التكوين الكيمائي للقات والمواد السامة التي ترش على نباته، وأثرها السلبي على الصحة، وذات مرة ألقى محاضرة في جامعة الإيمان بعنوان **(آفة القات من وجهة نظر طبيب)**، قال بعض من حضروا تلك المحاضرة: لقد جعلنا نكره عادة مضغ القات.

كان يحب القراءة والاطلاع، ومكتبته الخاصة متنوعة تضم آلاف الكتب في مختلف المعارف، وقد قرأ أكثرها، إضافة إلى ما يقرأ عبر برامج الحاسوب، وكانت لديه قدرة في تذكر ما يقرأ، وخاصة في التاريخ والتراجم، ومما يحكي عنه أنه في

إحدى الجلسات استشهد بما كتبه الفيلسوف الأمريكي **(ويل ديورانت)** في **(قصة الحضارة)**، وهي موسوعة مكونة من إحدى عشر مجلداً، حتى ظن الحاضرون أنه يقرأ من الكتاب مباشرة!

كان رحمه الله محاوراً متمكناً، ولديه سعة صدر للرأي المخالف، يكسب محبة من يحاورهم، وبأدبه يفرض احترامه، إضافة إلى ذاكرته الحادة في حفظ الأسماء، ولعلها صفة لازمة عند الكثير من أفراد أسرته، فمن يقابله ولو عرضاً يحفظ اسمه ويذكره فيما بعد، فلا يملك إلا أن يبادله التقدير.

أما علاقته بأسرته فقد كانت مثالية، فأكرم به من زوج وفيّ، وأنعم به من أب حنون، كان قريباً من كل أفراد أسرته، وصار طبيب الأقارب والأصهار والأنساب وأنسابهم، وإذا مرض أحدهم وأراد السفر للخارج فلا يأنس إلا بصحبة الدكتور عبدالعظيم، ليكون مرافقاً ومشرفاً على علاجه، سافر مع أخيه الأكبر إلى الأردن لمدة شهر، ورافق أخته إلى الصين لمدة ثلاثة أشهر، وصحب ابن عمه إلى مصر، وأصيب أحد أقاربه بجلطة فاتصل به أهله بعد منتصف الليل، فانتقل مباشرة من حدة جنوب العاصمة إلى الروضة شمالها، وقام بإسعافه إلى المستشفى، وهكذا كان شأنه في أهله شفيقاً واصلاً للرحم.

قال عنه من يعرفه الكثير من المدح والإشادة، واستحضر هنا ما قاله عنه الأخ المفكر الأستاذ أحمد الأسودي: (كان قائداً حكيماً وشخصية مضحية معطاءة)، وقال عنه المهندس محسن باصرة نائب رئيس مجلس النواب: (القائد الرباني، صاحب الهمة العالية، والصدر الواسع، والرّقة والإحساس والمشاعر والبشاشة، والعقل الراجح)، وقال عنه الأستاذ عبد الحافظ الفقيه رئيس المكتب التنفيذي للإصلاح بتعز: (كان

نموذجاً متميّزاً في العمل والتضحية والإيثار)، **وقال عنه الأستاذ فؤاد دحابة عضو مجلس النواب:** (كان أباً حنوناً، وأخاً مربياً، وجاراً وفياً، وسياسياً محنكاً).

وقالت عنه الأستاذة: نبيلة سعيد الحكيمي (تملكت خدمة الناس -مقربين وعابري سبيل- حياته فكانت تلك الخدمة الصحيه والتطبيبب وتزويد الناس الفقراء بالعلاج هي خطواته المساعدة لبقائه يستمد روح العمل الدعوي لدينه وعقيدته، بل كان يعشق هواء الخدمة للناس ويفرح بإسداء النصح خاصة عندما تتحول كلماته لترجمان حقيقي، ويشاهد أثر ذلك في صلاح شاب أو تبدل أحوال أخر للرشاد).

في سنواته عمره الأخيرة ابتلي بعدة أمراض، ونقل للعلاج في الأردن وألمانيا والصين، وعاش معاناة طويلة مع المرض، محتسباً أجره عند الله، بنفس راضية، وصبر جميل، من دون شكوى، أسأل الله أن يجعل ذلك تطهيراً لذنوبه وزيادة في أجره، ورفعة في درجته.

جوانب التَّمَيُّز والعطاء عند الدكتور الوديع عبد العظيم العمري كثيرة ومتعددة، وحسبه تلك الجموع الحاشدة التي جاءت لتوديعه إلى مثواه الأخير، ولعلها عاجل البشرى له في الدنيا.

كانت وفاة الدكتور عبد العظيم العمري في مستشفى جامعة العلوم والتكنولوجيا بالعاصمة صنعاء مساء الاثنين 21 من جمادى الأولى 1434 هجرية، الموافق الأول من إبريل 2013م، وخلف ثلاثة أولاد وثلاث بنات، وتم مواراة جثمانه في مقبرة خزيمة بصنعاء، تغمّده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جناته، وجمعنا به في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

•~•~•~•~•~•~•

24

عبد اللّه بن حسين الأحمر الزعيم الحكيم

(1351 - 1428هـ) (1933 - 2007م)

الشيخ عبد الله بن حسين بن ناصر بن مبخوت الأحمر، الزعيم اليمني الأبرز خلال خمسة وأربعين عاماً، عاش عظيماً ومات محبوباً، عرف بالشهامة والكرم، ومناصرة المظلوم وإغاثة الملهوف، في سلمه لا يغدر ولا يخدع، وفي حربه شجاع لا يتردد، مقدام من غير تهور، متواضع في غير ضعف، واثق الخطْو، يجمع بين الزعامة والبساطة، الحكمة والحزم، الحلم وشدة البأس، يعطي من غير منٍّ، لديه صبر وأناة وبعد نظر، كلامه قليل وجزل، وعمله ذو أثر كبير، له مهابة لا تخطئها العين، وكانت له فراسة يعرف فيها الرجال من أول نظرة، يفرض احترامه بأدبه ووقاره وحسن تعامله، وهو مع ذلك رجّاع إلى الحق، مؤيد للصواب عندما يتبين له، ولا يستنكف أن يسمع الرأي من أقل الناس شأناً.

إذا ذكرت الثورة اليمنية والدفاع عنها، فلا يتقدم عليه أحد، ولكنه عندما لاحت بوادر المصالحة والسلام بين الملكيين والجمهوريين -أواخر ستينيات القرن العشرين- لم يتردد أن يمد يده لمن حاربه بالأمس، وقد نجح في إقامة علاقة متوازنة مع الأشقاء في المملكة العربية السعودية، واستخدم علاقته لتنمية اليمن، وخدمة المواطن والمغترب اليمني، تجاوز تأثيره اليمن، ليصبح أحد القادة المناصرين للحرية وحقوق المظلومين في العالم.

ولد الشيخ عبد الله في (حصن حبور) بمنطقة ظليمة حاشد في أسرة بيت الأحمر ذات التاريخ العريق، فقد كان أجداده من صناع الأحداث الكبرى في اليمن، وقد آل إليه مشيخ قبيلة حاشد بعد إعدام الإمام أحمد لوالده وأخيه حميد، ولقدراته على استيعاب الآخرين، صار شيخ مشايخ اليمن.

نشأ على الإيمان والصلاح منذ نعومة أظفاره، وكان إذا ذُكّر بالله تذكّر، وإذا سمع قول الله وقول رسوله صلى الله عليه وآله وسلم أنصت وتفاعل، يجلّ العلماء، وينزلهم منزلتهم، تلقى دراسته الأولية في الكُتّاب بحصن حبور، على يد عدد من الفقهاء الذين علموه القراءة والكتابة والقرآن الكريم ومبادئ الدين والعبادات، وقد نمّى ثقافته بالقراءة والاطلاع، والجلوس مع كبار العلماء والمفكرين والمثقفين، وكانت مجالسه لا تخلو من العلم الشرعي والتاريخ والأدب والشعر، وانعكست تلك الثقافة على أحاديثه وخطاباته وكتاباته ورسائله، التي يكتبها بخطه المميز الجميل.

كان **والده الشيخ حسين بن ناصر الأحمر**، كثير الارتباط بالدولة في عهد الإمام يحيى حميد الدين، ثم مع ولده أحمد، وكان شقيقه الأكبر حميد، رهينة لدى الإمام عن أسرة آل الأحمر- حيث ابتكر الأئمة نظام الرهائن؛ فيحتجزون أولاد شيوخ القبائل

عندهم، ليضمنوا ولاء القبيلة، وعدم تمردها، فتحمل الشيخ عبدالله مسؤولية العائلة، وهو ما يزال في الثانية عشرة من عمره، وتولى النظر في شؤون القبيلة، والإشراف على الأمور الخاصة بمنازل ومزارع أسرة بيت الأحمر، ومتابعة العمال والرعاة، والعناية بالمواشي، واستقبال الضيوف، وكان عليه أن يتنقل في مناطق أخرى في بلاد العصيمات، ونواحي حجة، للإشراف على ممتلكاتهم وأراضيهم.

بعد ثورة 1948م سجن الإمام أحمد والده الشيخ/ حسين بن ناصر الأحمر، فيما كان شقيقه محبوساً في حجة في الفترة نفسها،

وفي نهاية الخمسينيات، سافر الإمام أحمد حميد الدين إلى روما للعلاج، فتنفس الشعب اليمني الصعداء، وفي أكثر من منطقة أعلن مواطنون غضبهم واحتجاجهم على الظلم، الذي كان يمارس عليهم، وكان الشيخ حسين الأحمر وولده حميد ممن شارك في تلك الأحداث، ولما رجع الإمام من رحلته العلاجية في إيطاليا، هدد وتوعد بالانتقام من كل الثوار، وأرسل حملة عسكرية على قبيلة (حاشد) اعتقلت بعض الشيوخ، وعاثت فساداً وخراباً في منازل آل الأحمر!

كان الشيخ حسين الأحمر، قد أرسل ولده الشيخ عبد الله لتهنئة الإمام أحمد، بعودته من رحلة العلاج في إيطاليا، فمكث في مقام الإمام بالسخنة محافظة الحديدة، وحاول أن يستشفع لوالده ويخفف عنه غضب الإمام، لكنه أمر باعتقال والده، وأرسل في طلب أخيه حميد الذي تم القبض عليه في الجوف، ثم وجّه بإرسالهما إلى حجة، وأمر بإعدامهما هناك سنة 1959م، وتم اعتقال الشيخ عبد الله في السخنة، ونقل إلى الحديدة، ومنها إلى سجن المحابشة، فمكث فيه ثلاث سنوات.

كانت فترة بقاء الشيخ عبدالله في تعز، ثم في السخنة، فرصة للتعرف على رموز كثيرة من رجالات اليمن، من المشايخ والعلماء والسياسيين والمثقفين، وكان ذلك بداية استيعابه للقضية الوطنية والعمل السياسي، ونما لديه الحسّ النضالي، بما عاصره من ظلم الأئمة وتعسفهم مع أسرته وقبيلته، الذين لم يشفع لهم قيام جده ناصر الأحمر، في تثبيت حكم بيت حميد الدين، ولا المصاهرة بين بيت الأحمر وأسرة الإمام، وكان قيام الإمام أحمد بإعدام والده وأخيه حميد، كافياً لأن يتحول الشاب الهادئ الوديع إلى ثائر عنيد، وأسد هصور، ومقاتل لا يهاب المخاطر، ولا يخشى إلا الله، وصار سنداً قوياً، وجداراً صلباً، يحمي ويدافع عن الثورة والنظام الجمهوري.

قامت ثورة سبتمبر 1962م والشيخ/ عبد الله ما يزال في سجن المحابشة، وجاء إطلاق سراحه ببرقية من الرئيس السلال، وطلب قدومه إلى صنعاء في أسرع وقت.

توجه الشيخ عبدالله من المحابشة بصحبة عدد من الجنود والشخصيات الذين كسب تأييدهم للثورة، إلى منطقة (عبس) ومنها إلى الحديدة، وفي اليوم الرابع من عمر الثورة، وصل إلى صنعاء، واستقبله قادة الثورة، وتم تكليفه بالتوجه إلى المناطق الشمالية الغربية، لمطاردة الإمام البدر، ومنذ ذلك اليوم، قاد الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر قبائل حاشد، في معركة الدفاع عن الثورة والجمهورية في أكثر من منطقة؛ يجمع المشايخ، ويحرض القبائل، ويتقدم الصفوف؛ يحمل بندقيته في السهول والجبال والوديان، حتى انتهت المعارك بانتصار الثورة بعد حصار السبعين يوماً، في فبراير 1968م.

توثقت علاقة الشيخ عبدالله بالأستاذ محمد محمود الزبيري، منذ التقاه في مجلس قيادة الثورة، في أيامها الأولى، وصار له بمثابة الأستاذ والموجه، ليشكلا

قوة فكرية وشعبية، تسند وتحافظ على النظام الجمهوري الوليد، وعند خلاف الزبيري مع قادة الثورة على أسلوب إدارة الدولة، وطرق محاربة الملكيين، انحاز الشيخ عبد الله إلى دعوة الزبيري بتصحيح الأوضاع، والدعوة للسلام، فكان داعماً لمؤتمر عمران الذي دعا إليه الزبيري ومن معه من الأحرار عام 1964م، واستشهد الأستاذ الزبيري في برط عام 1965م، بينما كانت الاستعدادات تسير على قدم وساق لعقد مؤتمر السلام في مدينة خمر، وظل الشيخ/ عبدالله على وفائه للزبيري في محاربة الاستبداد، والدعوة للإصلاحات السياسية والإدارية، واستمرت علاقته بتلاميذ الشهيد الزبيري من الدعاة والعلماء والسياسيين، متبنياً مشروع الإصلاح الشامل، الملتزم بالشريعة الإسلامية الغراء، بعيداً عن الانغلاق والجمود والتعصب، وتبلور هذا التوجه بإعلان التجمع اليمني للإصلاح، بعد تحقيق الوحدة اليمنية عام 1990م، وقاد الشيخ عبدالله حزب الإصلاح، الذي ظل رئيساً له حتى وفاته، رحمه الله.

تقلد الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر عدة مناصب بعد قيام الثورة؛ فعين عضواً في مجلس الرئاسة 1963م، ووزيرًا للداخلية 1963، ثم أعيد تعيينه في نفس المنصب لمرتين، وعين رئيسًا للمجلس الوطني (البرلمان)، الذي صاغ دستور الجمهورية العربية اليمنية عام 1969م، ثم صار رئيسًا لمجلس الشورى 1971م، وانتخب رئيسًا لمجلس النواب عام 1993م، وأعيد انتخابه في دورتي 1997 و2003 م.

رأس الشيخ عبدالله مؤسسات وجمعيات تطوعية، مثل اللجنة الشعبية لمناصرة الشعب الكويتي، بعد الغزو العراقي لها عام 1990م، واللجنة الشعبية للدفاع عن الأقصى وفلسطين، واللجنة البرلمانية للقدس وفلسطين، ورئيس فرع

مؤسسة القدس في اليمن، إضافة إلى اختياره عضواً في مجلس أمناء منظمة الدعوة الإسلامية العالمية، ونائباً لرئيس مجلس أمناء مؤسسة القدس، وقد حصل على عدد من الأوسمة والشهادات تقديرًا لمواقفه، واعترافاً بجهوده في أعمال الخير، وفي خدمة قضايا العرب والمسلمين في العالم.

قلة من القادة والزعماء تمكنوا من الجمع بين السلطان والجاه من ناحية، والالتزام والصلاح من ناحية أخرى، حتى ارتبط في الأذهان أن هذا يناقض ذاك، لكن الشيخ عبد الله كان موفقاً في الأمرين معاً، وقد عرفته عن قرب عندما كنت مدرساً بمدرسة السلام في مدينة خمِر عام 1972م، وكان الشيخ يسكن في مبنى الحكومة، وكنت مع مجموعة من المدرسين في نفس السكن، فعرفناه عابداً صائماً قائماً، سهلاً قريباً، جُبل على خدمة الناس وقضاء مصالحهم، يلقي بظلال أبوته على من حوله بتلقائية ويسر، وعرف عنه المحافظة على أداء الصلوات في أوقاتها، في حالات السلم والحرب، وفي كل سفرياته للخارج، ولو أدى ذلك إلى تقديم أو تأخير مواعيده الرسمية.

ومن جميل صفاته، أنه كان ميالاً للعفو والتسامح، وعلى سبيل المثال، فقد ظل يعزي بيت حميد الدين في وفاة موتاهم، بمن فيهم آخر الأئمة محمد البدر، على الرغم مما فعلوه مع أسرته، وإعدامهم لأبيه وأخيه، وعندما أمر الرئيس صالح بإعادة أموالهم، أيّده الشيخ عبد الله، ولذلك لم نسمع من يعترض على ذلك القرار.

ولعل أشد الحوادث إيلاماً على نفس الشيخ عبد الله، قضية ابنته رابعة، التي قضت غدراً في عمّان، وعندما وصل وفدٌ رسمي وقبلي من الأردن للاعتراف بالحادث، وتقديم الاعتذار، وطلب العفو، ما وسعه إلا أن يَعضَّ على جرحه، ويكتم ألمه، ويعفو ويسامح.

وفي جلسة خاصة بمنزله بالحصبة، سمعته يبوح بوجعه، ويقول: كنت أنظر في أسرتي وأتساءل: ترى من سيكون أول المنتقلين منا إلى الدار الآخرة؟ وما خطر ببالي أن تكون الصغيرة ذات الثمانية عشر ربيعاً، هي التي ستسبقنا، ثم أخرج رسالة كتبها بعد موتها، فقرأ كلماتها التي تحمل رقة القلب الحنون، وعاطفة الأب المكلوم، وانسابت الدموع من عينيه وعيون الحاضرين.

كان الشيخ عبد الله صاحب عاطفة جياشة، ودمعته قريبة، فعندما زار الشيخ أحمد ياسين اليمن، أقام له مأدبة غداء كبرى تليق بمقامه وجهاده، ودعا إليها كبار رجالات الدولة، وما إن بدأ الياسين الحديث بصوته الدقيق المتميز، يستثير الهمم، ويبعث الأمل، حتى رأينا الدموع تنساب من عيني الشيخ عبد الله، وهكذا كان في كثير من المواقف المؤثرة، كحفل للأيتام، أو لتكريم حفاظ القرآن.

من صفات الشيخ عبد الله أنه كان يحب أصحاب المواقف الشجاعة، يدعمهم ولا يتخلى عنهم، وقد يتحمل تكاليف ومغارم نيابة عنهم، كما كان شديد الإعجاب بالقادة والزعماء الأقوياء، ومن ذلك أنه ذهب لزيارة كوبا، والتقى الرئيس الكوبي فيدل كاسترو، وعندما سئل عن سبب تلك الزيارة قال: أردت أن أجلس مع ذلك الرجل العجوز الذي ما زال يقول (لا) للغطرسة الأمريكية!

رأس الشيخ عبد الله البرلمان في دورات متعددة، وكان يدير المجلس بحنكة واقتدار، ولا يسمح بانفراط عقده، أو تشتت قراره، فقد حافظ على وحدة السلطة التشريعية في أثناء الأزمة السياسية وما سببته من حرب [1993-1994م].

وعندما يرأس جلسات مجلس النواب، يراعي مشاعر الأعضاء، ويتغافل عن

هفواتهم، ويتحمل حماقة بعضهم، كأنه لم يسمعها، ولا ينتقص من قدر أحد منهم، ولا يتعمد إحراجهم، لكنه يظهر صلابة وقوة في القضايا المبدئية والوطنية، التي لا تقبل المساومة، وأظهر قدرة ومهارة فائقة في رئاسة برلمان فيه غالبية ساحقة للحزب الحاكم، بينما هو على رأس حزب معارض، ساعده في ذلك تاريخه ونضاله وقوة شخصيته وحكمته، وحسن علاقته بالآخرين، أما موظفو وعمال المجلس، فقد كان لهم بمثابة الأب الحنون، يدخلون عليه في أي وقت، فلم يجعل بينه وبينهم أي حاجز أو حجاب.

كانت مشاركات الشيخ عبدالله في المؤتمرات العربية والإسلامية والدولية مميزة وفاعلة ومؤثرة، فلم يكن مجرد رقم يحضر ويغادر، بل هو الزعيم الذي يحمل هموم اليمن أولاً، وآلام وآمال أمة الإسلام ثانيا، وتأتي القضية الفلسطينية على رأس اهتمامه؛ يذكّر بها، ويدعو للوقوف إلى جوار شعبها، وكذا قضايا المسلمين المضطهدين في كل أنحاء العالم، وإذا كان في زيارة لدولة فيها أقلية مسلمة، فإنه يطلب أن يتضمن برنامجه زيارة هذه الأقليات، والاطمئنان على أحوالها، وكان يحرص على زيارة المساجد الكبيرة في البلاد غير الإسلامية، والصلاة فيها، فعندما زار الصين (مايو 1999 م) حرص على زيارة إقليم شينجيانغ، وهو ما يعرف بتركستان الشرقية، إقليم الشعب المسلم المظلوم، واشترط أن يتضمن برنامجه هذه الزيارة، وفي الحفل الذي أقامه رئيس مجلس نواب الإقليم على شرفه؛ قال الشيخ في كلمته، معبرا عن اهتمامه بشعب الإقليم، وتوجيه اهتمام السلطات إليه: إن زيارة إقليم (شينجيانغ)، أمنية طالما انتظرتها، وإنها بحمد الله قد تحققت.

وفي العاصمة الصينية بكين، قام بزيارة مسجد (نيوجيه الكبير)، وصلى فيه،

والتقى إمام المسجد، وكانت سعادته كبيرة بذلك.

وكان يحرص على اللقاء بعلماء المسلمين في البلاد غير الإسلامية، تعزيزاً لمكانتهم، وتنويهاً بفضلهم، وعند زيارته لروسيا الاتحادية (فبراير 1996م)، طلب اللقاء بمن يمثل المسلمين، فالتقى رئيس مجلس الإفتاء، ورئيس مركز الإدارة الروحية لمسلمي المنطقة الأوروبية الوسطى لروسيا.

للشيخ عبد الله مواقف عظيمة وكثيرة في مجلس النواب شهدت بعضها، ومنها أن الحكومة بعد انتخابات 2003م، تقدمت ببرنامجها إلى المجلس الذي درسه وناقشه، وخلص إلى عدد من التوصيات، لكن رئيس الوزراء الأستاذ عبدالقادر باجمال رفضها جملة وتفصيلًا، وحاول الشيخ مراجعته لكنه - اعتمادا على الغالبية التي يمتلكها حزبه - لم يقبل، فقال له عاتباً ومحتجاً: (ولا حتى توصية واحدة) !، ثم رفع الجلسة، ورفض التصويت على البرنامج.

وعندما تقدمت حكومة الأستاذ عبد القادر باجمال إلى مجلس النواب باتفاقية بيع الغاز لكوريا، وهي اتفاقية مجحفة بحق اليمن، حيث تم البيع ب 20 % من السعر العالمي، وعلى الرغم من اعتراض الكثير من الأعضاء، لكن الغالبية كانت مع الاتفاقية، فحاول الشيخ عبد الله أن يلفت انتباه رئيس الحكومة أكثر من مرة، للخسارة التي ستلحق باليمن من هذه الصفقة، لكنه دافع وأصر على موقفه، وصوتت الغالبية بالموافقة، ولم تتمكن اليمن من تعديل الاتفاقية إلا بعد 2011م في عهد حكومة الأستاذ محمد سالم باسندوة، وبعد أن خسرت خزينة الدولة مليارات الدولارات.

تقدمت وزارة الداخلية بمشروع تعديل قانون كلية الشرطة، وتضمن التعديل اقتصار المنهج على المواد القانونية وإلغاء مواد الشريعة الإسلامية، وإلغاء مسمى ليسانس الشريعة بحجة كثافة المنهج، فحضر الشيخ قاعة المجلس مبكراً، وبدأ بمناقشة الوزير قبل الجلسة، مستدلاً بنجاح خريجي كلية الشرطة كمديري مديريات ومحافظين، وأن إلمامهم بعلوم الشريعة، لم يقلل من كفاءتهم، بل ساعدهم في حسن أداء واجباتهم، وبعد النقاش صوت المجلس على رفض تلك التعديلات.

وعندما عزمت الحكومة على اعتماد جرعة سعرية عام 2005م، وأنزلتها في الموازنة العامة للدولة، حاول جاهدًا أن يثني الحكومة عن تحميل المواطن أعباء جديدة، لكنهم لم يستجيبوا له، فقررت كتلة الإصلاح الانسحاب من الجلسة، ودخل الشيخ عبد الله مكتبه، فذهب إليه بعض أعضاء كتلة الإصلاح، وقالوا له: يصعب علينا الانسحاب في جلسة أنت ترأسها، لكن الموقف لا يحتمل المجاملة، فلم ينزعج بل قال: (انسحبوا انسحاباً مشرفاً)، انسحبت كتلة الإصلاح، وبقي أكثر من نصف أعضاء المجلس، فطلب التصويت على الموازنة نداءً بالاسم، ليتحمل المصوتون تبعات تصويتهم.

في إحدى الجلسات أساء أحد الوزراء للمجلس، فغضب الشيخ وقال: سنبدأ إجراءات سحب الثقة من الوزير، فقام بعض العقلاء بمراجعته وتهدئته، واضطر الوزير للاعتذار، والالتزام بتوجيهات المجلس.

من حسن تصرفه وسرعة بديهيته، أنه ذات مرة حدثت مشادة في قاعة المجلس، وهمَّ أعضاء كتلة حزب المؤتمر بالانسحاب من القاعة وهم الأغلبية، فأدرك الشيخ عبد الله ذلك، وقبل أن ينفرط عقد الجلسة، أعلن بأن الجلسة مرفوعة، وكأن شيئاً لم يكن، ثم عمل لحل الإشكال، وعاد الجميع إلى قاعة المجلس في اليوم التالي.

لقد ظلت حكمة الشيخ عبدالله عاملاً حاسماً في إنهاء الخلافات السياسية لعدة عقود، وكانت علاقته الجيدة برئيس الجمهورية، من أهم أسباب الاستقرار في اليمن، لكن تلك العلاقة أدركها الضعف في سنوات عمره الأخيرة، فكان يمضي الشهر والشهران لا يلتقي الرئيس، وقد ظل يطالب بإنصاف الموظفين المبعدين من أعمالهم، ولم يُستَجب له، وفي انتخابات المجالس المحلية 2001م، فاز الإصلاح في محافظة مأرب، ولم يسمح للفائزين بتسلم مهامهم، بينما أخذ الحزب الحاكم جميع المحافظات الأخرى، وكان الشيخ يستنكر، ويستغرب هذا الاستئثار الذي لا مبرر له، وقد ذكر بعض هذه القضايا في مذكراته، وكان يخشى بنظره الثاقب من عواقب التدهور، الذي يمكن أن يذهب بكل مكتسبات الشعب، لكنه عندما حذر من أن البلاد تسير نحو نفق مظلم، غض الطرف عن وسائل الإعلام الرسمية، التي تناولته بنقد وتجريح، وبفجاجة غير معهودة، وقد قوبل ذلك باستنكار من العقلاء والمنصفين، ومن عموم أبناء الشعب اليمني، ولم تمضِ فترة طويلة، حتى حدث ما حذر منه رحمه الله.

من بداية التأسيس، تم اختيار الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر رئيساً للهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح، فكان نعم الرئيس والقائد، حاضراً وفاعلاً وداعماً؛ يدير الاجتماعات والمؤتمرات العامة بسلاسة؛ يستشير ولا يستبد بالرأي، يفوض الصلاحيات ولا يغرق في التفاصيل، وعند كتابة البيانات والمحاضر والتقارير، يستعرض الصياغات الأخيرة، ويجري بعض التعديلات على الكلمات والعبارات التي يراها غير مناسبة، ولم أره يغضب إلا مرة واحدة في اجتماع مشترك للهيئة العليا للإصلاح مع مجلس الشورى، وما لبث أن هدأ وتراجع، ومضى مع إخوانه على أمر جامع.

شارك في إدارة الحملات الانتخابية للإصلاح، وكان يستعرض البرامج الانتخابية، ومفردات الدعاية الإعلامية، وأسماء المرشحين، وقد يبدي تحفظات على بعض الأسماء، التي يرى أن فرص النجاح أمامها محدودة، لكنه لا يصر على رأيه، ولا يتردد بعد اتخاذ القرار.

كان الشيخ عبد الله سباقاً في أعمال الخير، ويدفع بسخاء لكفالة الأيتام، ويدعم مراكز تحفيظ القرآن الكريم، ويشجع طلاب العلم، ويحث أهل اليسار على الإسهام في دعم الجمعيات الخيرية، وأعمال البر والإحسان، ويدعم المسلمين المضطهدين حيثما كانوا، وكان يعطي الأشقاء الفلسطينيين اهتمامًا خاصًا، يدعمهم مادياً وسياسياً، ويتبنى القضية الفلسطينية في المحافل الدولية. ومن صفاته المحمودة الكثيرة، لين جانبه للعاملين في المجالات الخيرية، بل يتحمل شدة إلحاح بعضهم؛ فقد رأيته في افتتاح مسجد يضم مدرسة لتحفيظ القرآن، ومرافق أخرى، وأخذ القائمون يطوفون به ليرى جميع مرافق المشروع، ولما أرادوا أن يتفقد الحمامات توقف، وقال لهم: إلى هنا ويكفي!

وكانت له أيادٍ بيضاء مع الفقراء والمساكين، وظل يرعى أولئك الذين أوهنتهم عاديات الزمان؛ يعطيهم بسخاء، بعد أن تقدم بهم العمر، وزادت عندهم الأمراض، وتخلت عنهم الدولة، وطواهم النسيان، وهو كذلك مبادر في إقالة العثرات، وتحمل تبعات فض النزاعات. أما بيته فمفتوح على مدار الساعة، والدخول إليه بكل سهولة ويسر، حتى كأنه دار ضيافة، أما أبناء قبيلته فكثير منهم إذا دخل صنعاء، فإنهم لا بد أن يمروا على بيت الشيخ، ولا يخرجون إلا طيبا خاطرهم.

الوفاء صفة معروفة ومشهورة عن الشيخ عبد الله رحمه الله، فقد كان وفياً مع

كل من عرفهم، أو جمعته بهم مواقف قديمة، وكذلك مع أهلهم وأبنائهم وأحفادهم، وعلى سبيل المثال، فقد ظل وفياً مع أسرة الأستاذ محمد محمود الزبيري وزملائه وأحبابه؛ يحترمهم ويكرمهم ويرعاهم، وكان يحتفي بالشاعر الأديب عمر بهاء الدين الأميري كلما زار اليمن، للعلاقة الوطيدة التي كانت تجمعه بالزبيري رحمهم الله جميعاً.

ومن وفاء الشيخ، أنه لا يتخلى عمن وقعت له مصيبة أو كارثة، ومن ذلك ما حدث للشيخ محمد بن علي المؤيد ورفيقه محمد محسن زايد، اللذين اختطفتهما المخابرات الألمانية والأمريكية وتم إيداعهما السجن سبع سنوات في ألمانيا، ثم في الولايات المتحدة ظلماً وعدواناً، بناءً على وشايات كاذبة، ودعاوى باطلة، وقد ظل يتألم لحالتهما، ويتابع قضيتهما في الداخل والخارج، وقد تم إطلاق سراحهما، وعادا إلى اليمن بعد وفاته رحمه الله.

ومن لوازم نظام حياته، أنه كان لا يتأخر في أداء واجب العزاء مع الصغير والكبير، ولا سيما إن كان المتوفَّى من العلماء والدعاة، أو ممن لهم رصيد نضالي، أو من بقي من أسرهم رجالاً ونساءً؛ فتراه في مقدمة المشيعين للجنائز؛ يسير على قدميه، ويجلس على حافة القبر، إلى أن يوارى الجثمان التراب، وإذا لم يتمكن من المشاركة في الجنازة، فلا يفوته الحضور للتعزية.

عندما تجلس إلى الشيخ عبد الله، يشعرك بأنك صاحب الحظوة الوحيد لديه؛ يذكرك بالأيام الخوالي التي تعرّف عليك فيها، وغالباً ما يسأل عن الغائب والمريض، ومن ذلك أنه كان في السعودية، وعلم أني أريد السفر إلى القاهرة للعلاج، فاتصل بي يسأل ويطمئن على صحتي، مع أنه الأحق بالسؤال، لأنه كان على سرير الشفاء.

وكان الناس يتوافدون إلى مجلسه من كل حدب وصوب، للسلام والاحترام، أو

لعرض قضاياهم؛ فيسألهم عن بلادهم وأهليهم وأحوالهم، ويدهشك بتلك المعرفة الواسعة، والذاكرة الحديدية، وكأنه جاء للتو من صحراء الجوف، أو جبال حجة، أو وديان عذر والعصيمات، أو سهول إب، أو مرتفعات تعز، أو وادي حضرموت، أوهضاب شبوة، أو قرى صعدة، أو سواحل الحديدة، يسأل عن الأشخاص ومن بقي من كبار السن، وأحوال الناس العامة والخاصة، وكذا عن المحاصيل الزراعية، وله معرفة بجغرافية المناطق والتقسيمات القبلية، وكأنه عاش وترعرع فيها، وكان هذا حاله مع السفراء العرب والأجانب، فيما يتعلق بجغرافية بلادهم وحدودها.

كانت للشيخ صفة مميزة، وهي أنه كان يتخذ الموقف الصحيح والصعب، خلافاً للجو العام الذي تغلب فيه العواطف المتعجلة، فقد تفرد بإدانة غزو العراق للكويت عام 1990م، وظل على موقفه مخالفا للموقف الرسمي اليمني، وللمزاج الشعبي الواقع تحت تأثير الإعلام، واستمر على موقفه طوال تلك المحنة، التي أفسدت علاقة العرب ببعضهم، ولم يجدوا بعدها عافية، وحينها ترأس لجنة شعبية لمناصرة الشعب الكويتي، وبعد الحرب ذهب لزيارة الكويت، فاستقبل بحفاوة كبيرة تقديراً لموقفه، وقال له أمير الكويت الشيخ جابر الأحمد الصباح: (إن الشعب الكويتي لن ينسى مواقفك يا شيخ عبدالله، أنت بالذات)!.

عندما دخلت القوات الأمريكية بغداد في 9 من إبريل 2003م، اعتبر ذلك اليوم أكثر الأيام حزناً في حياته، ولمّا أُعلن عن إعدام الرئيس صدام حسين يوم عيد الأضحى 1427 هـ، 30 من ديسمبر 2006 م، سكت جميع الزعماء خوفاً من أمريكا، فكان هو الصوت الوحيد المجلجل، استنكاراً على تلك الإهانة، التي وجهت لجميع المسلمين في يوم عيدهم!

كان الشيخ عبدالله مدرسة في الإدارة والقيادة، مرتبا ومنظما في حياته ومظهره، وإدارة منزله الذي جعله مضافة مفتوحة في حضوره أو غيابه؛ فمن دخل إليه، فلا بد أن يجد استقبالاً وتكريماً، أو طعاماً أو شراباً، على الرغم من كثرة المترددين عليه، والداخلين إليه، والخارجين منه، وتلك مزية لم يقدر عليها كثير من أصحاب الوجاهة والمال والسلطان، وكانت تحويلة بيت الشيخ عبدالله متميزة جداً، عندما تتصل وتطلب الشيخ، يتم توصيلك بسرعة، وإذا كان الشيخ مشغولاً يعاد الاتصال بك، وإذا تركت بلاغاً حول أي موضوع، يأتيك الرد بعد فترة وجيزة، كل ذلك مع أدب واحترام لا نظير له.

رتب الشيخ عبد الله حياته بتوزيع الأعمال والمهام على عدد من المساعدين والكتّاب، يستقبل كل يوم العشرات، وربما المئات من القضايا والمذكرات والطلبات، التي يأتي جوابها ممهوراً بتوقيعه، وفي وقت قياسي لا يتجاوز يوما أو يومين، وبعضها مذكرات مطبوعة إلى جهات ومؤسسات مختلفة، وكان في فصل الشتاء، يهتم بصورة خاصة بالقادمين من أبناء تهامة، والمناطق الحارة، ويطلب من المساعدين تقديم قضاياهم قبل غيرهم، ويسرع في إنجازها خوفاً عليهم من شدة البرد القارس، ويقول بأن البرد يذهبهم، أي يتعبهم ويؤثر على صحتهم.

كانت لدى الشيخ عبدالله رحمه الله قدرة على الاستفادة من الرجال والكفاءات؛ فهو ليس مجرد إداري ناجح، بل قائد يحسن التصرف، وينفذ المرؤوسون أوامره بحب وقناعة، وكان يقوم بتفويض الصلاحيات، سواء أكانت القضايا قبلية، أم برلمانية، أم حزبية تنظيمية، وهو مع ذلك (ديموقراطي) شوري في مناقشة ما يعرض عليه، يستمع كثيراً، ويستقصي الآراء، ولا يقول رأيه إلا متأخراً، فتأتي قراراته أقرب إلى الصواب غالبًا، وكنت أعجب لسعة صدره، عندما يستمع إلى مشكلات متعددة في

مجلس واحد، يحل بعضها، أو يتصل بالهاتف، أو يحيلها إلى جهة، أو يكلف أحد مساعديه أو أحد أولاده بها، وقد يقنع صاحب القضية بأنه على خطأ، وأما الأمور التنظيمية، فقد كان عظيم الثقة بتنظيم الإصلاح وقياداته، على المستوى المركزي والمحلي، وكانوا يبادلونه الثقة والاحترام والتقدير.

ألمّت بالشيخ عبدالله بن حسين الأحمر أواخر حياته محن كبيرة، واجهها بصبر عظيم، ابتداءً بمرض القلب، وإجراء العمليات المتتالية، ثم الحادث المروري في السنغال، الذي كاد أن يودي بحياته، ثم مقتل ابنته رابعة، ثم وفاة رفيق دربه العميد مجاهد أبو شوارب، وكانت تلك بعض النذر التي جعلته يستعد للقاء ربه، وكتابة وصيته، والترتيب لوضع أسرته وأولاده وقبيلته، والسير إلى نهاية حياته بخطوات كأنها محسوبة ومعدودة، وعندما دنت ساعات وفاته، كان محبوه ومن يعرفونه من عامة الناس، يتابعون حالته، ويدعون له، حتى أسلم الروح لباريها، محفوفاً بأهله وإخوانه وأصدقائه ودعاء الصالحين.

لخص الشيخ عبد الله سيرته ومواقفه والأحداث التي مرت بحياته في كتابه (مذكرات الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر.. قضايا ومواقف)، وكتب عنه المؤرخ عبد الرحمن طيب بعكر (الرجل الذي أحبه الحرم والهرم)، كما صدر بعد وفاته كتاب تأبيني ضم بين دفتيه ما قيل عنه بعد وفاته، وكتاب آخر جمع القصائد الشعرية التي قيلت فيه.

ولد الشيخ عبد الله في شعبان 1351هـ- الموافق 1933م في مديرية حبور محافظة عمران، وتوفي في مدينة الرياض يوم السبت 26 من ذي الحجة 1428هـ، 2007/12/29م، وخلف عشرة أولاد وتسع بنات.

بحر من الناس في وداع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر – رحمه الله

نقل جثمانه من الرياض إلى صنعاء على طائرة الرئاسة، وأجريت له جنازة رسمية وأخرى شعبية غير مسبوقة، وحضر الجنازة والعزاء من خارج اليمن عدد من الزعماء والشخصيات العربية والإسلامية، ودفن في المقبرة التي سميت باسمه جوار دار الرئاسة، رحمه الله، وتقبله الله في الصالحين، وحشره في المهديين.

•~•~•~•~•~•~•~•

25

عبد اللّه قشوة النجم الناسك

(1371 - 1432هـ) (1952 - 2011م)

جدول رقراق ينساب بهدوء، يروي القلوب الظمأى، كتلة من الطيبة والخير، استمرت تفيض بالعطاء حتى آخر رمق، نجم ظل يتلألأ، وعندما أفل، كان ما يزال في قمة السطوع، مثال العطاء والتجرد ونكران الذات..

الدكتور عبد الله بن عبد الله بن سعد بن مقبل قشوة الذي بكاه محبوه بدماء قلوبهم قبل دموع مآقيهم، كيف لا وقد كان الأخ الحبيب الودود، الزاهد العابد، العالم الناسك، القائد المتواضع، رائد لا يكذب أهله، داعية بسلوكه قبل خطابه وحديثه، صاحب الصوت الخاشع، والصمت الناطق، والتربية المؤثرة، نسيج متفرد؛ فمن يدانيه؟ ومن يجاريه؟ ومن يشابهه؟ لا أزكيه على الله وهو حسيبه، لكنا

أمرنا أن نذكر محاسن موتانا، وهل عرفنا في الفقيد غير محاسن الصفات، وخير الفعال، وطيب الذكر!؟

من مواليد 1952م في قلعة الشراقي مديرية مدينة حجة – محافظة حجة، من أسرة متواضعة تعتمد على الزراعة، بدأ تعليمه في الكتّاب في منطقة السوائل التي تبعد مسافة عن منزله، وقد نشأ محباً للعلم، حتى وهو يرعى الأغنام مع أقرانه كان يحرص على مذاكرة دروسه، ثم انتقل إلى قرية الظفير مديرية مبين، وكانت هجرة علم، فدرس فيها لمدة عام، ثم نصحه أحد شيوخه بالانتقال إلى صنعاء لمواصلة دراسته، مع أن والده كان يفضل أن يبقى إلى جواره ليساعده في الزرع والرعي، لكنه شق طريقه نحو العلم والمعرفة.

كان الانتقال من الريف إلى المدينة نوع من المغامرة لوعورة الطرق، وقلة ذات اليد عند أغلب الناس، وكانت أسرة عبد الله قشوة من عامة الناس الذين يكابدون لأواء الحياة، وليس لديهم ما يعين ولدهم على الدراسة في صنعاء، لكن عبد الله كان من أصحاب العزائم الذين يتقحّمون الصعاب، فيمم وجهه صوب صنعاء، وأخذت رحلته يومين ونصف بعضها بالأقدام وبعضها على سيارة.

كان قد حمل رسالة من شيخه في الظفير إلى مدرسة الأيتام بصنعاء التي توفر لطلابها السكن والغذاء، فالتحق بها ودرس الابتدائية، وكان أخوه أحمد - جندياً في السلك العسكري - يتعهده بالزيارة والمساعدة المالية فيعطيه من راتبه المحدود ريالين إلى خمسة ريالات يستعين بها على متطلبات الحياة، وهكذا كافح حتى أنهى تعليمه الإعدادي ثم التحق بثانوية عبد الناصر وأكمل فيها الثانوية العامة.

خلال دراسته لم ينقطع عن محافظته، فكان يأتي حاملاً بعض الكتب الإسلامية يوزعها على الشباب، وبعد أن أكمل الثانوية العامة عاد إلى محافظة حجة وحقق رغبة والديه بالزواج، وأدى خدمة التدريس الإلزامي عام 1972م في مدرسة الدخاري بالسوائل، وقد تخرج على يديه الكثير من الأعلام منهم الأساتذة مهدي الهاتف وأمين علي أمين وناجي الخزاعي، وكوكبة من الطلاب الذين صاروا أطباء ومهندسين وأكاديميين.

في كل سنوات دراسته من الثانوية حتى أكمل الدكتوراه لم ينقطع عن التدريس والعمل الدعوي الذي صار جزءاً من حياته، إضافة إلى عمله التنظيمي والسياسي باعتباره أحد قيادات الصف الأول في التجمع اليمني للإصلاح.

التحق بجامعة صنعاء- كلية التربية وتخرج فيها عام 1977م، ثم واصل دراسته في جامعة الجزيرة بالسودان في مجال الإدارة والإشراف التربوي، وحصل منها على درجة الماجستير عام 2004م، وأكمل دراسته في نفس التخصص، وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة أم درمان الإسلامية بالخرطوم عام 2009م.

عرفته أول مرة في صيف 1970م عندما التقينا في دورة تدريبية للمعلمين بالمدرسة الفنية بصنعاء، شاباً نشأ في طاعة الله، ورجلاً قلبه معلق بالمسجد، بدا لي - من أول وهلة - نحلة لا تتوقف عن الحركة، دؤوباً لا يعرف الإحباط، جاء من حجة وجئت من تعز، وكأننا على موعد، وهو صاحب سابقة في الدعوة إلى الله وتعليم الناس وإرشادهم، وكان هذا الهم حديث اللقاء الأول به وظل هو عنوان العلاقة معه حتى فارق الحياة..

جمعتني بالأخ عبد الله قشوة سنوات الدراسة في كلية التربية بجامعة صنعاء، وفي أكثر من ميدان، ثم التأم شملنا جيراناً في السكن غرب مدينة الروضة بصنعاء، وقد كان أنموذجاً للفضيلة وعزة النفس، ومن الصعب أن نكون مثله، يأخذ نفسه بالعزيمة من غير استعلاء ولا غرور، ويعامل غيره بالرخصة من غير احتقار ولا تهوين، يترك ما لا يعنيه، ولا يتطلع إلى ما في يد غيره، غني بالقناعة، راض بما قسم الله له.

سألت أحد زملائه الذين سكنوا معه في بيت واحد في حي طلحة بصنعاء القديمة في السبعينيات، ماذا تعرف عنه، قال:

(وماذا عساني أن أقول في رجل يقوم الليل ويصوم النهار!؟)، فقد كان يحرص على صيام النوافل، وإذا كان في اجتماع وحان وقت أذان المغرب شرب ماءً وربما حمل تمرات يفطر بهن، ولا يُشعر أحداً بأنه صائم، فإن فطن إليه الآخرون وقدموا له عشاءً أكل، وإلا ظل طاوياً حتى يأتي عشاء المفطرين فيأكل معهم!

كان رحمه الله مواظباً على صلاة الجماعة، فإذا جاء وقت الصلاة ترك كل شيء بين يديه وذهب المسجد بهدوء، ويعود بعد أداء الصلاة إلى عمله.

ليس من المبالغة القول بأن المربي الفاضل عبد الله قشوة قد نذر حياته لله تعالى، ولم يتلكأ أن يذهب حيث تكون مصلحة دعوة الناس وتعليمهم، فتنقل من صنعاء إلى خولان، ومن الحيمتين إلى صعدة، إلى حجة، وجاب اليمن من أدناه إلى أقصاه موجهاً ومعلماً، وسافر إلى بريطانيا وغيرها من البلاد العربية والأجنبية محاضراً ومربياً.

كان كثير التأمل، دائم القراءة، واسع الاطلاع، لا تخلو يده من كتاب يحمله، أو مجلة يقرؤها، أو جريدة يتصفحها، وله مكتبة عامرة خصص لها غرفة في بيته

المتواضع، وكان يقضي فيها جزءاً كبيراً من وقته، وظل مثابراً لا يَكَلّ، فلم يتوقف عن طلب العلم حتى أواخر أيام حياته، فقد نال شهادة الدكتوراه قبل عامين من وفاته، على الرغم من كِبَر سنِّه وكثرة انشغاله.

عرف الأستاذ عبد الله قشوة مجيداً للجندية كإتقانه للقيادة؛ لا يتراجع عطاؤه عندما يصبح مرؤوسا، بعد أن كان رئيسا، بل يحاول أن يتأخر عن قيادة غيره، وإن كان هو الأولى والمستحق، يضرب به المثل في الانضباط والجدية والالتزام، وهو مع ذلك لا يحب الظهور، ولا تستهويه الأضواء، ولعل كثيرين من شبابنا لا يعلمون فضل هذا الرجل، الذي كان وراء تربيتهم ورعايتهم لسنوات، منذ سبعينيات القرن العشرين حتى أواخر الثمانينيات.

بعد الوحدة اليمنية، تولى رئاسة المكتب التنفيذي للتجمع اليمني للإصلاح بمحافظة حجة، ثم انتقل للعمل في دائرة التنظيم والتأهيل بالأمانة العامة، وظل عضواً في مجلس شورى الإصلاح حتى وفاته.

كان صلباً قوياً عند المحن والفتن؛ ما لانت له قناة، ولا أخافه ترهيب، ولا أطمعه ترغيب، يقول ما يعتقد بقوة، ومع ذلك فهو سهل لين الجانب، دمث الخلق، مشبوب العاطفة، يتحرق ألماً على ضعف أمته، ويرهقه تفرقها، ولا يدخر جهداً في الإسهام بنهضتها، وإخراجها من كبوتها.

وعبد الله قشوة أول خطيب من عامة الشعب، صعد منبر مسجد حورة بحجة ليخطب الجمعة، حيث سمح له خطيب المسجد مفتي حجة القاضي العلامة محسن بن قاسم حميد رحمه الله، وفي تلك الخطبة انتقد الظلم والمحسوبية، وفهمت

السلطة حينها بأن ذلك تعريض بمسؤولي الدولة، فتم اعتقاله، واقتيد إلى السجن، ووضع القيد على رجليه لأيام، حتى تدخل الوجهاء والخيرون وتم إطلاق سراحه.

تلامذته ليسوا في حجة فحسب، بل في كل أنحاء الجمهورية اليمنية، وظلوا يكنّون له الحب والتقدير، وبعضهم تبوأ مراكز عليا في الدولة، أحدهم أصبح محافظاً، وكلما قابلته سألني عن الأستاذ عبد الله قشوة، وأثنى عليه بكل خير، وطلب مني نقل تحياته إليه.

لقد كان المرحوم ممن يُذَكِّرّ مرآه بالآخرة، فهو مدرسة في الزهد والورع من صغره وفي شبابه، وحتى ودّع الدنيا. كنت أشعر بالأمان عندما أتذكر أن فينا مثله، فكأنه عابر سبيل، وليس من أصحاب الدنيا، يكاد أن يكون متجرداً من حظوظ النفس، وهو ممن أسميهم (المنتسبين في الحياة)، لأن الدنيا عنده رحلة قصيرة، لا تستحق الحرص والطمع، ولذا فإن بيته صغير ومتواضع، يكاد يخلو من الأثاث، وذلك ما يجعلني أحسّ بأنه - وأمثاله - من أسباب لطف الله ورحمته بإخوانه وأحبابه.

ما زلت أتذكر واقعة تنبئ عن صدق ما قلت آنفاً، كان ذلك يوم عيد افتقدناه فيه، ولم نر أبناءه، وقلنا لعله ذهب معهم في رحلة أو سافر بلاده حجة، وتبين بعد ذلك أنه لم يكن لديه ما يفرح به أولاده وأسرته من ملبس جديد، وطعام لذيذ، فأغلق بابه على نفسه وعياله، وأمضى يومه مع عائلته دون ضجيج، فلما انتهى يوم العيد، خرج بين الناس في اليوم التالي، وكأنّ شيئاً لم يكن!

عرفت المرحوم ممن يعطي ولا يطلب، وخلال علاقتي الطويلة به، واجتماعي به في عدة محطات في حياتنا العامة، وعملنا التنظيمي والدعوي والسياسي، ما سمعته

يطلب شيئاً لنفسه، إلا ما كان منه في مرض موته؛ فقد أسرّ لأحد إخوانه بأن عليه ديوناً لم يتمكن من قضائها، فطمأنه بأن إخوانه سيقومون بالواجب، وقاموا بحمد الله بتسديدها بعد وفاته.

عبد الله قشوة من الرواد الأوائل، الذين كان لهم موقف مبكر من الأفكار المنحرفة التي غزت أمتنا، وأثّرت في شبابنا في بداية النصف الثاني من القرن العشرين المنصرم؛ فقد كان الصراع على أشده بين دعاة التغريب والتقليد من جهة، والدعاة الذين ينادون بالعودة إلى منابع الإسلام الصافية، من جهة أخرى.

عام 1969م حدثت مناظرة بمدرسة عبد الناصر الثانوية بصنعاء، بين الشيخ عبد المجيد الزنداني وأحد المدرسين العرب، حول عقيدة التوحيد الإسلامية، وعقيدة التثليث المحرّفة، وانتهت بعراك واشتباك بين شباب الفريقين المؤيدين لهذا وذاك، على إثرها سيق الجميع إلى السجن، وكان قشوة أحد الشباب الذين سجنوا حينها، ثم أطلق سراحهم بعد أن تحول سجنهم إلى قضية رأي عام.

شاءت الأقدار بعد سنين من تلك الحادثة، أن يأتي الأخ عبد الله قشوة إلى ديوان وزارة التربية والتعليم، آخر الثمانينيات، لإنجاز معاملة تحتاج توقيعاً من وكيل الوزارة المساعد الأستاذ محمد عبد الله الشامي - الذي كان مديراً لمدرسة عبد الناصر عند وقوع الحادثة المذكورة - ودخلتُ عليه مع الأخ عبد الله - وهو بسَمْتِهِ المتواضع المعهود – فصوّب الوكيل نظره إليه، وقال: عبد الله قشوة!؟ أجابه: نعم، قال: ولا تزال على مبدئك!؟ فقال: نعم والحمد لله، فقال: **(يعجبني أصحاب المبادئ)**، ووقع على طلبه وانصرفنا.

في عامه الأخير ابتلي بمرض السرطان، وأجريت له عدة عمليات في اليمن والأردن، وعانى الآلام؛ فصبر وما تبرم ولا تسخّط، وأسأل الله أن يكون ذلك زيادة في أجره وتمحيصاً لذنوبه.

في زيارتي الأخيرة له - وهو على سرير المرض - كان قد انعقد لسانه، وأصيب بشلل نصفي، وكعادته بادلني الابتسام، وكلمني بعينيه وحركة جفنيه، شعرت بدفء حديثه، ورضاه بأمر الله، كان يتمتم ذاكراً حامداً شاكراً، لقد قطّع نياط قلبي، ولم أطق الوقوف أمامه طويلاً، وصعب عليّ إلقاء نظرة الوداع الأخيرة عليه، فدعوت له وهو يؤمِّن بعينيه، وتركته وقد تيقنت أن أجله قد اقترب، وفراقه لنا لم يبق له سوى ساعات.

حكمة الله أن تستريح هذه النفس الزكية من عناء الدنيا ولأواء الحياة، وضنك العيش، ومجالدة الباطل، وأسأل الله أن يعوّضه ويجزل له العطاء في دار الخلود.

ظل قشوة يفيض عطاءً وخيراً وحبا، حتى فاضت روحه إلى بارئها يوم الخميس الثاني والعشرين من صفر 1432هـ 27 من يناير سنة 2011م، وتوفي في صنعاء، ونقل جثمانه إلى مدينة حجة، ودفن في مقبرة الشهداء، وشيعه جمع كبير من عامة الناس وخاصتهم بعد الصلاة عليه في جامع حورة، وأقيم له عزاء كبير في العاصمة صنعاء، حضره علماء ودعاة ووجهاء ومسؤولون وزملاء دربه، وخلف أربعة أولاد وست بنات.

كتب عنه الأستاذ ناجي الخزاعي:

رجل تعمّد أن يحيا لدعوته ..... وأن يموت لدين الله يفديه

لله درك كم داويت من مرض ..... وكم نصحت لحق كنت تبغيه

وهل الرجولة إلا في مو اقفه ..... والخيروالرشد إلا في مساعيه؟!

رحمك الله؛ فقد كنت نافعاً لإخوانك؛ تأخذ برأيهم ومشورتهم، تبرهم من دون سؤال، تعطيهم من دون حال، تواضعت لهم فرفعوك، وأكبرتهم فكبّروك، هابك المسؤولون وجعلوك في غاية الاحترام والتقدير، تقربت إلى ربك بالفروض والسنن والنوافل، وجعلت من الخوض في غمار حاجات مجتمعك ومحبيك خبزك اليومي، لطيف الكلمة، حسن المعشر، لم يتضخم ذاتك على حساب المجموع..)

وقال عنه الأستاذ أمين علي أمين: (كان لبيبا، حبيبا للصغيروالكبير، متسامحاً، وكبيراً على الصغائر، وتو افه الدنيا، لا يحمل ضغينة على أحد).

رحمك الله يا عبد الله قشوة، كنت قامة تفرض احترامها، وخرجت من الدنيا خفيفاً منها، تقبلك الله في الصالحين، وحشرك في المهديين، وجمعنا بك في جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

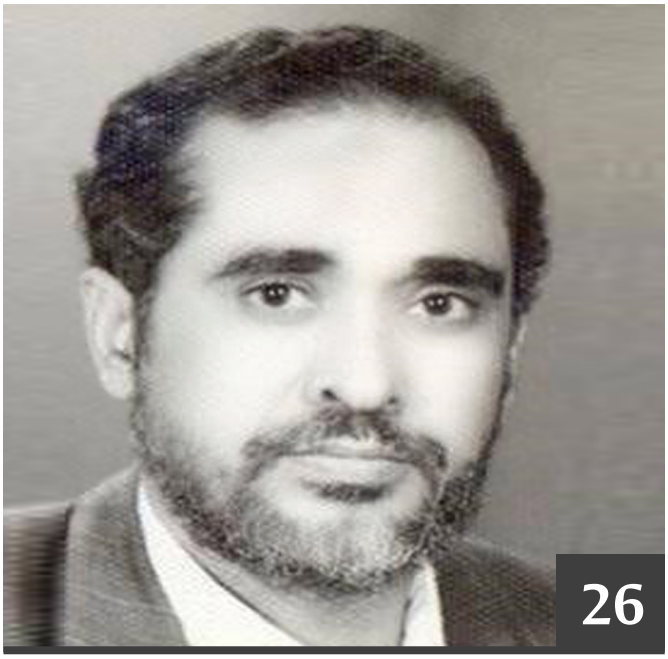

عبد الملك الشيباني ذاكرة التاريخ

(1371 - 1435هـ) (1952 - 2013م)

الأستاذ عبد الملك بن محمد مرشد أحمد الجندبي الشيباني، الكاتب والمؤرخ، والداعية المربي، أحد الرواد الأوائل من الدعاة إلى الله في اليمن الجمهوري، كان ودوداً، متواضعاً، لطيفاً، سهلاً، عصامياً، شهماً، مجاهداً، خفيف الظل، صاحب طرفة ونكتة، موسوعة تاريخية، باحثاً في السنة النبوية والحديث الشريف، مخزناً للأمثال والحكم، يُرجع إليه حين تلتبس على المهتمين حوادث وقضايا التاريخ القديم أو الحديث، فلا يبخل بالمعلومة الموثقة، والتحليل الأمين، والرؤية الثاقبة.

من مواليد 1952م، قرية الأثلاء، عزلة بني شيبة الغرب، مديرية الشمايتين الحجرية، محافظة تعز، درس في قريته على يد الأستاذين محمد عبدالله طاهر،

وعبدالرحمن القاضي، ثم سافر إلى عدن التي كانت قبلة لليمنيين الباحثين عن الرزق، أو الدراسة، فالتحق بالمعهد العلمي، الذي كان يشرف عليه الشيخ محمد بن سالم البيحاني رحمه الله، ودرس في كلية بلقيس، ثم انتقل إلى تعز، فأكمل فيها دراسته الثانوية، وحينها كان الصراع الفكري على أشده بين التيارات القومية واليسارية من جهة، والتيار الإسلامي من جهة ثانية، وكان الأستاذ عبدالملك أحد الشباب القوميين المتحمسين ضد ما يعتبرونه فكراً رجعياً ومتخلفاً، لكنه بدأ في تغيير قناعاته عن إدراك وعلم، بعد أن تعرف على الكثير من الأساتذة والعلماء، واقترب من أقرانه من الشباب، وتفتحت له آفاق الدعوة إلى الله.

يمَّم الأستاذ الشيباني وجهه صوب المركز الإسلامي في شارع 26 سبتمبر بتعز، ذلك المركز الذي أسسه الأستاذ قاسم غالب أحمد، أحد الثوار الأوائل، ووزير التربية السابق، وهناك التقى عن قرب الأستاذ عبده محمد المخلافي، الشخصية الآسرة المؤثرة، التي تفيض إيماناً بالله وثقة بكمال الإسلام وقدرته على حل مشكلات البشرية في كل زمان، وعلى الرغم من حملات التشكيك ضده فإن الجلوس معه يجبر المستمع على الاقتناع والتسليم بأن من يحمل الفكر الإسلامي الناصع، وبذلك الحماس الوقّاد، لا يمكن أن يكون عميلاً ولا رجعياً، ولا عدواً للعروبة، ولا خصماً للحرية والعدالة والمساواة، وقد ألف الأستاذ الشيباني عنه كتابا -فيما بعد- سماه (شهيد القرآن).

لم يمضِ وقت طويل، حتى أصبح الأستاذ عبد الملك أحد الشباب البارزين، الذين يديرون ندوة المركز الأسبوعية، والتي كانت تقام عصر كل جمعة، ووقتئذ كانت هي الحاضنة التي تقدم الزاد الفكري للشباب، وترد على الشبهات المثارة ضد الإسلام، ومبادئه وتاريخه ودعاته.

التحق بجامعة صنعاء كلية التربية قسم التاريخ، وتخرج فيها عام 1977م، ونال درجة البكالوريوس، وكان طالب علم نهِما ومجتهدا؛ وخلال تعليمه النظامي، درس العلوم الشرعية واللغة العربية على عدد من العلماء، والدعاة المشهورين في عدن وتعز، ومنهم الشيخ محمد بن سالم البيحاني، ومحمد عبد الرب جابر، وعبدالرحمن قحطان، وعمر أحمد سيف، ونصر أحمد ناصر الشميري، وعلي سعيد الغيلي، وأحمد السروري، وعمر سالم طرموم، وغيرهم.

كنت قد التقيته عام 1970م في دورة تدريبية للمعلمين في المدرسة الفنية بصنعاء، وكان يضفي على أجواء الدراسة والسكن الطلابي الدعابة والمرح، يرفع صوته بالأهازيج الشعبية، التي يرددها المزارعون في مواسم البذر والحصاد، وينقلنا إلى أعماق الريف اليمني بصفائه ونقاء أهله، ويردد أقوال العجائز الفكاهية وزواملهن.

كان شاباً حراً أبياً، يكره الظلم، ولا يقبل الانتقاص من الحقوق، وأثناء تلك الدورة، زارنا الأستاذ أحمد جابر عفيف وزير التربية والتعليم حينها، وألقى خطاباً تحدث فيه عن الإنجازات التي حققها في زيارته لبعض الدول العربية، وما حصل عليه من مساعدات، لنشر التعليم وتطويره في اليمن، وكان الدارسون في تلك الدورة يشكون من سوء التغذية التي تقدم لهم، ومن تأخر الحافز الشهري الذي يأخذونه؛ وقدره ستون ريالاً، (حوالي خمسة عشر دولاراً)، وعُرف الأستاذ أحمد جابر بالحزم والصرامة، فلم يجرؤ أحد من المعلمين أن يطرح عليه الشكوى، فانبرى الأخ عبد الملك يعرض معاناة المعلمين المتدربين، ويطالب بتحسين أحوالهم، مما أثار غضب الوزير، الذي اعتبر ذلك تحريضا على الفوضى والتمرد، فأمر بحبسه في سجن الرادع، الذي كان مجرد ذكره يثير الرعب في النفوس، وقد تم إطلاقه بعد أيام، رحمه الله ورحم الأستاذ أحمد جابر.

دخلنا سوياً جامعة صنعاء عام 1973م، وجمعَنا سكن واحد، كنّا الدفعة الأولى بكلية التربية، وأغلبنا سبق له العمل في حقل التدريس، وكلٌ اختار التخصص الذي يرغب فيه: اللغة العربية - اللغة الإنجليزية - الفيزياء الكيمياء.. أما هو فقد فضل الدراسة في قسم التاريخ، ولفت انتباهه الكم الهائل من الكيد والدسّ في كتابة التاريخ الإسلامي، الذي سطره المستشرقون وبعض الحاقدين على الإسلام، وركزوا فيه على جانب الصراع السياسي، والجوانب المعتمة من تاريخ أمتنا، ولم يظهروا جوانب النهضة والرقي، والعلم والحضارة والعمران في العصور الإسلامية المتعاقبة، فزاد من عزمه على التعمق في قراءة التاريخ، وسبر أغواره، وقد أبدع في ذلك أيما إبداع، ونفع الله به كثيراً.

في أثناء دراستنا بالجامعة تنَقّلْنا في عدة مساكن، وكان الأخ عبد الملك محبوباً ولطيفاً وظريفاً، ويتحمل شدتنا عليه، فقد كنا نشن الغارة على ماضغي القات، وهو من المداومين عليه، وكان شغوفاً بشرب الشاي بكثرة، إلا إنه مع ذلك ينام نوماً عميقاً، ويؤدي واجباته، ويذاكر دروسه باهتمام، فلم يتخلف في سنة دراسية ولم يؤخر مادة إلى الدور الثاني، وكان هذا الاجتهاد هو ديدن أغلب الطلاب في ذلك الزمان.

بدأ حياته المهنية مدرساً في تعز بمدرسة ناصر، ومدرسة النجاح، ومدرسة الثلايا، ومعهد تعز العلمي، ثم عمل وكيلاً لمدرسة الثلايا، فمديراً لمدرسة الزبيري، ثم موجهاً في مكتب التربية والتعليم، وموجهاً في المعاهد العلمية، وآخر وظيفة شغلها، كانت وظيفة مستشار بوزارة التربية والتعليم.

وتم اختياره في لجان وضع المناهج، ورئيسا للجان تأليف كتب التاريخ والسيرة والتربية الاجتماعية، لمختلف مراحل التعليم العام، ومعاهد المعلمين، ورأس الكثير

من تلك اللجان، وشارك في المؤتمر الأول لمناهج المعاهد العلمية، الذي عقد بجامعة صنعاء عام 1979م، وتم اختياره سكرتيراً للمؤتمر.

وفي المجال الاجتماعي والثقافي، عمل أمينًا عاما لرابطة (طيف) الأدبية بتعز، وعضو الهيئة الإدارية لجمعية معاذ العلمية، وعضو رابطة الأدب الإسلامي، وعضو مجلس أمناء منتدى الفكر الإسلامي، وكان عضواً مؤسساً لنادي الأحرار، ونادي الرشيد، والرئيس الفخري لنادي الأنصار الثقافي الرياضي بتعز.

في مجال الإعلام والصحافة، عمل رئيساً لتحرير صحيفة الإصلاح، التي كانت تصدر في تعز، في تسعينيات القرن الماضي، وكان له عمود أسبوعي في صحيفة الصحوة بعنوان (نفثات اليراع)، الذي داوم على كتابته خمسة عشر عاما، إلى حين وفاته. وكان يكتب في صحيفة الجمهورية، والأهالي، ومجلة الإرشاد، ومجلة النور، ومجلة نوافذ.

وفي الإطار السياسي، كان من مؤسسي التجمع اليمني للإصلاح عام 1990، والأمين المساعد للمكتب التنفيذي بتعز، وعضو هيئة الشورى المحلية، ثم رئيس الدائرة القضائية بالمحافظة، وعضو مجلس شورى الإصلاح حتى وفاته.

قلّ أن نجد من يجمع بين التدريس والخطابة، والتأليف والكتابة الصحفية، لكن الأستاذ عبد الملك الشيباني أبدع فيها كلها، وكانت القراءة عادته التي لا يتركها، فهي زاده اليومي، حتى الساعات الأخيرة في حياته، تصحبه أوراقه وقلمه حيثما حلّ وارتحل؛ فكلما وجد فائدة سمعها أو قرأها أو شاهدها، سارع لتدوينها، ليضعها فيما بعد في مكانها المناسب، في مقالة أو كتاب أو محاضرة.

الأستاذ عبد الملك الشيباني من قلائل الرواد والدعاة، الذين دوّنوا وكتبوا، فله

أكثر من عشرين كتاباً، بعضها مازال مخطوطاً لم يطبع، إضافة إلى مشاركته في تأليف المقررات الدراسية لمعاهد المعلمين والتعليم العام، والمعاهد العلمية.

كان رحمه الله يعمل الخير ولا يحب أن يظهر ذلك للناس، يسعد حين يأتيه المال فينفقه بكرم، وربما لا يبقي له منه شيئا، ويفضل أن تكون له خبيئة من عمل صالح. حفظ القرآن الكريم، لكنه إذا صلى إماماً يقرأ من قصارى السور، لكيلا يعرف حفظه!

عرف الأستاذ الشيباني بأنه عالمٌ محقق، ومؤرخ محترف، ولم يمنعه ذلك من تخصيص جزء من وقته للدعوة والتوجيه، يلبي نداء الواجب الدعوي في أي وقت، وفي أي منطقة، لا يمنعه سوى المرض أو السفر، طاف اليمن من أقصاه إلى أدناه، تسمعه في حضرموت، وتراه في عمران، وتجده في الضالع وصنعاء والحديدة وعدن، ولا تفتقده في الرحلات والمناسبات واللقاءات العامة والخاصة، يستجيب لدعوات المراكز والجمعيات والطلاب في الخارج، فاتجه شرقاً وغرباً، يعلّم ويحاضر من الصين

وهونج كونج، إلى تركيا وأوروبا وحتى أمريكا، وزار السعودية وجيبوتي ومصر والسودان والأردن، وحُقَّ لمن عرفه أو سمع به أن يحرص على دعوته، فقد آتاه الله علماً وفهماً، وحكمة وموهبة في الخطاب والبيان، فجمع في خطابه بين الإقناع والإمتاع.

كان شديد الوطأة على كل من يسخر بالإسلام، أو يشكك في شموله وكماله، أومن يستهزأ بالعلماء والدعاة إلى الله، وهنا ينثر كنانته مستخدماً الأمثال والقصص المعبرة؛ وقد تكون يمنية أو هندية أو صومالية، أومن التراث العربي والإنساني، مما تختزنه ذاكرته الحديدية، يفتح ما يسميه **(الكتاب المُشَنْتَحْ)**، للرد على شبهات المستهزئين والشامتين، فيفيض على مستمعيه البهجة والمتعة، مع الفائدة والمعرفة، وتنزل كلماته صواعق تأتي على الباطل من قواعده.

كثيراً ما كان يعبر عن حزنه بسبب خمود ذكر علماء اليمن وكتابها وخطبائها، بينما من هم أقل منهم من دول أخرى، مشهورون بكتبهم وكتيباتهم، ودروسهم وخطبهم ومحاضراتهم، لعدم وجود المؤسسات الحاضنة والمشجعة لعلماء اليمن ومفكريها، وتقصير الدولة في تبني المبدعين ونشر إنتاجهم، ولما اعتاده اليمنيون من خمول الذكر، وعدم التعريف والإشهار لأعلامهم.

عاش الشيباني حياته مجاهداً بلسانه وقلمه، وعرفَته المنابر والمحافل متحدثاً لبقاً مؤثراً، صاحب حجة وبيان، إلا أنه كان يفضل البقاء في الظل جندياً مجهولاً، لا يتطلع للمناصب ولا يبحث عن الصدارة، وهو المستحق لها عن جدارة، عاش على الكفاف، عفيفاً طاهر اليد، ابتلي بعدة أمراض في العشرين عاماً الأخيرة من حياته، ومع ذلك ظل صابراً محتسباً، وعلى الرغم من كثرة اجتماعي به، وجلوسي معه، إلا إنه لم يذكر لي مرضه ولم يشكو من تدهور صحته، ولا تراه إلا مبتسماً بشوشاً،

يفيض عليك من أخلاقه ودعابته، يبعث الأمل في النفوس، ويحث على التفاؤل، ويؤكد بأن الخير والحق منتصر لا محالة، بينما كان يعتصر ألماً من داخله على حال الإسلام، وتفرق المسلمين وضعفهم.

صدر للأستاذ عبد الملك الشيباني عدة مؤلفات منها: العلم والعلماء، شهيد القرآن، فن الرحلات، مسيرة الإصلاح، اليمن ومكانتها في القرآن والسنة، كتاب تخريج أحاديث أهل اليمن، صحابة اليمن، ورجال الطبري في الميزان، البيحاني ومعالم الإصلاح في حياته، الرجل الأمة.. معاذ بن جبل، الأمة العظيمة.. حاضر العالم الإسلامي، لمحات عن أوضاع المسلمين في الصين، السيرة النبوية في ظلال القرآن، العصبية، الجهاد المالي، الداعية والهمة العالية، وقضايا ومناقشات تاريخية (مخطوط)، وتاريخ الحركة الإسلامية في اليمن ويقع في ثلاثة مجلدات (مخطوط).

وأما كتابه المتميز **(الظهور الإسلامي.. فجرٌ دائم وشروق مستمر)** الذي يقع في أكثر من أربعمائة صفحة، ففيه مشروعه وخلاصة فكره، ونظرته لماضي المسلمين وحاضرهم ومستقبلهم، بيّن فيه جوانب الظهور الإسلامي الفكري والعلمي والاجتماعي والمادي والمدني والعمراني.. ونثر في طياته الأمل بمستقبل مشرق للمسلمين، يخرجون فيه من حالة الضعف والانكسار، داعياً شباب الأمة للتحرر من حالة اليأس والإحباط، وأن يستلهموا من حضارة الإسلام العظيمة، أسباب النهوض والخروج من وهدة التخلف والضعف.

وبعد وفاته صدر عنه كتاب **(الشيباني آفاق السيرة والمسيرة)**، قام بإعداده الدكتور فؤاد البنا مع بعض أعضاء منتدى الفكر الإسلامي في تعز، وتضمن تفصيلاً

عن نشأته وتعليمه وأعماله الدعوية والعلمية، ونشاطه الخاص والعام، وشهادات إخوانه وزملائه وتلامذته، وتصدرت تلك الشهادات ما سطره الدكتور فؤاد بقلمه الرشيق، ووصفه الدقيق، وتعبيره الجميل، موضحاً مناقبه وصفاته ومواقفه، ومن أروع الكتابات عنه ما تفتّقت عنه ذاكرة الأستاذ عبدالوهاب الميرابي، الذي كان لصيقاً بالأستاذ عبدالملك لمدة ثمانية وعشرين عامًا، حيث لزمه في ظعنه وإقامته، وحضر مجالسه ودروسه، وشاركه همه وهمومه، وكان قريباً من أسرته وأولاده، فجاءت كتابته حميمية مؤثرة، وناصعة في بيان أخلاقه وسلوكه ومعاملته، وأسلوب تأليفه وكتاباته، وأسفاره ومحاضراته، سطر كل ذلك بأسلوب شائق وعبارات ماتعة..

في بني شيبة بالحجرية محافظة تعز عام1371هـ 1952م ولد الأستاذ عبد الملك بن محمد مرشد الشيباني، وكانت وفاته في مدينة تعز بتاريخ 1435/2/15هـ 2013/12/18م، وخلف سبعة أولاد وابنتين، وشيع جثمانه إلى مقبرة الأُجينات جوار مدرسة الزبيري التي درّس فيها، وكان مديراً لها، وفي موكب جنائزي مهيب، ووسط حزن عميق، تجلله دعوات كل من أحبه داخل اليمن وخارجها.

رحمك الله أيها الأخ المجاهد الكريم، فخسارة اليمن فيك لا تعوض، وأسأل الله أن يكرم نزلك، ويوسع مدخلك، ويرفع قدرك، ويجزيك بالإحسان إحساناً، وبالسيئات عفواً ومغفرة ورضواناً، اللهم اجمعنا به في جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

علي الواسعي الألق المغمور

(1349 - 1441هـ) (1930 - 2020م)

الأستاذ المفضال علي بن عبدالله بن علي الواسعي، مجاهد جسور، ومناضل صبور، داعية مصلح، وعالم عابد، زاهدٌ متجردٌ من التعلق بحطام الدنيا، فقيه لبيب، وسياسي أريب، وأديب متمكن، وكاتب لا يشق له غبار، قلمه سيال، يعطي الحروف والكلمات قوة تأثيرها، وصدق معانيها، ومع سمْتِه الهادئ، إلا أن قلبه يتّقد حماسة وثورة، فقد كان رحمه الله غيوراً شجاعاً، يقول كلمة الحق لا يخشى في الله لومة لائم، وظلت قضايا الأمتين العربية والإسلامية حاضرة لديه، يعيش آلامها وآمالها، ويعبر عنها بأدبه الرفيع، وكلماته القوية، التي تنبّه الغافلين، وتوقظ النائمين، تلك معرفتي به، ولا أزكي على الله أحداً.

كان من أبرز أساتذة الجيل، وأحد كبار المناضلين الذين نذروا حياتهم لدينهم، وخدمة وطنهم، والدفاع عن حقوق اليمنيين، ويعدّ من الرموز الذين تركوا بصمتهم في تاريخ اليمن الحديث، فقد كان من الثوار والرواد الأوائل، الذين عشقوا الحرية، واستمرؤوا التضحية، ليعيش شعبهم عزيزاً كريمًا، ووطنهم قوياً مزدهراً، فحجز موقعه في المقدمة بين ثوار 1948م، وهو لمّا يزل في مقتبل العمر، لا يتجاوز الثامنة عشرة من عمره.

وبسبب مشاركته في الثورة، أودع سجن القلعة بصنعاء مع زملائه الأحرار، ليقضي فيه سبع سنوات، حتى تمكن من الهروب إلى عدن، ومنها غادر إلى مصر، ومع هذا لم يفتّ ذلك في عَضُده، أو ينل من عزيمته، فقد اشترك في ثورة 26 من سبتمبر 1962م، وكان ممن صاغ أهدافها الستة، ولأنه من العظماء الذين يصنعون التاريخ، ولا يهتمون بالكتابة عن أنفسهم، فقد كتب عن أدوار زملائه الثوار وتضحياتهم، ولم يتحدث عن نفسه إلا لِمَاماً، أوجوابا إذا سُئِل!

ولد الأستاذ علي بن عبدالله الواسعي عام 1349هـ 1930م، في (بيت غازي) بالقرب من قرية القحقحة، مديرية آنس، بمحافظة ذمار، في أسرة عرفت بالعلم والتدريس والتأليف، توفيت والدته وهو في الثالثة من عمره، وبدأ تعليمه الأولي في الكُتّاب، ثم انتقل إلى صنعاء، فتعلم في الحلقات المسجدية في الجامع الكبير بصنعاء، وجامع الفليحي، وغيره من المساجد، فدرس العلوم الشرعية واللغة العربية، وكان ذلك هو التعليم المتاح في ذلك العصر، فدرس القرآن مجوداً علي الشيخ علي الوتري، ومن شيوخه الصفي محبوب، ومحمد عبدالله العمري، وعبدالخالق الأمير، ومحمد بن إسماعيل العمراني، وعبدالله حُميد، وعبدالرحمن عبدالصمد أبو طالب، وعلي

بن علي فضة، ومحمد فضة، وإسماعيل الزبيدي النعمي، وعبدالعزيز بن إبراهيم، ومحمد بن قاسم العزي، والصفي السنيدار.

درس أصول الدين على عقيدة المعتزلة وفقه الهادوية، من كتاب شرح الأزهار، وصار شيعيا غالياً، لكنه ما لبث أن تراجع عن ذلك، بعد أن توسع في القراءة، وتأثر ببعض العلماء الذين يميلون للأخذ بالدليل من الكتاب والسنة، ومنهم القاضي محمد بن عبد الله العمري رحمه الله.

التحق بالمدرسة العلمية بصنعاء، أعلى وأشهر مؤسسة تعليمية حينها، وقد كان التعليم فيها يركز على علوم الفقه وأصوله، والتفسير، وأصول الدين، إضافة إلى النحو والصرف والبلاغة، لكنه فتح عينيه على الكتب الحديثة التي كانت تأتي من مصر والشام، فقرأ للإمام محمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وعبد الرحمن الكواكبي، ومصطفي المنفلوطي.. وعرف كيف تطورت الشعوب، وبات يعتصره الألم على بلده اليمن، الذي مازال يعيش حالة العزلة والتخلف.

ثم سافر إلى مصر، ودرس الصحة الوقائية، وساعده في الحصول على المنحة شيخه عبد الرحمن أبوطالب، الذي أصبح سفيراً لليمن في مصر، وطوّر نفسه بعد الثورة بالدراسة في سورية مدة سنة، في التخصص نفسه.

ظل الأستاذ الواسعي نَهِما في طلب العلم، ولم يتوقف عن القراءة والاطلاع والتعلم حتى آخر حياته، رأيته - وقد جاوز الخمسين من عمره - يحمل كتبه ويتنقل من مسجد إلى آخر في صنعاء، ولا يستنكف عن التتلمُذ على أيدي كبار العلماء، فغدا عالماً فقيهاً، ومرجعاً في النحو والصرف والبلاغة.

بعد حصوله على دبلوم في الصحة العامة، والصحة الوقائية، عاد إلى اليمن عام 1957م، وعين مراقباً صحياً في مدينة الحديدة، وبدأ عمله بالتفتيش على السلع التي تباع في الأسواق، ورأى أن بعضها منتهي الصلاحية، فقرر مصادرتها، ودخل في خلاف مع التجار الذين شكوه إلى نائب الإمام، فتم نقله إلى صنعاء، فعمل ضابطاً صحياً في المستشفى المتوكلي (الجمهوري حاليا).

وبعد ثورة سبتمبر 1962م، عمل في وزارة الصحة مديراً عاماً للصحة الوقائية، وظل مواكباً للقضية الوطنية، وكان من المشاركين في مؤتمر عمران الذي دعا إليه أبو الأحرار محمد محمود الزبيري، وكذا مؤتمر السلام بخمر، وكان الهدف من هذين المؤتمرين استقلال القرار اليمني، والدعوة للسلام.

انتقل الأستاذ الواسعي للعمل في إذاعة صنعاء مشرفاً على البرامج، وكان يكتب التعليق على الأخبار خلال حرب السبعين يوماً، عندما كانت صنعاء محاصرة من القوات الملكية، وكتب وقدم للإذاعة بعض البرامج مثل **(أضواء على الدستور)** و**(جريدة الصباح)**، و**(الأسرة)**، و أنشأ برنامج **(فتاوى)** الذائع الصيت، الذي عهد بإعداده للأستاذ أحمد العماري رحمه الله، وكان يقدمه الأستاذ عز الدين تقي، وقد تضمن فتاوى فقهية واسعة، في مختلف الفروع والأصول، واستمر عشرات السنين، واستفاد منه الرجال والنساء في المدن والأرياف.

بعدها عمل في المجلس الوطني (البرلمان) مديراً للجلسات واللجان، ثم عُيِّن نائباً للأمين العام لمجلس الشورى، وشارك في كتابة مسودة الدستور الدائم للجمهورية العربية اليمنية، وعندما تم تجميد مجلس الشورى، عمل في الهيئة العامة للآثار ودور الكتب، ثم انتقل إلى وزارة الأوقاف، وأسس مجلة الإرشاد، ورأس تحريرها لمدة

اثني عشر عامًا، وكان يسافر إلى مصر للإشراف على طباعتها، وكان ذلك عملاً مضنياً.

كان له باع طويل في العمل الخيري؛ فقد شارك في تأسيس الكثير من الجمعيات، ومنها الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم، وغيرها من الجمعيات ذات النفع العام.

كان رحمه الله مشاركاً في المناشط الخيرية والاجتماعية والنقابية؛ فهو عضو في نقابة الصحفيين، وعضو في الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم، وعضو في الجمعية الخيرية لنصرة الأقصى، وعضو في الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، وعضو في رابطة الأدب الإسلامي العالمية.

يُعَدّ الأستاذ الواسعي رائد الصحافة الإسلامية في اليمن، فقد عمل مع الأستاذ عبدالملك الطيب، والعزي صالح السنيدار، وعبدالكريم الخميسي،في صحيفة **(صوت اليمن)** التي أسسها الأستاذ الزبيري في عدن، وكان مديراً لتحريرها، وقد استمرت في الصدور بعد الثورة بشكل غير منتظم، وهو أحد مؤسسي صحيفة الصحوة الأسبوعية، وكاتب (وخز الضمير)، العمود الأبرز الذي كان يتابعه قراء الصحوة، لأنه يتناول القضايا المتعلقة بحياة الناس وهمومهم، وينتقد الأخطاء بأسلوبه السهل الممتنع، وكان يكتب أيضاً في صحف الوحدة، والميثاق، و26 سبتمبر، والمستقلة اللندنية، وغيرها.

وكانت آخر بصماته التنويرية إصدار مجلة النور الشهرية، وهي مجلة جامعة للدعوة والأدب والسياسة والتاريخ، وأخبار العالم الإسلامي، وتنتهج خط الوسطية والاعتدال، وقد أعطاها وقته وجهده، وكان يكتب افتتاحيتها الضافية، ويتناول فيها أهم القضايا الوطنية أو العربية أو الإسلامية، وتمثل تلك الكتابة ثروة ثقافية وأدبية، وقد استمر إصدار المجلة بانتظام نحواً من ربع قرن.

لم يكن الأستاذ علي الواسعي مجرد كاتب مشهور، فقد كان معلماً ومربيا، وقائدا محنكا، تخرجت على يده أجيال، ورأس هيئات تنظيمية قيادية كثيرة، قبل التعددية السياسية وبعدها؛ فأدارها بحكمة واقتدار، واستطاع أن يتجاوز الكثير من المحن والابتلاءات، وظل محافظاً على الرابطة الأخوية، التي تجمعه بإخوانه العاملين في حقل الدعوة، وكل من عمل معه أحبَّه، واستفاد من علمه وفكره، وصفاته وأخلاقه وسلوكه، فهو قدوة يحتذى في الالتزام بالواجبات التي يطلبها من الآخرين، منضبط لا يخلف وعداً، ولا يتأخر عن موعد، ولا يخالف فعلُه قولَه، ولأنه لم يكن متطلعا للمناصب القيادية، فقد كان سهلاً ليناً تابعاً أو متبوعاً، ولا يجد في نفسه أي غضاضة إذا تحوّل من رئيس إلى مرؤوس، وهذه صفة لا يقدر عليها إلا المخلصون، الذين وهبوا أنفسهم لله، والمتطلّعون إلى رضوانه وحده جل جلاله.

والواسعي واحد من ثلاثة وستين شخصية، أسسوا حزب التجمع اليمني للإصلاح، بعد تحقيق الوحدة اليمنية عام 1990م، وقد ظل عضواً منتخباً في مجلس شورى الإصلاح في كل الدورات الانتخابية حتى وفاته رحمه الله، وكان عضواً فاعلاً في كل مؤتمرات الإصلاح المحلية بأمانة العاصمة، وعضوًا في هيئتها القضائية.

لم ينكفئ الأستاذ الواسعي على قضايا وطنه اليمن، بل ظل متفاعلاً مع كل قضايا العالم الإسلامي، وعلى رأسها قضية فلسطين التي كانت حاضرة في كتاباته ولقاءاته، ومن الموافقات أنه كان في مصر إبّان العدوان الثلاثي على مصر عام 1956م، فتطوّع في المقاومة الشعبية المصرية، وعندما كان يدرس في سوريا عام 1967م، وكان الشباب العربي في قمة الحماس، استعداداً للقتال ضد العدو الصهيوني، فانضم للطلبة العرب المتطوعين، للمشاركة في المواجهة بين العرب وإسرائيل، لكن إسرائيل حسمت

المعركة لصالحها قبل إكمال تدريب المتطوعين.

طاف الأستاذ الواسعي الكثير من الدول العربية ودول العالم مثل إندونيسيا وباكستان ودول أوروبا وأمريكا، وله فيها مواقف ومشاهد وطرائف، دوّنها في كتاب كان قد نشره على حلقات في مجلة الإرشاد.

وله كتاب **(تأملات مجنون)**، وكتاب **(حوار مع ملحد)**، وكتاب **(الإعلام والدعوة)**، وكتاب **(الإسلام في أربعة عشر قرناً)**، وكتاب **(فوضى أم نظام.. كفرٌ أم إسلام؟)**، وبحث في المرأة، وله رواية كتبها في ستينيات القرن الماضي، بعنوان **(جزيرة العميان)**، وله ديوان شعر تحت الطبع قدم له الدكتور عبد العزيز المقالح، إضافة إلى عدد من الدراسات والبحوث، ومن أهم إنتاجه كتاب **(الطريق إلى الحرية)** الذي جمع وحرر فيه مذكرات العزي صالح السنيدار عن ثورة 1948م الدستورية، وما واكبها من أحداث، وما واجهه الثوار من تعذيب وتنكيل بعدها.

والأستاذ على الواسعي أديب وشاعر، وله قصائد شعرية فصيحة، وكان ينتقد دعاة الحداثة، ويعتبر الشعر المنثور هروباً من الالتزام بقواعد العربية والعروض، وبحور الشعر العربي، ويرى بأن الحداثة منقولة من الغرب، وليست مجرد مذهب أدبي، وأنها تستهدف هدم مقومات أمتنا ولغتنا العربية الفصحى، وله قصائد يحاكي فيها هذا اللون من الشعر، تعريضاً به وانتقاداً له.

وفي كل المواقع والوظائف التي شغلها، التزم الأستاذ الواسعي النزاهة والعفّة ونظافة اليد، وقد ظل وفياً للأهداف التي ناضل لتحقيقها، ناقداً للفساد والانحراف عن مبادئ الثورة، التي ضحى من أجلها مع الرعيل الأول من الثوار والمصلحين، وكان

يقول (لا) بملء فيه، لا يخشى أحداً إلا الله، عاش البساطة كأي مواطن عادي، ولم يأخذ وضعه الرسمي اللائق بماضيه وتضحياته، إلا إنه كان راضياً قنوعاً، ولم يكن يزعجه إلا الظلم والفساد والتخلف، الذي قامت الثورات للقضاء عليه.

عاش الأستاذ الواسعي دؤوباً، لا يكل ولا يملّ عن البذل والعطاء، يحمل همة الشباب، وحكمة الشيوخ، ويتصف ببأس الأبطال وجلَد الصابرين، ومع سمْتِه الهادئ، إلا أنَّ قلبه يتّقد حماسة وثورة، وكان دائم الذكر، كثير العبادة، كلامه مفيد، وصمته تأمل وتفكير، لديه سرعة بديهة، والجلوس إليه تعلّمٌ ومتعة، وهو مع ذلك صاحب دعابة ولطف، ولديه مخزون من القصص والطرائف والنكت، التي يُحْسِن سردها بحسب مقتضى الحال.

كان قريباً من الناس، يعيش ألامهم وهمومهم؛ فالتواضع سمة ملازمة له؛ لا يهتم بالمظاهر والشكليات، بل كان من الذين يمشون على الأرض هوناً، وفي العقدين الأخيرين من عمره عانى من عدة أمراض؛ منها الربو الذي اضطره إلى استخدام التنفس الصناعي أكثر أوقاته، لكن إنتاجه الفكري ظل مستمراً، حتى وهو في هذه الحال.

الأستاذ علي عبد الله الواسعي صاحب هذا الألق المغمور، والعطاء المتدفق، عاش على الكفاف، ولم يفكر بجمع المال، الذي كان يقبل عليه ويراوده، ليكون ثريا من الأثرياء، ولكنه كان يأبى، واختار أن يعيش كعامة الناس؛ له بيت متواضع في الحي القديم بقاع العلفي، وفي سنواته الأخيرة في صنعاء، عاش في شقة مستأجرة في شارع الستين، وبعد انقلاب الحوثيين على الشرعية في سبتمبر 2014م، لم يحتمل البقاء، وكان يقول: هؤلاء يحملون أحقاد التاريخ، ولا يعرفون شرف الخصومة، فقرر مغادرة صنعاء.

وفي تركيا حط عصا الترحال بمدينة إسطنبول التركية، ليسكن في شقة صغيرة من دون جلَبة ولا ضجيج، ولم يحاول استثمار نضاله الطويل، ليحصل على حقوقه المادية، أويُحَسّن من وضعه المعيش، وقد شرفت بزيارته والجلوس إليه عند قدومي إلى تركيا، أكثر من مرة، فوجدته ذلك الأخ الحبيب الصدوق، والمعدن النفيس، والمؤمن الواثق بالله، والمجاهد الصلب الذي لم توهن عزيمته الخطوب، ولم تضعف ثقته بنصر الله وتأييده لعباده المؤمنين، ورأيته كسابق عهده، يعيش راضياً، لا يتبرم ولا ينتظر عطاءً من الناس، ولا من دولته، حتى حان أجله المحتوم فتوفي بعيداً عن وطنه، متأثراً بوباء (كورونا)، وأسأل الله أن يكتبها له شهادة، ويعوّضه عن آلام الدنيا درجات عالية في الجنة.

ذكرياتي مع الأستاذ علي الواسعي ندية وشجيّة فعلى يده تتلمذت، ومن توجيهاته تعلمت، وبسلوكه تأثرت، وعلى الرغم من مكانته وتاريخه النضالي، إلا إنه كان لا يبحث عن الشهرة، ويبتعد عن الأضواء، ولا يزاحم على متاع الدنيا الزائل، وقد عملت معه مرؤوسا ورئيساً فلم أرَ فيه إلا الحب والتجرد، وستظل سيرته سجلاً حافلاً بالمواقف والتضحيات، ومعيناً عذباً تستلهم منه الأجيال قيم النضال والتضحية والكفاح، ومعاني النُّبْل والفداء، للدفاع عن الحرية والكرامة، ومواجهة الفساد والظلم والاستبداد.

ولد الأستاذ علي بن عبد الله الواسعي في قرية القحقحة، مديرية آنس بمحافظة ذمار اليمنية عام 1349 هجرية الموافق 1930 ميلادية، وتوفي ودفن في مدينة إسطنبول التركية يوم الأحد 12 من شعبان1441هجرية، الموافق 5 من إبريل 2020 ميلادية، له ثلاثة أولاد وثلاث بنات، رحمه الله وأسكنه جنات النعيم، ورفع درجته في عليين، وألحقنا به صالحين.

في التعريف بتاريخه، وبيان لمواقفه ومكانته، نعت الهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح الأستاذ الواسعي، ومما قالت فيه: (المناضل الوطني، والمصلح الكبير، الأستاذ علي بن عبد الله الواسعي أحد أبرز القيادات التاريخية الوطنية، الذين تركوا بصمات جليلة في يمن الجمهورية، والوحدة والتعددية السياسية، وواحد من الثوار الأوائل، وصنّاع فجر اليمن المعاصر، والذي رحل عن دنيانا زاهدا، وفيا لعهده ونضاله ودربه القويم.

فقد كان الواسعي رحمة الله عليه من الثلة اليمانية الباسلة، التي أنجزت لليمنيين جمهوريتهم، أعظم مكاسبهم، ومن الرواد الأوائل الذين تحملوا المشاق، ولم يستسلموا للصعاب والإخفاقات القاسية..).

أما موقع الصحوة نت، فقد ذكر ما كانت تعني كتابة الأستاذ الواسعي، أحد مؤسسي الصحيفة، ومما جاء في نعيها: (لما يزيد عن ثلاثة عقود من الزمن، كان عموده الأسبوعي (وخز الضمير) في الصفحة الأخيرة من صحيفة الصحوة، هو المادة الأولى التي تتلمسها أعين القراء، وفي استطلاع أجرته الصحيفة مع قرائها عام 2004م، كان (وخز الضمير) وصاحبه الأول قرائيا، وحصد أعلى نسبة متابعة من بين مواد الصحيفة وأعمدتها، وصفحاتها المتنوعة.

كان الصدق هو المادة الأولى والأخيرة، التي يحلِّي بها الأستاذ علي عبد الله الواسعي رحمه الله عموده المذكور بشكل خاص، وكتاباته بشكل عام، بعيدا عن البهرجة اللغوية، والتنطع الأسلوبي، ولأنه كان كذلك، فقد وصل بعفوية وسهولة إلى قلوب القراء وعقولهم، متلمسا آمالهم وآلامهم..

كان رحمه الله سريع البديهة، حاضر النكتة، يحتفظ بالكثير والكثير من المواقف الطريفة، التي تخللت العمل الثوري على مدى عقود ممتدة، ولو أن هذه المواقف دُوّنت وصدرت في كتاب، لكان وحيدا في بابه، ويمثل إضافة فريدة للمكتبة اليمنية).

كما نعاه العديد من المثقفين والإعلاميين اليمنيين، باعتباره أحد رواد الإعلام والفكر في اليمن، ومن رجال الثورة الأوائل، **فقال عنه الكاتب الأستاذ نبيل البكيري:** (على الواسعي، آخر الرواد الكبار رحيلا اليوم، عن تاريخ طويل من النضال والتضحية، والكفاح في سبيل الوطن وجمهوريته وحريته؛ حيث ظل طوال عمره ممسكا قلمه، ناقدا لكل الانحرافات والأخطاء، التي عاثت بالوطن والثورة فسادا. الواسعي صاحب تاريخ نضالي كبير ومشرق، على امتداد ما يقارب قرن من الزمان، وهو حاضر في كل محطات الوطن الكبيرة والمهمة، كأحد أبرز صانعيها).

وقال عنه الأستاذ أحمد الأسودي، رئيس مركز القرن الواحد والعشرين: (لقد تتلمذ على يديه كثير من الصحفيين.. ظل قلما يتبنى قضايا الشعب.. وصوتا يدافع عن المظلومين.. وسوطا يسلخ جلود الفساد والطغاة..)

وقال عنه د عيدروس نصر، رئيس الكتلة البرلمانية للحزب الاشتراكي اليمني: (رافقت زميلي الأستاذ زيد الشامي ليوصلني إليه، حيث كان يرقد في المستشفى اللبناني بمدينة جدّة، فقابلنا رجلا متواضعا، عميق الإيمان، شديد الزهد، سهلا كعموده «وخز الضمير»، ممتنعا كشخصيته المتمكنة من معرفة ما يعتقد وما يريد، من أهداف سياسية وفكرية ومجتمعية.)

وقال عنه د غالب القرشي، وزير الأوقاف والإرشاد السابق:

(وجدته نبيلا زاهدا متواضعا، صادعا بقول الحق، وله مواقف تشهد له بذلك، وشارك في تأسيس الجمعية الخيرية لتعليم القران الكريم، وغيرها من الأعمال الخيرية).

وكتب في عزائه الشيخ عبد الرزاق قطران، عضو مجلس النواب السابق: (رحم الله العالم الجليل، والفقيه الحصيف، والمربي الحكيم علي عبد الله الواسعي، من بقية قلائل العلم والزهد والورع، عايش المعاصرة بروح الأصالة، وقرأ عن الحضارة المعاصرة بعزيمة التدين العميق، والفهم الدقيق، كان رحمه الله إذا كتب وجدنا كتابته في سلوكه، بل إنه كان يسبق الحديث بالعمل، وكان يعامل الناس بالرخصة، ويلزم نفسه العزيمة، رحمك الله يا شيخ الزهاد، ويا قدوة الصحفيين، ونخبة الإعلاميين).

وقال عنه الدكتور صالح السنباني عضو مجلس النواب، الذي تتلمذ على يديه: (.. وكان قلمه السيال لا يتوقف عند تناوله لأي موضوع، إلا بعد أن يكمل مادته الصحفية، وبخطه السريع جدا، والذي كنت أقرؤه للطَّبّاع في كثير من الأحيان، لتشابك الخط من سرعة كتابته، وتدفق معلوماته، وكنت أتأمل في المضمون الناتج عن هذه السرعة، فأنبهر من رصانة العبارات، وقوة الكلمات، ومتابعة الفقرات، لتشكل في النهاية مقالة متكاملة، سواء أكانت سياسية، أم تربوية رصينة).

وكتب عنه الأستاذ عبد الحافظ الفقيه، رئيس المكتب التنفيذي للإصلاح بتعز: (ناضل وجاهد وضحى؛ لكنه لم يمُنّ، ولم ينل ثمرة جهاده وتضحيته - هو وكثير من الأحرار بعد الثورة - وظل زاهداً عفيفاً شامخاً لا ينحني، كادحا عاملا يكسب قوته من الحلال، ورضي بشظف الحياة، وزهد فيها هو وغيره من المناضلين، الذين لم يُعْطَ لهم حقهم من التكريم والإجلال، والحياة الكريمة التي يستحقونها، وضحوا من أجلها).

وكتب عنه الأستاذ يحيى الثلايا: (من رسم لليمنيين طريق الحرية في ذمة الله! الأستاذ الكبير علي عبدالله الواسعي، الثائر والمناضل، ورائد التنوير الكبير.. وداعا وداعا أيها الملهم الراحل، الواسعي الذي سألَتْه يوما صحيفة عربية، عمّا تحقق من آماله فأجاب بشموخ وبساطة، لا يجمع بينهما إلا أمثاله وهم قليل: الثورة والجمهورية).

وكتب عنه الأستاذ أحمد الجهمي المصباحي تفصيلاً رائعاً؛ اقتطف من مقاله هذه الفقرات: (رحم الله الشيخ الأديب، واللوذعي الأريب، الكاتب الموسوعي،

العالم العامل، العابد الزاهد الورع، الصحفي البارع، جامع الأصالة والمعاصرة، وابن الفقه واللغة والأدب والتاريخ والإسناد، من آل الواسعي المُسندين الجهابذة.. عرفت العالم الواسعي من خلال حُروفه في المجلة والجريدة، كاتبا عملاقا متألقا، منضبطا بالإسلام بمعناه الشامل المتكامل. وعرفته منضبطا بمعاني الشريعة الغراء، فهي لُحْمَتُه وسُداه ومرجعه؛ منها ينطلق، ومن أجلها يجول ويصول، ويأخذ ويعطي، ويناقش ويدافع، وتلك ميزة نادرة في زمن الجدب والانفلات... يحضر دروس القاضي العمراني بكل أدب وسكينة، وإنصات ووقار، بلا اعتراض أو جَلَبةٍ أو هيلمان، أو جدال أو مراء؛ فلا مظاهر زائفة، ولا دعاوى فارغة، لا علواً ولا تعالما أو شموخا، أو شيئا من ذلك).

وقد رثاه عدد من الشعراء، منهم الأستاذ الأديب عبد الرحمن الشريف بهذه القصيدة:

تبكي القلوبُ أيا (عليُّ الواسعي) ..... يا صاحبَ القلمِ الأنيقِ الرائعِ

يا كاتباً مــرَّ الشبابُ بحرفهِ ..... عذباً وشَبَّتْ في يديكَ روائعي

كم كانَ رُكْنُكَ في الجريدةِ مؤنسي ..... بل زادُ أحلامي وماءُ مواجعي

عمراً طويلاً في الصحافة عشتَهُ ..... تمضي بأسلوبٍ جميلٍ واقعي

في أمة الإســلامِ تشحذُ همّةً ..... وعن الشريعةِ كنتَ خيرَ مدافعِ

في الله أحببناكَ حُبّاً صادقاً ..... ما كان حبَّ مصالحٍ ومطامعِ

أحببتَ كُلَّ النّاسِ دون فوارقٍ ..... وعشقتَ عيشَ بساطةٍ وتواضعِ

ورثاه ولده عبد الكريم الواسعي بقصيدة منها:

أبتي: فراقك موجُ عاصفةٍ ..... يجتاح أعماقي ويعتصرُ

قلبي، وعهدي فيه يصطبرُ ..... فغدا لموتك ليس يصطبرُ

يدمي أسى من فرط لوعته ..... حُزناً عليك يكاد ينفطرُ

والدار مالي حين أدخلها ..... أتوجس اللقيا، وأنتظرُ

وإذا سمعت خطىً بسُلَمِهِ ..... أصغي كأن خطاكَ تنحدرُ

وعصاكَ أحسبُ حين ألمحها..... مشتاقةٌ والكف تنتظرُ

في كلّ زاوية تطالعني ..... صور على الجدران تنتثرُ

فأخال أنك حين ألمحُها ..... حيٌّ فيفضح لمسي النظرُ

وأظن أنك غبتَ في سفرٍ ..... وغداً تؤُوب وينتهي السفرُ

وتكف عيني عن مدامعها ..... ويخونها صبرٌ فتنهمرُ

والحمد لله رب العالمين في السراء والضراء، وفي الشدة والرخاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وسلم.

•~•~•~•~•~•~•

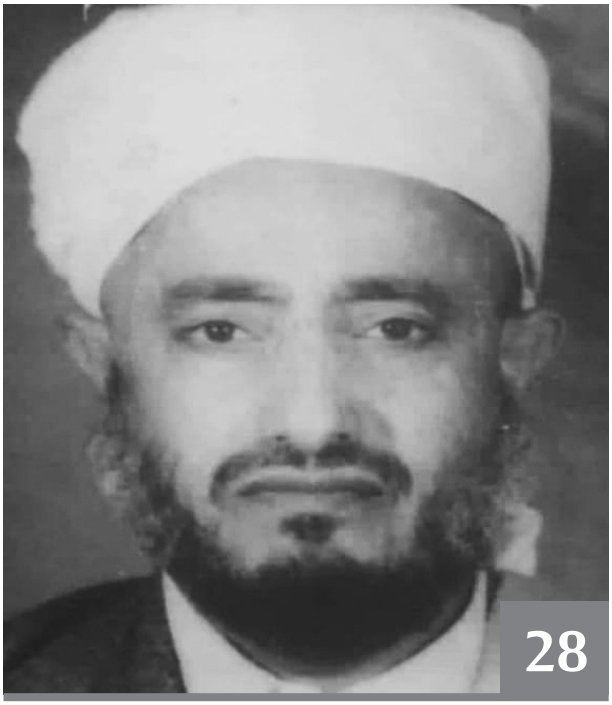

علي العصيمي النسيج المتميز

(1354 - 1429 هـ) (1935– 2008 م)

الأستاذ علي بن علي فارع العصيمي، واحد من رواد الدعوة والإصلاح في اليمن، وممن حملوا رسالة التربية والتوجيه والتغيير، كان عالي الهمة، عصامي النفس، صعب المراس، قوي الشكيمة، عندما تُحدّق فيه تتذكر أبا ذر الغفاري - رضي الله عنه - ربما لأوجه شبه تجمعه بذلك الصحابي الجليل؛ فالصلابة في الحق، والشدة على النفس، والزهد في الدنيا، والاعتزاز بالإسلام، وعدم المبالاة بأهواء الناس وأمزجتهم، تلك صفات عرفت في الشيخ علي فارع رحمه الله.

بدأ تعليمه في مديرية الخبت، وترعرع في مدينة شبام كوكبان، وبدأ عمله الرسمي في إذاعة صنعاء عام 1956م، ثم عمل بالمواصلات قبل أن ينتقل إلى وزارة التربية

والتعليم، حيث عمل في مجال التوجيه التربوي، وإعداد المناهج التعليمية، وشارك في تأليف كتب السيرة النبوية للمرحلتين الإعدادية والثانوية، كما صدر له كتاب (أحكام مناسك الحج).

عرفته أوائل السبعينيات من القرن الماضي في صنعاء، يتقدم الصفوف الأمامية للعلماء والدعاة في الجمعية العلمية، ومكتب التوجيه والإرشاد، وعندما عملتُ مدرساً في مدينة خمر عام 1972م، كان كثيراً ما يأتينا منفرداً، أو ضمن حملات دعوية، يوجّه ويعلّم ويربي.

كنا نرى فيه شموخاً، ورغبة وحماساً في الدعوة والتوجيه والإرشاد، يبث الأمل في نفوس الأجيال الجديدة، يحثهم على العودة إلى مجد أمتهم، ويثبّت يقينهم في التمسك بالعقيدة السمحة، يستعرض التحديات الكبيرة التي واجهت الإسلام في ذلك الزمن الصعب، لكنه يهوّن أمرها، ويبشّر بفجر جديد تنقشع فيه سحب الظلام.

كان للعصيمي حضور فاعل في اجتماعات العلماء، وفي قوافل التوجيه، التي كانت تذهب إلى المدن والأرياف للتوعية والإرشاد، وتعليم الواجبات الدينية، والدعوة لتيسير المهور، وإصلاح ذات البين.

كان واحداً من الرواد الكبار في اليمن، مع الشهيد محمد محمود الزبيري، والأستاذ عبده محمد المخلافي، والشيخ عبدالمجيد الزنداني، والأستاذ ياسين عبدالعزيز وأضرابهم، لم يُعرف عنه حرصٌ على المناصب العامة أو المراكز التنظيمية، فربما غاب طويلاً حتى لا تكاد تراه، أو تسمع أنه مازال على قيد الحياة، فإذا ما حدثت نازلة، وتأزم موقف، واحتاج الواجب للحضور، تراه في مقدمة الصفوف، يحضر

عند الفزع، ويغيب عند الطمع، يناصر الحق، ويشارك بالرأي، ويقول النصيحة ثم يمضي لشأنه، وقد رأيته مرات كثيرة في اجتماعات عامة، أو في منزل الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، في قضايا تحتاج إلى تشاور؛ لا ينتظر من يدعوه، ولا يعتب على أحد، ولا يلوم من لا يسأل عنه، أو يتفقد أحواله.

كان – رحمه الله - غيوراً على دين الله، واثقاً من نصر الله لدينه وعباده الصادقين، صريحاً في قول ما يعتقد، لا يبالي إن كانت كلمته سترضي أو تغضب من أمامه، سواء أكان حاكماً أم محكوماً، قريباً أم بعيداً، وما عهدناه يوماً يتحدث عن نفسه، أو يطلب منفعة خاصة به؛ لا تملك إلا أن تقدّره، لأنه يفرض احترامه على الآخرين بِسَمْتِه وزهده وسلوكه.

في اللقاءات التي كان يحضرها مع العلماء أو السياسيين عند رئيس الجمهورية، يبدي رأيه بكل صراحة، ومن دون عبارات المجاملة المعتادة، يوجه نصيحته التي قد تكون قوية وصادمة، وقد عُرف عنه هذا الأسلوب فلا يُعاتَب.

علي فارع العصيمي له من اسمه نصيب؛ فهو عصامي النفس، فارع الطول والمقصد، يسير منتصب القامة، عصاه في يده، تبرق من عينيه إشراقات الأمل الواعد، عندما يتحدث إليك، تشعر أنك أمام طود شامخ، لا يعرف الهزيمة أو الانكسار، يُمِدُّ من حوله بالقوة والعزيمة، وهو مع ذلك يهتم بقيافته ومظهره، كأنه شاب في العشرينيات من العمر!

دعيتُ مرة لإلقاء محاضرة في العشر الأواخر من رمضان للمعتكفين، في مسجد الدعوة بشعوب بأمانة العاصمة، وأثناء المحاضرة، لفت انتباهي جلوسه بين

الحاضرين، فشعرت بالحياء والخجل أن أكون المتحدث، وهو المستمع، واعتذرت له، ووجهت خطابي لمنظمي الاعتكاف كيف تدعون مثلي، وبينكم أستاذنا وشيخنا علي فارع، وربما الكثير من الشباب الذين كانوا حوله، لا يعرفون مكانته وتاريخه!

وعلى رأي ابن خلدون في مقدمته، بأن المشتغلين بالفكر والعلم والتربية، حظهم من الرزق قليل، فكذلك كان الرجل الذي عُمّر أربعة وسبعين عاماً، عمل فيها في أكثر من وظيفة قيادية حكومية، وشارك في تأليف الكتب المدرسية، وعين ممثلاً لليمن في رابطة العالم الإسلامي، وعضواً في مجمع الفقه الإسلامي بجدة، وعمل وزيراً مفوضاً في السفارة اليمنية بجدة لست سنوات، إلا أنه مات لا يمتلك بيتاً وترك أسرته في بيت الإيجار!

قد يتنافس الناس على مناصب لا تدوم، ويتحاسدون على الدنيا الزائلة، ولكن الغبطة إنما تكون للمؤمنين الصادقين، وأصحاب المبادئ الذين يعيشون بها ولها، ويموتون ثابتين راضين، ونحسب فقيدنا من هؤلاء، ولا نزكي على الله أحداً، أسأل الله أن يُكرم نُزُلَه، ويُوسّع مُدخَلَه، ويَرفَع مَنزلَتَه في عليين.

ولد الشيخ علي فارع العصيمي عام 1354هـ، 1934م في مدينة المِرْواح، مديرية الخبت، محافظة المحويت، وتوفي بصنعاء في 1429هـ - 2008م، وخلف خمسة أولاد وثمان بنات، ودفن في مقبرة الصياح،رحمه الله وأسكنه جنات الخلود.

•~•~•~•~•~•~•

29

علي هود باعباد العالم المثابر

(1366- 1434هـ) (1947 – 2013 م)

الأستاذ الدكتور/ علي هود با عباد، العالم والمربي الكبير، أحد بناة المؤسسة التعليمية في الجمهورية اليمنية، كان رحمه الله علماً من أعلام الدعوة والتعليم والتربية، درس الثانوية العامة في عدن، وأكمل دراسته الجامعية في السودان، ثم عاد إلى عدن التي كانت تعيش فترة الحكم الاشتراكي المتشدد، فانتقل إلى صنعاء، وعمل في ديوان وزارة التربية والتعليم، ويعد من الرواد الأوائل الذين وضعوا أسس التعليم الحديث في اليمن، وأسهم في تطوير المناهج التعليمية والنظام التربوي.

أكمل دراسة الماجستير والدكتوراه في جمهورية مصر العربية، ليعود أستاذا في كلية التربية بجامعة صنعاء، ثم وكيلاً للكلية فعميدًا لها، وتخرجت على يديه أجيال

من المعلمين، ومن طلاب الدراسات العليا، وكان عضواً في العديد من المجالس والمراكز واللجان التربوية.

ظل إنشاء جامعة في حضرموت حلماً يراود الدكتور علي هود، وعمل بدأب وعزيمة ليجعله حقيقة، وبتضافر جهوده مع بعض الشخصيات السياسية والاجتماعية، صدر قرار إنشاء جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا عام 1993م، وتم تعيينه أول رئيس للجامعة، فبدأ تأسيسها من الصفر، وفي خلال ثمان سنوات من رئاسته للجامعة، أضحت جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا، من أشهر الجامعات اليمنية، وصارت تضم عشر كليات، وخمسة مراكز بحثية، وخمسة وأربعين قسما، وخمس عشرة منشأة تعليمية، وقد اتصف الدكتور با عباد بالإقدام والمتابعة الحثيثة، لتثبيت أصول الجامعة ومنشآتها في المكلا، وفروعها المتعددة في سيئون والمهرة وسقطرى، وكانت مرحلة التأسيس بحاجة لقدراته وكفاءته، وحماسه وصبره ومثابرته، حتى وقفت الجامعة على أقدامها، وصارت منارة علمية، ورافدًا مهماً للنهضة والتنمية وخدمة المجتمع.

أواخر حياته عين الدكتور علي هود مستشاراً لوزارة التعليم العالي، وتم اختياره أميناً عاما مساعدا لاتحاد الجامعات العربية، وظل عطاؤه ثرياً حتى وفاته.

الدكتور علي هود باعباد من الرعيل الأول من الدعاة، الذين واجهوا الغزو الفكري، وموجات الدعوات الإلحادية، عندما كانت في أوْج عنفوانها، وقد بدأ نشاطه الدعوي في عدن مع الأستاذ عمر سالم طرموم، رحمه الله، ثم انتقل إلى صنعاء مواصلاً رسالته في التنوير والتعليم والإرشاد.

ظل الدكتور باعباد مدافعاً صلباً عن هويتنا العربية والإسلامية، حريصاً على أن تنعكس على مناهج وطرق التدريس، وعلى أساليب التربية وسلوك الطلاب والطالبات، وكان - رحمه الله - يحب الخير لكل اليمن الأرض والإنسان، وعاش داعية للمحبة والإخاء، منتقداً دعوات التفريق والتمزيق، وتمَثّل هذا الخلق والتوجّه في كل المواقع التي عمل فيها.

دعا الدكتور علي هود لإنشاء كليات وأقسام خاصة للبنات، ومع زيادة عدد الطلاب والطالبات، اضطرت الجامعة أن تفتح عدة قاعات مختلطة للمستوى الدراسي الواحد، وكان يرى أن يتم تخصيص قاعات خاصة للطالبات، ليكون ذلك أدعى لتشجيع البنات على مواصلة تعليمهن في المجتمع اليمني المحافظ، ولم يتحقق له ذلك في جامعة صنعاء، لكنه نفذ المشروع في جامعة حضرموت، التي أنشأ فيها كلية للبنات، وماتزال الكلية تعد كفاءات نسائية، ويتخرج منها أعداد من الخريجات، ولاسيما في التخصصات الأكثر ارتباطاً بشؤون المرأة، مع السماح للطالبة التي ترغب يالدراسة في التخصصات التي لا توجد في كلية البنات، أن تدرس في الكليات المختلطة.

كان الدكتور علي هود متواضعا، قريباً من طلابه، يشارك مجتمعه أفراحهم وأتراحهم، يجيد الاستماع، ويقبل النصيحة، وقد درستُ على يده مادة أصول التربية في الدبلوم الخاص للتربية عام 1985م، وظللتُ التقيه بين فينة وأخرى، وفي إحدى زياراتي له في مكتبه بالمكلا، وهو رئيس لجامعة حضرموت، قلت له: مع انشغالك الرسمي، أرجو أن لا يفوتك من خلال عملك، أن تترك بصمات تخلّد أثرك، بعد ترك منصبك، والثانية: لا تنسَ نصيبك من الدنيا، واعمل شيئاً لأولادك، فقال

بالنسبة للقضية الثانية فلا تَخْشَ عليّ لأني حضرمي (والحضرمي معروف بحسن تخطيطه للمستقبل)، وأما الأمر الأول، فبحمد الله، قد فعلت الكثير في تأسيس الجامعة ووضع أنظمتها، كما أني حرصت على استيعاب الكثير من الكفاءات اليمنية، بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية - وبالفعل كان رحمه الله ظهراً وسنداً لكثير من الكفاءات العلمية، الذين أغلقت الأبواب في وجوههم في الكثير من الجامعات، لأنهم لا يجدون واسطة اجتماعية، أو سنداً سياسياً.

للدكتور علي هود عشرات الدراسات والبحوث، شارك بها في مؤتمرات داخل اليمن وفي الخارج، وصدرت له عدة مؤلفات منها، (التعليم في الجمهورية اليمنية: ماضيه وحاضره ومستقبله)، وكتاب (أنظمة التعليم وفلسفتها في دول العالم: دراسة مقارنة)، وكتاب (خطورة الغزو الفكري والعسكري على الأمة العربية والإسلامية: نداء لنهضة أمة)، وكتاب (تربية الشباب اليمني في ضوء مبادئ وأهداف الميثاق الوطني)، وكتاب (مشكلات الشباب اليمني)، وكتاب (جامعة حضرموت للعلوم والتكنولوجيا حلم أصبح حقيقة)، وكتاب (التربية الإسلامية فكرًا وسلوكًا).

ولد الدكتور علي هود باعباد في مدينة الغرفة بوادي حضرموت، عام 1366هـ الموافق 1947م، وتوفي عام 1434هـ الموافق 2013م، ودفن في مسقط رأسه، وخلف خمسة أولاد وخمس بنات، رحمك الله يا أبا عمر، ورفع الله قدرك في عليين.

•~•~•~•~•~•~•

30

فاطمة العاقل امرأة بأمة

(1376 - 1433هـ) (1957 - 2012م)

فاطمة بنت أحمد بن عبد الله العاقل، امرأة هزمت اليأس، وقهرت الظلام، أستاذة مربية فاضلة، مثالٌ للإيمان واليقين، جسّدت الطهر في نقائه، والسمو في ارتقائه، والشموخ في إبائه، تميزت بقوة الإرادة، وصلابة العزيمة، وصفاء السريرة، والتعلق بالله والدار الآخرة، وبهمتها العالية، كانت واحدة من أهم قادة العمل الخيري في اليمن. لقد جعلت مِن فَقْد بصرها دافعاً للتفاني من أجل المحرومين من نعمة النظر، فاستطاعت أن ترعاهم - وخاصة الإناث منهم - وأن تخرجهم من محبس البصر، إلى أفياء البصيرة، وتنقلهم من العزلة إلى التفاعل مع المجتمع، والمشاركة الإيجابية في بنائه، والإسهام في خدمته؛ يأخذون منه ويعطون، ولا يظلون عبئاً ثقيلاً عليه.

ولدت في عدن عام 1957م في أسرة كريمة، زرعت في أولادها الإيمان والرضى، وربّتهم على الأخلاق الفاضلة، والقيم النبيلة، وكان لفاطمة حظٌ وافرٌ من ذلك العطاء، أما والدها أحمد بن عبد الله العاقل، فقد كان أحد رجال الأعمال اليمنيين الكبار، ومن أهل الخير المعدودين، وهو شخصية سياسية مشهورة، ومن الذين أسهموا في صناعة تاريخ اليمن الحديث، قبل الوحدة اليمنية وبعدها، توفي وهو عضو في الهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح.

بدأت فاطمة تعليمها الأساسي في اليمن، وكان لديها ضعف في البصر منذ ولادتها، فواجهت صعوبة في التعلم، وكانت أختها زينب تعاني من نفس المرض، ولذلك انتقلت أسرتها إلى مصر، لوجود إمكانات للتعليم أكثر تطوراً، فالتحقت بالتعليم العام، وبسبب ضعف بصرها، فقد كانت حركتها محدودة، واعتمدت على إخوتها في إيصالها إلى المدرسة وإعادتها.

جعلت طول بقائها في البيت فرصة للتأمل والتفكير، واهتمت بقراءة كتب الأدب والتاريخ والقصص، والسياسة والاقتصاد، والاجتماع والطب، إضافة إلى كتب الثقافة الإسلامية، وكانت تستخدم عدسة تكبير الخط لمساعدتها على القراءة، فكانت تقرأ نحو ثماني ساعات يومياً.

في أثناء دراستها الجامعية، فقدت بصرها تماماً، لكن ذلك لم يفت في عضدها، فواصلت تعليمها، حتى تخرجت في كلية الآداب بجامعة القاهرة، وحصلت على الإجازة **(الليسانس)** في الفلسفة عام 1987م، ثم درست في الأزهر، وحصلت على درجة الدبلوم في الدراسات الإسلامية عام 1989م، وبعد عودتها إلى اليمن، درست بكلية التربية بجامعة صنعاء، وحصلت على الدبلوم العام في التربية عام 1993م.

عاشت فاطمة العاقل كنحلة لا تتوقف عن إنتاج حلاوة الخير والعطاء للناس، سلوكها قدوة، وكلامها حكمة، ثقتها بالله بلا حدود، وأملها في خيرية الآخرين لا يفتر، وأنت تتابع أعمالها، وتقف عند دأبها، لا تملك إلا أن تشعر بالخجل من تقصيرك وتوانيك وضعفك، فهي تأبى إلا أن تتسنّم ذُرى المجد، وتتقدم المتنافسين في الخير؛ بنفسها وجهدها، ووقتها ومالها، وكرمها وعزيمتها!

علامات النجابة وحب الخير لازمتها منذ صغرها؛ ففي المدرسة الثانوية في القاهرة، كانت تلحظ أن بعض زميلاتها الفقيرات يأتين من غير فطور، فتشتري فطوراً، وتدعوهن ليأكلن معها، مراعاة لمشاعرهن، مع أنها قد أفطرت في بيتها.

ظلت تعيش معاناة أمتها، وتدرك جيداً كل ما يدور حولها، لكنها جعلت من الآلام آمالاً تتحقق؛ فالبكاء والحزن عندها لا يغير الواقع، والحسرة لا تصنع المجد، فاختارت تحويل القيم والمبادئ إلى سلوك، وجعلت الفضائل واقعاً معاشاً، والمبادئ أعمالاً يلمسها الناس.

كانت فاطمة – رحمها الله – رائدة وقائدة، داعية مجاهدة، تعطي ولا تأخذ، لا تجمع شيئاً لنفسها، لكنها لاتَكَلّ ولا تَملّ عن جمع المال والإمكانات للمعاقين والمكفوفين، وكان من فضل الله عليها أنها من أسرة ميسورة، وفي إمكانها أن تعيش أميرة مخدومة في قصرها، لكنها اختارت أن تعيش مع الضعفاء والمساكين، فجعلت حياتها وقفاً عليهم، سخرت مالها لخدمة المحتاجين - لاسيما المعاقين منهم - فوجدت سعادتها في إسعاد الآخرين، وراحة نفسها في إنفاق ما تملك في سبيل الله، بعيداً عن حب الثناء والإطراء، والضجيج الإعلامي والأضواء!

حياة الأستاذة فاطمة العاقل كانت مدرسة عملية للواقعية والطموح، وقوة الإرادة، فقد بدأت حياتها العملية في مصر، فعملت لمدة ست سنوات في مركز النور للمكفوفين بالقاهرة، ثم عادت إلى صنعاء، وعملت اختصاصية اجتماعية بمركز النور للمكفوفين، التابع لوزارة الشؤون الاجتماعية عام 1993م، ثم عينت مديرة لمعهد الشهيد فضل الحلالي للكفيفات بصنعاء عام 1995م، وتم اختيارها رئيسًا للجمعية اليمنية لرعاية وتأهيل المكفوفين (1992-1998م).

وقد رأت أن عدد الكفيفات الكبير، بحاجة إلى لفتة خاصة، ليحصلن على الرعاية التعليمية والاجتماعية المناسبة، ليتجاوزن الإعاقة، فعملت على إنشاء مركز متخصص للكفيفات، وكانت كمن يبحث عن المستحيل، في بلد يعاني من نقص الخدمات والإمكانات، وشحّ الاعتمادات الحكومية المخصصة لهذا الجانب المهم، لكنها لم تيأس، وانطلقت تبحث عن أهل الخير، الذين وجدوا فيها مفتاحاً لباب جديد من أبواب البر، فساندوها، وشجعوها لتحقيق طموحها، في إنجاح هذا المشروع الإنساني العظيم.

بدأت بافتتاح مراكز لرعاية الكفيفات، وتولت إدارتها والإشراف عليها، ثم أسست ورأست جمعية الأمان لرعاية الكفيفات، ذلك الصرح العظيم، الذي يثير الإعجاب بجوهره ومظهره، بمبناه ومعناه، بتنظيمه وترتيبه، بالعاملات المخلصات فيه من الكفيفات، وغير الكفيفات، بقاعدة البيانات التي جمعتها عن الذين فقدوا بصرهم في اليمن، حتى أضحت ترعى أكثر من ألف كفيفة في أنحاء الجمهورية اليمنية، بعضهن يعشن في سكن الجمعية، والبقية توفر لهن المواصلات التي تنقلهن من أبواب منازلهن، إلى مؤسسات التعليم، ثم تعيدهن إلى منازلهن، مع الرعاية الصحية والاجتماعية، إضافة إلى رعايتها للكثير من المكفوفين في أنحاء الجمهورية اليمنية..

حملت فاطمة العاقل على عاتقها مهمة طباعة الكتب والمقررات الدراسية - المعتمدة في التعليم العام - بطريقة (برايل)، التي تمكن الكفيف من القراءة باللمس، وأنشأت في مبنى جمعيتها مطبعة متخصصة بهذا النوع من الطباعة، وتحملت عبء توزيع الكتب للطلاب والطالبات المكفوفين في أنحاء الجمهورية، واستطاعت أن تحقق حلمها في طباعة المصحف الشريف بطريقة (برايل)، ليكون في متناول المكفوفين والمكفوفات.

الطموح والأمل عند الأستاذة فاطمة جعلها تقتحم مجالات صعبة، فتبنت برامج لتعليم الحاسوب (الكمبيوتر) للمكفوفين - ذكوراً وإناثاً - في المراكز والجامعات، بما في ذلك القسم الخاص بجمعية الأمان، وكم يفخر المرء ويعجب

تكريم رائدة العمل الخيري الأستاذة فاطمة العاقل – رحمها الله

من هؤلاء المحرومين من نعمة النظر، وهم يتعاملون مع أجهزة الحاسوب قراءة وكتابة، بفضل هذه المرأة الاستثنائية، التي هيأها الله لتقوم بهذه الأعمال العظيمة، مما دفع أهل الخير ليضعوا ثقتهم فيها، ويساندوا جهودها.

لم يتوقف عطاء هذه المرأة الفاضلة عند المكفوفين، فقد تبنت ورأست مؤسسة أخرى أسمتها (خذ بيدي)، وجهت نشاطها للصم والبكم، والمعاقين حركياً، إضافة إلى نشاطها في مساعدة الشباب على الزواج، وتقديم العون للمعسرين، وكفالة طالب العلم، وتقديم العون للأسر الفقيرة، ومن أعجب ما صنعته تبنيها لمشروع بناء بيوت للكفيفات الفقيرات، ليصبحن مصدر خير وسعادة لأسرهن، وهي سنة حسنة، يمكن أن تتوسع مستقبلاً بالدعم الرسمي والشعبي.

من حفل تأبين رائدة العمل الخيري الأستاذة فاطمة العاقل- رحمها الله

إن أهم ما أنجزته فاطمة العاقل، ذلك العمل المؤسسي الذي لم يتوقف بموتها، وذلك الجيش من العاملات معها، واللائي وهبن حياتهن لعمل الخير، والإحسان للناس، ورعاية المعاقات والمعاقين، وإن حبهن لها، ووفاءهن لأختهن الكريمة، أن سِرْنَ على طريقها، وقد غادرت دار الفناء، وانتقلت إلى دار البقاء.

رأست فاطمة العاقل عدة مراكز ومؤسسات يمنية تهتم بالمكفوفين والمعاقين، وكانت عضواً فاعلاً في مؤسسات واتحادات عربية ودولية تعنى بذوي الاحتياجات الخاصة، وكُرّمت وحصلت على عدة جوائز، لنشاطها المتميز في خدمة المجتمع، ورعاية ذوي الاحتياجات الخاصة.

كانت لها مشاركات في مجال رعاية المكفوفين والمعاقين، في الداخل والخارج؛ فشاركت في اللجنة التحضيرية للاتحاد اليمني للمعاقين، وهي عضو اتحاد المكفوفين للجنة الشرق الأوسط - الرياض، وعضو المنظمة العربية للمعاقين 1999م - بيروت، وشاركت في تأسيس هيئة التنسيق للمنظمات غير الحكومية لحقوق الطفل 1994م، وعضو في الاتحاد العالمي للمكفوفين استراليا 1993م، وعضو في منظمة التأهيل الدولي 2002م، وعضو في اتحاد آسيا للمكفوفين، الهند 2002م.

أن ينسى المرء نفسه، ويعيش لغيره، ويجنّد حياته لخدمة الآخرين، فذلك مقام رفيع، لا يقدر عليه إلا أصحاب الهمم العالية، والنفوس الكريمة، وقد كانت فاطمة واحدة من هؤلاء القمم السامقة، التي يندر أن يجود الزمان بمثلها، صبورة دؤوبة؛ لا تعرف الإحباط، سموحة لا تحمل الحقد والكراهية، رقيقة الإحساس؛ تدمع عيناها حين تطلّع على حالة فقير أو مريض أو معاق، لسانها لا يفتر عن ذكر الله، ولا تسمع منها إلا حديث الناصح الأمين، والموجه الحريص، والرائد المصلح، الذي لا يكذب أهله.

عانت الأستاذة فاطمة آخر حياتها من عدة أمراض، وأحبت لقاء الله فاختار الله لقاءها، وبشرّها برؤية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مرض موتها، وكأنها رسالة الرضى، ووسام النجاح الذي عملت له هذه المرأة العظيمة!

تلك هي الأستاذة المجاهدة فاطمة العاقل، (امرأة بأمة)، عملت ما تعجز عنه وزارات ومؤسسات وجماعات، فقد صنعت الفرحة لقطاع كبير من الذين ابتلاهم الله بفقد نعمة البصر أو السمع أو النطق، أو الإعاقة الحركية؛ فأحيت في نفوسهم الأمل، وأوقدت في عقولهم البصيرة، ولا غرو إن رأيناهم في جنازتها يتقاطرون زرافات ووحداناً، ذكوراً وإناثاً، راجلين أو فوق عربياتهم المدفوعة باليد، في مشهد مؤثر ومعبر، قلّ أن نشهده في الجنائز؛ يبكون أختهم الكبيرة، وأمهم الحنونة التي عاشت لهم، وبذلت حياتها من أجل إسعادهم!

رحمة الله تغشاك يا أم الضعفاء؛ فقد كنتِ مدرسة تعلم الأجيال التفاني والصبر، والصلاح والعزم، والجدّ والاجتهاد، وسيرتك دروسٌ عملية لا يجدها الطلاب والباحثون في الكتب والمراجع، ولا يستخلصها الدارسون في المعامل والمختبرات، عشت كريمة عظيمة، ورحلت طيبة متألقة، وارتقيت راضية محتسبة .

في مدينة عدن كان ميلاد الأستاذة فاطمة العاقل عام 1957م، ويوم الخميس 18من صفر 1433 هجرية، الموافق 12من يناير 2012م فاضت روح فاطمة العاقل إلى بارئها في مدينة القاهرة، بعد معاناة طويلة مع المرض، ونقل جثمانها الطاهر إلى صنعاء، لتدفن في مقبرة خزيمة، وتشيع في جنازة شعبية ورسمية كبيرة مشهودة، تليق بمكانتها وجهدها وتفانيها، تغشاها الله بشآبيب رحمته..

اللهم أكرم نزلها، ووسع مدخلها، وعوضها عن فقد بصرها، واعطها أجر الصابرين على ما بذلت وأعطت.

•~•~•~•~•~•~•~•

31

فيصل الضلعي الداعية الحكيم

(1370 - 1432هـ) (1951- 2011م)

فيصل بن عبد العزيز بن دحان بن أسعد الضِّلعي العلَم الشامخ، والداعية المجاهد، والأستاذ الفاضل، والسياسي البارع، والشيخ المتواضع.

كان رحمه الله سهلاً، ليناً، قريباً، دائم البشر، كثير التبسم، ينساب كالماء الزلال في تعامله مع الآخرين، يلقاك بوجه طلق، يحمل بين جنبيه عزيمة الأبطال، وشموخ الجبال، لا تزيده المحنة إلا صلابة، ولا النجاح إلا تواضعاً، تلمس في قلبه يقين المؤمن بنصر الله، وتأييده للحق وأهله، أما رؤيته للباطل، فسحابة صيف عن قريب تقشّع، لكنه يعلم أن لله سنناً لا تختلف؛ يدعو للأخذ بتلك السنن، وعدم التغافل عنها، وأن من العجز أن يطلب الكسالى المعجزات!

ميلاده عام 1951م في قرية بيت الضلعي، مديرية (عيال سريح)، محافظة عمران، في أسرة مشهورة، وقد ارتبط أجداده بالدولة، وشغلوا مناصب رفيعة فيها، وعمل والده مديراً لمنطقة الروضة، وبعد الثورة صار ضابطاً بالجيش.

بدأ فيصل تعليمه في كتّاب القرية، على يد الشيخ حسن راجح الضلعي، والأستاذ قاسم النونو، ثم انتقل مع أسرته إلى مدينة صنعاء، والتحق بالتعليم العام، واستفاد من كثير من العلماء والدعاة، ووسع ثقافته بالاطلاع والقراءة، ولاسيما كتب الثقافة الإسلامية، ونشأ وترعرع على الصلاح، وتربى على الإيمان والقيم الفاضلة، وآداب الإسلام وأخلاقه.

عمل في مصنع الغزل والنسيج بصنعاء، ثم عمل في المعاهد العلمية، وعين مديراً لمعهد الخَدِرَة العلمي، في جبل عيال يزيد بعمران، ثم انتخب أميناً عاماً لهيئة التطوير التعاوني في مديرية عيال سريح، ثم انتخب عضواً في مجلس النواب (دورة 1997م)، فكان خير من يمثل مواطنيه، وتبنى كثيراً من المشاريع الخدمية لدائرته، وحصل على عدد من الشهادات التقديرية.

بدأ نشاطه السياسي في الحزب الناصري، ثم شارك في تأسيس حزب المؤتمر الشعبي العام، قبل التعددية السياسية، وبعد تحقيق الوحدة اليمنية، كان واحداً من ثلاثة وستين عضوا، أسسوا حزب التجمع اليمني للإصلاح، وظل عضواً في مجلس شوراه حتى وفاته، وتم اختياره أمينا للمكتب التنفيذي للإصلاح بعمران 1997م، ثم رئيسا للمكتب 2010م.

كان داعية ربانياً بسلوكه قبل حديثه؛ فالدعوة إلى الله شغله وهمه، ومساعدة

الناس ديدنه ومتعته، شديد الحياء، كريم النفس، صادق في أقواله، حريص على اقتفاء سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، دائم الذكر، مداوم على قيام الليل، زاهد في الدنيا، شديد الورع في الأموال العامة أو الخاصة، وله في هذا قصص كثير، وعندما توفي لم يكن يملك سوى أربعين ألف ريال يمني (أقل من مائتى دولار)!

كان رحمه الله شخصية اجتماعية، تحظى بالاحترام والتقدير، لا يختلف في ذلك محبوه وشانئوه، لأنه ممن يرجى خيره، ويؤمن شره، إن لم ينفعك لا يضرك، ومن أهم سماته تواضعه الجمّ، ونسيانه لذاته، لا يحب الظهور، ولا يتسابق على الأضواء، مع أنه متحدث لبق، وخطيب مفوَّه، ومحاضر مؤثر، ومحاور حصيف، ترى الصدق في وجهه، وتلمح نور الإيمان من عينيه، وتتذوق حلاوة الحديث على لسانه.

كان الشيخ فيصل قائداً محنكًا، لكنه جنديٌ مطواع، يأمرك بتواضعه، ويأسرك بهدوئه، يدفعك للبذل والعطاء بتجرده وتضحيته، وإذا اجتمع مع الناس فإنه يكثر الاستماع، ويقلّ الكلام، حديثه مركّز، وعباراته منتقاة، صاحب رأي سديد، ونظرات ثاقبة، يتفحص القضايا ولا يتعجل، لا يسبح في الخيال، وإنما يحرص أن يكون واقعيًا وموضوعيا، لا يسخر من الآخرين، ولا يقلل من شأنهم، غير هياب ولا متهور، واثقا بنصر الله وحفظه لعباده المؤمنين، لا تهزه أعاصير الفتن، ولا يغرّه إقبال الزمان، ولا يثبطه انتفاش الباطل، فقد كان أحد حكماء اليمن، ورجالها الأوفياء، وأبنائها البررة.

والشيخ فيصل الضلعي مثالٌ للبرلماني المخلص، الذي يمثل شعبه خير

تمثيل، يدافع عن حريات الأمة وحقوقها، ويقف بقوة مع قضاياها العادلة، يقول الحق ولا يخشى في الله لومة لائم، يحترم زملاءه، ولا يهوّن من أطروحاتهم، ولذلك اكتسب احترامهم وتقديرهم.

وأما في دائرته فقد كان قريبا من إخوانه المواطنين؛ يسعى في خدمتهم، ولا يقصر معهم في واجب، وقد استطاع أن يوصل الكثير من الخدمات العامة لهم، ولم تنقطع صلته بهم بعد خروجه من البرلمان، وظهر حبهم له في ذلك الحشد المهيب في جنازته، وذلك البكاء والنحيب على فراقه.

سافرت مع الأخ فيصل- رحمه الله- إلى تركيا، وفي تلك الرحلة عرفت عنه ما كنت أجهله من زهد وورع وتواضع، وصبر جميل من دون شكوى، يحمل معه علاج السكر حيثما حل وارتحل، لكنه لا يشغل غيره بشأنه أو مرضه أو حاجته، إنه أشبه بنسمة عليلة، لا تكاد تحس بها، لا يبدر منه إلا الخير، ولا تتوقع منه غير الفضل، لا يحرص أن يكون في الواجهة، ولا يهتم بأن يتصدر الموقف، هو شاهد وغائب، كائن بحضوره، بائن بهواه ومصلحته.

وفيصل الضلعي أحد رجال الرعيل الأول من المربين، الذين حملوا على عاتقهم مهمة إعداد أجيال اليمن على الخير والصلاح، عاش لدينه ووطنه وشعبه، وخرج من الدنيا خفيف الحمل، طاهر اليد، عف اللسان، ليودع الحياة في محراب الإيمان، على منهج الرسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثباتا وصبرا وصلاحا حتى الرمق الأخير.

وفي الصحيح: **(ألا أخبركم بمن تحرم عليه النار غداً؟ على كل: هين.. لين..**

قريب.. سهل)، وكنا نرى الأستاذ فيصل الضلعي من هذا الطراز، ولا نزكي على الله أحدا.

عُرف عن فيصل الضلعي أنه كان باراً بوالديه، حريصاً على رضاهما، دائم البشر في وجهيهما، وذلك حاله مع أقاربه وأرحامه، وهو مثال لرب الأسرة الودود المشفق، القائم بحقوق جميع أفراد أسرته، بنى بيته على قواعد الإسلام وأخلاقه؛ فجعله سكناً للأرواح، ومأوى للأفئدة، ومنبعا للحب والتفاهم والتعاون، وقد ترك خلفه ثلاثة أولاد وسبع بنات، طبَعهم بسَمْتِه؛ فصاروا قرة عين أدباً وخلُقاً وسلوكاً.

وما أجمل حسن الختام، فقد قام في الثلث الأخير من الليل، فتوضأ وصلى، ودعا وابتهل، وأخذ يتلو القرآن ثم سكت، وعندما حان وقت الصلاة، جاء مرافقوه لإيقاظه، فوجدوه قد فارق الحياة قبيل صلاة فجر الاثنين الأول من جمادى الأولى سنة 1432هـ الموافق 2011/4/4م، ليلتحق بالرفيق الأعلى.

توفي في مدينة عمران، ودفن في مقبرة عمر بن عبد العزيز غربي الروضة بصنعاء، غفر الله له ورحمه، وتقبله في الصالحين، وحشره في المهديين، وجعله في عليين، وأسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•~•

محفوظ شمَّاخ حكيم التجار

(1358 - 1428هـ) (1940 - 2008م)

الشيخ محفوظ سالم محمد شماخ، شخصية مشهورة اجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، كان أحد كبار رجال الأعمال اليمنيين، وظل يحظى بالاحترام والتقدير على مستوى النخبة، وفي الوسط الشعبي، مثقف واسع الاطلاع، وكاتب مُجيد، وناقد منطقي وموضوعي، صاحب مواقف فكرية وسياسة مشهودة، عُرف ببعد النظر، وله رؤيته حول إصلاح الأوضاع العامة في البلاد، من الداعين إلى بناء الوطن على أساس من الحرية والعدل والمساواة، وحماية الحقوق، كما كانت له فلسفته الخاصة في الإحسان إلى الفقراء والمساكين، بعيداً عن الأضواء وحب الشهرة، وكان حريصاً على إقامة الصدقات الجارية، المتمثلة في تبني دور الأيتام، ورعاية المعاقين والمرضى النفسيين، إضافة إلى بناء المساجد، ودعم تعليم وحفظ القرآن الكريم.

ولد عام 1940م في مدينة شبام حضرموت، وبها نشأ، وفيها بدأ تعليمه الأولي، ثم انتقل بعدها إلى عدن، وواصل تعليمه في مدارسها، ثم درس في المعهد التجاري، وأجاد اللغتين العربية والإنجليزية، وظهرت اهتماماته الاجتماعية والسياسية منذ سني عمره المبكرة، فأسس نادي التعاون الثقافي الرياضي السياسي، في مسقط رأسه بشبام، وأسهم في إنشاء مستوصف شبام حضرموت، وبناء مدرسة للبنات.

وفي عدن أسس جمعية حضرموت التي اهتمت برعاية ومساعدة أبناء حضرموت، وقد تطور نشاطها في الأعمال الخيرية، وسميت بالجمعية الخيرية الحضرمية، وفي صنعاء والحديدة، ظل مرجعاً وملاذاً لأبناء المحافظات الجنوبية - وخصوصاً القادمين من حضرموت - حيث أسهم في رعايتهم، وتوفير فرص العمل لهم، وتسهيل إجراءات سفرهم إلى دول الجوار، للبحث عن مصادر للرزق.

كان رحمه الله من أهم الداعين لفعل الخير، وله إسهامات كبيرة في دعم دور الأيتام، وتأسيس الجمعيات الخيرية كجمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية، والمؤسسة الوطنية لمكافحة السرطان، وغيرهما من الجمعيات ذات النفع العام، وشارك في إنشاء دار الرعاية النفسية بصنعاء، وقام ببناء عدد من المساجد، منها مسجد الشيخ أحمد ياسين، في حيّ وادي الأعناب بأمانة العاصمة.

الاهتمامات السياسية نشأت مع الشيخ محفوظ شماخ، عندما كان طالباً في عدن، فقد كان يتردد على مقر الاتحاد اليمني، ويستمع إلى الرعيل الأول من رجال الثورة اليمنية، ومنهم الأستاذ أحمد محمد نعمان، والأستاذ قاسم غالب أحمد، والأستاذ زيد الموشكي، وقد انعكست تلك التربية والثقافة على حياته، حيث صار أحد السياسيين المشهورين، وقد عانى كثيراً، وتأثرت مصالحه التجارية بسبب مواقفه

السياسية، لكن ذلك لم يوهن من عزيمته، أو يحدّ من نشاطه.

بعد استقلال الشطر الجنوبي من اليمن، وتحرره من الاستعمار البريطاني، وبسبب التضييق الذي عانى منه التجار ورجال الأعمال حينذاك في عدن، انتقل إلى الشطر الشمالي، وبدأ تجارته بتصدير البن اليمني والجلود، ثم توسع نشاطه التجاري في أكثر من مجال، وصارت مجموعته وكيلاً لعدد من الشركات العالمية مثل (ديهاتسو) اليابانية، و(إل جي) الكورية، وعدداً من الشركات العالمية لتصنيع الأدوات المنزلية، واتسمت إدارته بالكفاءة والحزم والانضباط في المواعيد.

وعلى الرغم من مكانته التجارية كأحد رجال المال والأعمال المشهورين، إلا أن سَمْتَه المتواضع، ولباسه التقليدي البسيط، ظل مصاحباً له في كل مراحل حياته، حتى وفاته رحمه الله؛ كانت معه سيارة (بيجو) فرنسية موديل قديم، وكلما تقادمت أدخلها الورشة لإصلاحها وتجديدها، وكان يقول: لقد عمرناها حتى عادت جديدة، مع أنه قادر على اقتناء أحدث السيارات وأغلاها، أو على الأقل اقتناء سيارة جديدة من نوع السيارات التي هو وكيلها، لكنه كان يعتبر السيارة وسيلة للتنقل، لا للمظهر والتفاخر بين الناس.

يُعَد الشيخ محفوظ من الرواد المؤسسين للنشاط التجاري في اليمن، منذ ما بعد منتصف القرن العشرين الميلادي، وهو نائب رئيس مجلس إدارة مجموعة شماخ التجارية، وتم انتخابه رئيساً للغرفة التجارية والصناعية بصنعاء، وكانت له مواقف قوية ضد سياسات الحكومة، التي كان يرى أنها تعيق الاستثمار، وتضع العراقيل أمام النهوض الاقتصادي، ووصل الأمر به إلى مقاضاة الحكومة في الدائرة الدستورية بالمحكمة العليا حول قانون ضريبة المبيعات، التي رأى أنها مجحفة على المواطن والتاجر معاً.

أسهم الشيخ محفوظ شماخ في تعزيز دور القطاع الخاص في التنمية، وعمل على بناء الشراكة مع القطاع العام بما يخدم المصلحة العامة، وشارك في تعزيز علاقات اليمن الاقتصادية مع المنظمات العربية والإقليمية والدولية.

كان شماخ أنموذجا لرجل الأعمال الحريص على حمل هموم وطنه وقضاياه، وكان علماً بارزاً تتسم مواقفه بالجرأة والقوة، ومحاربة الفساد المالي والإداري، وقد ظل عضواً في الهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح، أكبر أحزاب المعارضة حينذاك، بينما فضل الكثير من رجال الأعمال الانضمام للحزب الحاكم، أو البقاء كمستقلين، حفاظاً على مصالحهم، التي غالباً ما تتضرر لمعارضتها النظام الحاكم.

الزائر للشيخ محفوظ شماخ في مكتبه أو منزله، لا يخرج من دون فائدة، وأجمل الفوائد تلك الحكم والعِبَر التي يقولها لضيوفه بانسيابية وبلا تكلف، وأتذكر من ذلك أنه حدثني عن أهمية تنمية الثقافة الاقتصادية، وتربية أفراد الأسرة عليها، وضرب مثلاً بالمرأة الحضرمية التي كانت تدخر من قوت الأسرة، فتأخذ ملء كفها من الطحين المخصص لكل يوم، وتضعه في وعاء خاص، فيتجمع منه ما يكفي خبزاً ليومين أو ثلاثة في الشهر!

في إحدى زياراتي له في مكتبه، كان بابه مزدحماً بالمساكين، فسألته كيف تعرف المحتاج من غيره؟ قال: جعل الله للسائل حقاً فقال: « **والذين في أموالهم حقٌ معلوم للسائل والمحروم** »، وليس علينا أن نتتبع حالة السائل، ثم حكى لي قصة سائل كان يتردد عليه، فكان يعطيه وهو يعلم أنه يشرب الخمر، وذات مرة قال لذلك المسكين: سأزيد لك العطاء ولكن بشرط أن تخصص جزءاً منه لأهلك وأولادك، فأخذ الرجل المبلغ ثم انقطع عن التردد عليه، ومرت الأيام وخرج الشيخ محفوظ للصلاة في مسجد

بحارة نائية في صنعاء، فإذا برجل في الصف الأول عليه سيماء الفضل والصلاح، جاء ليسلم عليه، ويسأل إن كان الشيخ محفوظ يعرفه، فلم يتذكر، فقال له: أنا ذلك السائل الذي كنت أتردد عليك، وقد أثّرت كلماتك في نفسي وقلت: الناس يتسابقون في فعل الخير، وأنا أمارس المنكر، فتبت إلى الله، وتركت ما كنت فيه، والحمد لله، وكان شماخ رحمه الله، يستدل بذلك على أن فعل الخير، يأتي بنتائج غير محسوبة ولا متوقعة.

شماخ صديق الفقراء والمساكين؛ يدخلون عليه فيستمع إليهم، ويسأل عن أحوالهم وأسرهم، يشعرهم بالقرب والعطف والحنان، يعاملهم كالوالد الحريص على أولاده، ولا يخرجون من لديه إلا وقد أدخل السرور إلى نفوسهم، وقد حضرت بعض مواقف له في مكتبه مع بعض المساكين، الذين يترددون عليه، وعجبت من إنصاته لهم، وسؤاله عن بعض أفراد أسرهم.

كان - رحمه الله تعالى - في اجتماعه بالدعاة والوعاظ، يحث على اللّين والرفق، ويدعو إلى التذكير بالآداب العامة، والأخلاق الحسنة، والتركيز على معاني الإيمان بالله والخوف منه، من أجل أن تستقيم حياة الناس، ويبتعدوا عن المظالم والعدوان على غيرهم.

لقد كان محفوظ شماخ رجلاً عظيماً؛ جمع بين السياسة والحكمة والتجارة، ويُعتبر خير مثال لرجل المال والأعمال الناجح، الحريص على حمل هموم شعبه وقضايا وطنه، واستحق بجدارة أن يطلق عليه وصف حكيم وشيخ التجار في اليمن.

ولد محفوظ بن سالم محمد شماخ بحضرموت في 15 من سبتمبر عام 1940م، وتوفي يوم الثلاثاء 23 من ذي الحجة 1428 هجرية الموافق الأول من يناير 2008

ميلادية، خلف أربعة أولاد وثلاث بنات، وشيع جثمانه في موكب جنائزي كبير، شارك فيه أحبابه وأصدقاؤه وكبار مسؤولي الدولة، وكذا محبوه من الفقراء والمساكين، ووُري جثمانه الثرىٰ - جوار والدته - في مقبرة عشة الرعدي وسط صنعاء، وشيّعه، وبكىٰ عليه الفقراء والمساكين قبل الأهل والأقربين، رحمه الله وأسكنه جنات النعيم، ورضي عنه وأرضاه.

•~•~•~•~•~•~•~•

محمد دماج رجل الدولة المحنك

(1353 - 1440هـ) (1934 - 2018م)

محمد بن حسن بن قائد دماج الشيخ الحكيم، ورجل الدولة المحنك، مناضل جسور، وداعية مجاهد، حياته حافلة بالعطاء، مليئة بالإنجاز، مفعمة بحب الوطن والناس، كان قوي الإيمان، نافذ البصيرة، يعني ما يقول وما يفعل، ولا تزيده الخطوب إلا صبراً وثباتاً.

كان - رحمه الله – ظريفاً، سمحاً، متواضعاً، خدوماً، متعدد المواهب، مسارعاً في الخيرات، خبيراً بالأعراف والأسلاف القبلية، والعادات والتقاليد الحميدة، مُلماً بأسماء مدن وقرى اليمن، وسهولها وجبالها ووديانها، وله حافظة بالقبائل وتفرعاتها، وهو أيضاً صاحب حجة وحكمة ورجاحة عقل.

ولد عام 1938م في قرية سنب، مخلاف صهبان، مديرية السياني، محافظة إب، من أسرة بيت دماج، الذين انتقلوا من (برط) إلى (إب)، مطلع القرن التاسع عشر الميلادي.

تعلم القرآن الكريم، والتجويد، واللغة العربية، على يد أخيه أحمد حسن دماج، ودرس عند العلامة أحمد إسماعيل ناصر، والعلامة قاسم حسن، والأستاذ أحمد علي الراشدي، وقد وسّع ثقافته بالقراءة والاطلاع، وكانت مجالسه لا تخلو من قراءة كتب التفسير والحديث، والأدب والتاريخ، والثقافة الإسلامية.

كانت بدايات نشأته الطيبة، وتربيته الصالحة، مؤشراً لحياته وخاتمته، فقد كان قريباً من العلماء والدعاة، وعندما نزل الأستاذ عبده محمد المخلافي - رحمه الله - في قرية العداري، ضيفاً على الأستاذ أحمد عبد الله شملان، اصطحبه إلى منزل الشيخ أحمد حسن دماج في قرية سنب، فتعرف على أخيه محمد الذي كان في مقتبل العمر، فرأى فيه علامات النبوغ، فقال: هذا مكانه في المدينة وليس في القرية.

كانت تلك المقابلة بداية انطلاقة الشيخ محمد دماج، في مجال التعليم والدعوة، والفكر والسياسة، فانتقل إلى مدينة تعز، وتفتحت أمامه آفاق جديدة، وكان يتردد على الدعاة ومجالس العلماء، كمجلس الأستاذ العزي شملان السماوي رحمه الله.

نشأ على كراهية الظلم، وانتقاد الذين يستخدمون نفوذهم لقهر الضعفاء واستغلالهم، ودفعه هذا لانتقاد السجون الخاصة، وكان يرى بأن الدولة، هي المرجعية التي لها حق الضبط والبت في قضايا المواطنين.

الذكاء والنباهة والإلمام المعرفي، جعله علماً لا تخطئه العين، حتى صار شيخ

القبيلة الفطِن، والكفؤ الذي يحسن تمثيل الدولة، وهو إلى ذلك شهم كريم، صاحب حمية ومروءة، ودود إذا اقتربت منه، ناصح إذا طلبت مشورته، ذو نجدة لمن استعان به، غيور على دينه ووطنه، وأنعم به من شيخ عشيرة، الأقرب إلى مواطنيه، وخير من يتحدث عن همومهم وحاجاتهم، ولم تزده المناصب والمواقع القيادية - التي تبوّأها - إلا تواضعاً.

ما كان أروع مجالسته! وما أحلى مذاكرته! وما أطيب مجاورته! فقد كان خفيف الظِّل، لطيف المعشر، عذب الحديث، صاحب دُعابة، يقرئ الضيف، ويجود بما في يديه، عرفته عن قرب في السفر والحضر، جالسته في القاهرة وقد جاء في مهمة رسمية، فلم يختلف سلوكه، ولا يتعامل إلا بسجيته الريفية السمحة، ورافقته في مكة حين قدِم معتمراً، فرأيته مجتهداً في الصلاة والذكر وتلاوة القرآن، ولا أزكي على الله أحداً.

في سبعينيات القرن العشرين، كان أحد أعمدة وقيادات هيئات التعاون الأهلي للتطوير، والتي حملت على كاهلها إنجاز الكثير من المشروعات التنموية والخدمية، عندما كانت الدولة تعاني شُحّ الإمكانات، وقد شارك بفعالية في مؤتمرات الحركة التعاونية وتطوير أنظمتها، وجهوده في هذا الميدان - مع غيره من المؤسسين - ظلت شاهداً على ذلك العطاء، الذي عم خيره ونفعه اليمن في الريف والمدن.

ولنشاطه وكفاءته تم اختياره عضواً في هيئة التعاون الأهلي بمحافظة إب، ثم صار رئيسا لهيئة التعاون بالمحافظة، وشارك في إنشاء الاتحاد العام لهيئات التعاون الأهلي، وانتخب أميناً عاماً مساعداً للاتحاد.

وكان له حضور وتأثير عند المشايخ والوجهاء والأعيان؛ فلا تكاد تخلو منه مجالس الاجتماعات المشهورة، كمجلس الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر رحمه الله، وغيره من كبار مشايخ اليمن، ولاسيما في المواقف الكبيرة، والحوادث التي يتداعى لها ذوو الرأي، وأهل الحل والعقد.

وفي العمل البرلماني، كان صاحب حركة دؤوبة، وتأثير فاعل، وعزيمة لا تعرف اليأس والملل، عين عضواً في مجلس الشعب التأسيسي 1978م؛ فكان مبادراً وحصيفاً، ومثّل ثنائياً متكاملاً مع رفيق دربه الأستاذ عبد السلام العنسي رحمهما الله، ثم عين عضواً في المجلس الاستشاري عام 1997م، ثم عام 2001م، وعين عضواً في مجلس الشورى عام 2014م حتى وفاته، فلم يكن مجرد رقم مضاف، بل أحد الأعضاء الفاعلين والمؤثرين في الرأي والقرار.

لقد كان لافتاً تكليفه بوظائف ومهمات كثيرة، وكأن المناصب الرسمية كانت تتوق إليه، ولم يطلبها أو يحرص عليها، لكنه ملأ الكراسي التي قعد عليها: محافظاً لذمار 1976، ثم محافظاً لصعدة 1979م، فالمحويت 1983م، والبيضاء 1984م، وصنعاء 1988م، والمهرة 1992، وعمران 2012م، وتم تعيينه وزيرًا للإدارة المحلية مرتين عام 1993م، وعام 1994م.

تم اختياره نائبا لرئيس اللجنة العليا للانتخابات عام 1997م، وهي اللجنة التي أدارت الانتخابات الرئاسية عام 1999م، والمحلية عام 2001م، فأبلى بلاء حسنا، وتعرض لضغوط شديدة ليسكت عن التجاوزات التي حدثت، لكنه ظل كالطود الشامخ، يصرح بما يعتقد، لا يغريه الترغيب، ولا يخيفه الترهيب.

وفي العمل السياسي، ما كان للشيخ المحبوب إلا أن يتصدر المشاهد والمواقف، فعند تأسيس حزب المؤتمر الشعبي العام سنة 1982م، وانتخاب أعضاء اللجنة الدائمة، حصل على أعلى الأصوات، ودفع ضريبة كبيرة لهذه الثقة التي منحها إياه أعضاء المؤتمر العام، حيث لفت إليه الأنظار، وكثيراً ما يكون المبرّزون في مرمى الحساد، وضعاف النفوس.

وجاءت التعددية السياسية بعد تحقيق الوحدة اليمنية، فكان أحد مؤسسي التجمع اليمني للإصلاح، وفاز بعضوية مجلس شوراه، وتم اختياره عضواً في الهيئة العليا للإصلاح حتى وفاته، وظل صاحب الآراء السديدة، والنظرات البعيدة؛ حريصا على المصالح العليا للوطن، وباحثا عن الحلول للمعضلات المعقّدة، ولديه مرونة في التعاطي مع القضايا الخلافية، من غير خوَر أو تهور، كما تم اختياره أميناً عاماً لمجلس التضامن الوطني.

وعندما بدأ تمدد جماعة الحوثي نحو محافظة عمران، طالبوا بتغييره، فسارع بتقديم استقالته لرئيس الجمهورية، حتى لا يترك مبرراً للفوضى، وإسقاط مؤسسات الدولة، ولكن الرئيس لم يقبل استقالته، إلا بعد أن وقع الفأس في الرأس، وتغلبت الحسابات الخاطئة على المصلحة الوطنية، فتجرع اليمنيون المرارة بسبب الانقلاب على الدولة، والسيطرة بالقوة والعنف على مقدراتها ومؤسساتها، ومصادرة الحريات، وانتهاك الحقوق، لتدخل اليمن في دوامة العنف، الذي ذاق منه الشعب اليمني العلقم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

عُرف الشيخ محمد دماج محباً لوطنه، يفديه بروحه وماله وما يملك، وكان شجاعاً لا يهاب المنايا، فقد شارك في فكّ حصار القوات الملكية لصنعاء، خلال حرب

السبعين يوماً، حيث كان برفقة الشيخ مطيع دماج أحد كبار مناضلي الثورة اليمنية، وفي حرب 1979م بين دولتي الشطرين، كان في جبهة قعطبة، ضمن الجيش الشعبي المساند للدولة، وقد استهدفت المدرسة التي كان يتخذها مقراً للمجاميع التي معه، حيث قصفتها الطائرة واستشهد عدد ممن كانوا فيها، أما هو فقد كان خارج المدرسة تلك اللحظة، وكان هو المقصود بذلك القصف.

في عام 1982م كانت الجبهة الوطنية - المدعومة من النظام الاشتراكي في عدن - قد حاولت السيطرة على بعض مديريات محافظة إب، فقام بتجميع المواطنين المعارضين لتخريب مناطقهم، وجمعهم في مديرية السبرة، لمواجهة أولئك الذين كان يطلق عليهم (المخربون)، حتى تم دحرهم وتجنيب المحافظة الفوضى والانفلات.

وفي حرب الانفصال 1994م، كان وزيراً للإدارة المحلية، فترك كرسي الوزارة، وانطلق إلى محافظة شبوة، والحرب على أشدها، فسقط صاروخ على سيارته التي تطايرت قطعاً، لكن الله حفظه ونجّاه، حيث كان قد خرج من السيارة قبل وصول القذيفة بدقائق، واستشهد ممن كانوا معه الأستاذ عبد الله صالح با حاج، والأستاذ فضل علي الحلالي، وآخرون رحمهم الله.

كان الشيخ محمد حسن دماج سهلاً قريباً، لا يقيم حواجز بينه وبين عامة الناس، قلبه معلقٌ بالمسجد، وبعد أن انتقل سكنه إلى منطقة الروضة بني الحارث، كان يداوم على الصلاة وقراءة القرآن في مسجد عمر بن عبد العزيز، غربي الروضة، يصغي لمن يتكلم معه من المصلين، ويصطحب إلى مائدته من يتوسم فيه الخير والصلاح، من عامة الناس أو خاصتهم، وفي منزله الجميع على قدم المساواة في الإكرام والاحترام.

ولابد لي أن أذكر هنا شيئاً لا يتوقعه الكثيرون، وربما لا يصدقونه عن الشيخ محمد دماج رحمه الله، فقد كانت تمرّ به ظروف صعبة لا يجد فيها ما ينفقه على أهله وضيوفه، فيضطر أن يقترض قيمة المصروف الضروري للبيت، بينما ينظر الناس إلى قَيَافَته وجنبيته وسيارته ومرافقيه، فيظنونه مليئاً، تجري النقود بين يديه!

وفي أعمال الخير، كان له نصيب وافر من خلال دعمه للجمعيات والمؤسسات، التي ترعى الأيتام والفقراء والمساكين، أو تلك التي تهتم بتعليم القرآن الكريم والسنة النبوية وعلومهما، وهو من مؤسسي الجمعية الخيرية لتعليم القرآن الكريم، وتم انتخابه رئيسًا لفرع الجمعية في محافظة صنعاء، فأعطى الجمعية الكثير من وقته وجهده.

الحديث عن الشيخ دماج متعدد الجوانب، لكني أذكر له خاتمة الصبر والثبات، ورباطة الجأش؛ فحياته الحافلة بالخير والعطاء، جعلته مستحِقاً للتكريم والاحترام، وليس للسجن والإهانة، ولكن سوء التقدير، وعدم التوفيق، جعل الحوثيين - بعد دخولهم صنعاء - يخطفون الشيخ الوقور- وقد جاوز الثمانين من عمره - ليقذفوا به في غياهب السجون السرية، وعرّضوا حياته للخطر، وأخفوه عن أهله وأولاده، وماتت زوجته وهو في السجن، ولم يتمكن من تشييع جنازتها، ومن المفارقات، أن الدكتور فتحي العزب -بعد الإفراج عنه- يحكي أنه التقى الشيخ دماج في أحد السجون بعد أشهر من اعتقالهما، فوجده جبلاً راسياً، باسماً ضاحكاً، وإذا به يبادر بالتسرية عنه، والتخفيف من معاناته بالدُّعابة والنكتة، ولم يشكو أحزانه وألامه ومرضه وما تعرض له، بل كان من أكثر المعتقلين ثباتاً وصبراً وجلَداً، وكأنه لم يحدث له أي أذى أو مضايقات خلال فترة الاعتقال!

تشييع مهيب لجنازة الشيخ محمد حسن دماج - رحمه الله

هكذا شاءت الأقدار أن يطوى محمد دماج أيامه الأخيرة بين سجن وإخفاء، ومحنة وابتلاء، لأنه أبى الدنية في دينه، ولم يجامل أو يداهن أو يسترحم، ولم يدب إلى نفسه الوهن والضعف، فتسنّم شرفاً إضافياً، ونال وساماً مستحقاً، وما هي إلا فترة وجيزة بعد خروجه من السجن، وإذا به يسلم الروح لباريها، ولسان حاله يقول:

إلى الديان يوم الدين نمضي ..... وعند الله تجتمع الخصوم!

ولد محمد بن حسن دماج عام 1353هـ، 1938م في محافظة إب، وتوفي في 1440/4/12هـ الموافق 2018/12/19م، وخلف تسعة أولاد، وإحدى عشرة بنتاً، ودفن جوار منزله بصنعاء، رحمه الله تعالى وكتب أجره، ورفع قدره في عليين.

•~•~•~•~•~•~•

محمد القاضي البرلماني الشهم المتألق

(1387 - 1436هـ) (1968 - 2015م)

الأستاذ محمد عبد اللاه محمد القاضي، من مواليد قرية بيت الأحمر مديرية سنحان، محافظة صنعاء، نشأ في أسرة ميسورة قريبة من رئيس الدولة، فأبوه قائد عسكري كبير، وتربطه صلة قرابة بعلي عبد الله صالح، رئيس الجمهورية، أما جد أبيه، فقد كان فقيهاً عالماً، اشتغل بالقضاء، ومنه أخذت الأسرة لقب (القاضي).

وبينما اتجه أكثر أقرانه نحو الجانب العسكري والتحقوا بالقوات المسلحة؛ فإنه اختار طريق التعليم العام، فدرس حتى أكمل الثانوية، ثم انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية فواصل الدراسة إلى أن أكمل الماجستير في إدارة الأعمال.

لم ينبهر الطالب القادم من اليمن بقشور المدنية الغربية، بل ابتعد عن مسالك

الانحراف، واتصل بالدعاة إلى الله، وصحب الشباب المسلم الملتزم في المؤسسات التعليمية التي درس فيها، وما لبث أن أصبح خطيباً وإمام مسجد في مدينة (سياتل)، المدينة المطلة على المحيط الهادي، واكتسب ثقافة إسلامية واسعة، وحمل رسالة الدعوة إلى الله، وأسلم على يديه كثيرون، وكان يستضيف في مسجده أشهر الدعاة، من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، وقد كان رحمه الله عضواً فاعلاً في العديد من الجمعيات الخيرية، التي تقدم خدماتها للكثير من شرائح المجتمع، وكان من العاملين الناشطين في المركز الإسلامي بولاية واشنطن، غرب الولايات المتحدة الأمريكية.

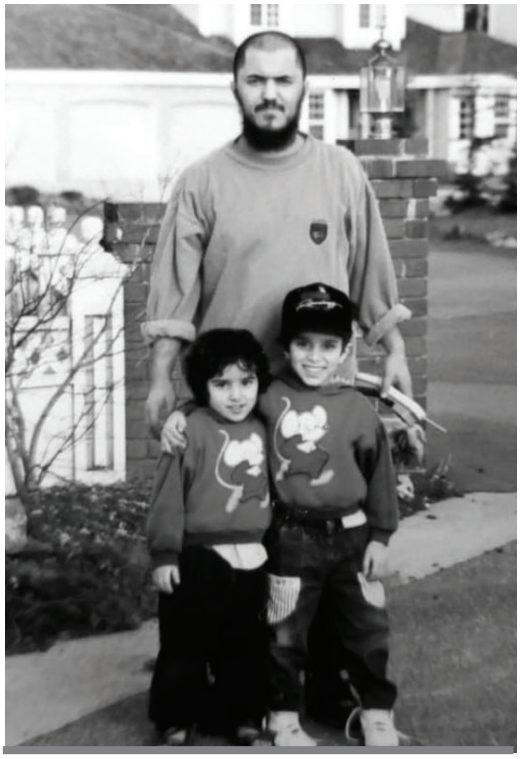

محمد عبد اللاه القاضي مع ولديه في مدينة سياتل بأمريكا

كان الأستاذ القاضي كتلة من الأخلاق الفاضلة، والأدب الجم، وحسن التعامل مع من يعرف ومن لا يعرف، شديد الحياء، صاحب حلم وعفو وكتم للغيظ، حمل هموم وطنه ومواطنيه، وعمل بكل جد ليرى بلده متعافياً قوياً عزيزاً، يتفاعل مع القضايا الوطنية والعربية، وخاصة ما يتعلق بكفاح الشعب الفلسطيني،

ونضال الشعوب من أجل الحرية والكرامة، يدل على ذلك منشوراته على صفحته في الفيسبوك، التي دون فيها آراءه في تلك القضايا.

عُرف عن الأستاذ محمد عبد اللاه حرصه الشديد على التقريب بين فرقاء العمل السياسي، وعلى قول ما يراه صحيحاً بصدق وإخلاص، ولم يبخل بالنصح للرئيس السابق علي عبدالله صالح، ولصلة قرابته به، فقد كان يحمل إليه تطلعات الشباب وآمالهم, وكثيراً ما كان يصطحب بعضهم إليه ليستمع منهم مباشرة، ولذلك انحاز لمطالب ثورة الشباب في 2011م، ودفع ثمناً غالياً لذلك الموقف، حيث تعرض للمضايقة والاستهداف المباشر والحصار، فاضطر إلى الخروج إلى قريته في سنحان، ومكث فيها قرابة العام.

محمد القاضي شخصية اجتماعية وسياسية جامعة، عمل على حل الكثير من النزاعات القبلية، وكثيراً ما كان يتحمل دفع الديات من ماله، إسهاماً في رأب الصدع، وإطفاء نيران الثارات، وكان يحرص على تفقد أحوال الشخصيات الاجتماعية الذين أهملتهم الدولة، ويوصل حاجاتهم إلى رئيس الجمهورية أو الحكومة، أو يشرح أوضاعهم للتجار لمساعدتهم.

ظل قريبا من مواطني الحي الذي يسكنه، وكان يقيم الاعتكاف السنوي في مسجد الخرابة بالحصبة الذي لا يبعد كثيراً عن بيته، وعرف عنه المسارعة إلى فعل الخير؛ يعطي المحتاجين، ويساعد المرضى، ويدعم بسخاء الجمعيات الخيرية، ويستجيب لوسطاء الخير من دون تمييز أو اعتبار لانتماءاتهم.

تولى محمد القاضي عدة أعمال في وزارة التجارة والصناعة، والشركة اليمنية

للأدوية، وكان عضو مجلس إدارة في عدد من المؤسسات التجارية والخيرية، ورئيساً فخرياً لعدد من الأندية الرياضية، ومن الناحية السياسية فقد كان عضواً في اللجنة الدائمة للمؤتمر الشعبي العام، ثم عضو اللجنة العامة، أعلى هيئة قيادية في حزب المؤتمر الحاكم، وهو مع ذلك لم يكن متعصباً، ولا منغلقاً على حزبه، فقد تم اختياره رئيسا لمجلس شورى مجلس التضامن الوطني.

لمع نجم الأستاذ محمد القاضي من خلال نشاطه الرياضي كرئيس للاتحاد اليمني لكرة القدم، وفي فترته وصل فريق اليمن لكرة القدم للناشئين إلى نهائي كأس العالم عام 2003م، وبنشاطه وعلاقاته الواسعة، تم بناء العديد من المنشآت التي تخدم الرياضة والرياضيين، وفي عام 2003م، تم انتخابه عضوًا في مجلس النواب عن الدائرة 17 بأمانة العاصمة.

عرفت الأستاذ محمد عبد اللاه القاضي في مجلس النواب، متميزاً في أدائه البرلماني، وفي عمله كمقرر للجنة النفط والتنمية، يحظى بتقدير هيئة رئاسة المجلس، واحترام زملائه أعضاء المجلس، وعلى الرغم من أنه قليل الكلام، لكنه إذا تحدث أسمع، وإذا انتقد أوجع، كلمته مسموعة، وآراؤه مسدّدة، وصراحته مشهودة، واشتركت معه في لجان خاصة، فكان فاعلاً متوازناً، حريصاً على تحري الحقيقة، ولا يخضع لأي ضغوط من أي جهة.

كانت له مواقف شجاعة ضد الفساد؛ فقد تصدى مع زملائه في لجنة التنمية والنفط لصفقة بيع الغاز لكوريا، التي بخست حق اليمن بصورة فجة، ووقف ضد التمديد لشركة هنت، التي آلت بعدها للإدارة اليمنية، ولم يمنعه انتماؤه للحزب

الحاكم، من أن يقف ضد حكومته.

كان رحمه الله ودوداً متواضعاً، ولا يتحرج عن التراجع عن رأيه، إذا اتضح له أن الصواب في الرأي الآخر، كما إنه لا يحمل الحقد والضغينة على من يختلف معهم، ويستمر في وصل حبال المودة معهم.

ومن الناحية الأسرية، كان باراً بوالديه، حادباً على أهله وأولاده وإخوانه، ويعدونه الأب الروحي لأسرته، وله تأثير على شباب سنحان وبني بهلول، وظل ديوانه ملتقىً ثقافياً للشباب، والشخصيات الاجتماعية التي تتردد عليه.

رحل القاضي وهو ما زال في قمة العطاء، وكمال الرجولة، وبرحيله المبكر فقدت اليمن قامة وطنية؛ وشخصية كان يُنتظَر له مستقبل زاهر، يسهم فيه بالعطاء والبناء.. تغمده الله بواسع رحمته، وتقبله في الصالحين، وحشره في المهديين.

ولد الأستاذ محمد عبد اللاه محمد القاضي في محافظة صنعاء في 1968/9/26م، وتوفي بمدينة صنعاء في 1436/3/18م، 2015/1/9 م مخلفاً ستة أولاد، ووري جثمانه الثرى في مقبرة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر خلف دار الرئاسة.

•~•~•~•~•~•~•~•

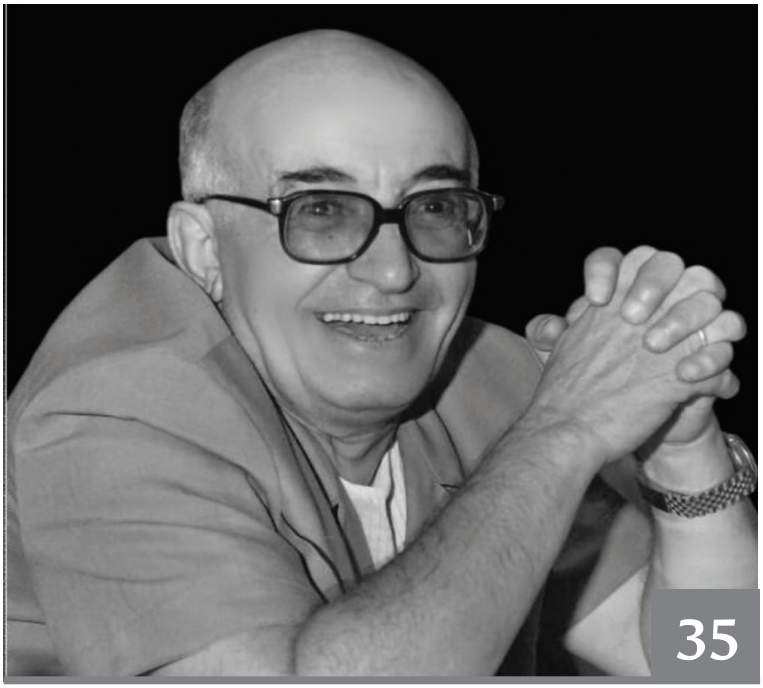

محمد جباري رجل الاقتصاد والسياسة

(1350 - 1431هـ) (1931 - 2009م)

الأستاذ محمد بن عبدالوهاب بن ناجي جباري رجلٌ مباركٌ، يذكرنا بالصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنه - الذي قيل عنه: لو رفع حجراً، لوجد تحتها ذهباً، فقد كان الخير والرزق والبركة، تسير في ركاب الأستاذ جباري حيثما حلّ وارتحل، أخبرني أنه في إحدى زياراته للأردن دخل سوق البورصة، وحقق ربحاً خلال فترة زيارته القصيرة غطى تكاليف رحلته.

ويذكر عنه الحاج عبد الواسع هائل سعيد، أنه تولى إدارة مزرعة مجموعة بيت هائل في سردود، بمحافظة الحديدة لستة أشهر، فزاد إنتاجها؛ فقد أعطاها جهده، وكان يعمل فيها بيده، وعندما غادرها بكى على فراقه عمال المزرعة، لحسن إدارته،

ورقي تعامله، وتودده إليهم؛ فقد كان قريباً منهم، يرعاهم، ويأكل معهم في مائدة واحدة.

كان للأستاذ جباري حسٌّ اقتصادي بدهي، يستشرف من خلاله المستقبل، وعلى سبيل المثال فقد دعا للاستثمار في إنشاء صالات الأفراح والمناسبات، عندما كان الناس يقيمون مناسباتهم في منازلهم، أو يتوسعون عند جيرانهم، وقد أصبحت القاعات اليوم تملأ جميع المدن اليمنية، وبسعة ومواصفات وأسعار، تناسب كل فئات المجتمع، وتقدم خدمة للمجتمع، وتدرّ أرباحاً على أصحابها.

ظهرت علامات النجابة على جباري منذ كان فتىً صغيراً، وقد عانى من اليتم في مقتبل عمره، حيث توفي والداه قبل أن يبلغ السادسة، وبدأ تعليمه في المدرسة الشمسية المشهورة بذمار، ثم يمم وجهه نحو مدينة جبلة إحدى مدن العلم المشهورة في اليمن، ودرس على يد كبار علمائها، ومن جبلة انتقل إلى صنعاء، فالتحق بالمدرسة العلمية أعلى المؤسسات التعليمية في اليمن وقتها، ودرس فيها ست سنوات، لكنها لم تُشبِعْ نهْمته، فغادر إلى مصر، واستطاع أن يكمل المراحل الدراسية الابتدائية والإعدادية والثانوية، خلال عامين دراسيين فقط، ثم التحق بكلية التجارة بجامعة عين شمس بالقاهرة، وحصل منها على بكالوريوس في العلوم السياسية والاقتصاد عام 1959م، كما حصل على ليسانس في الحقوق.

في أثناء دراسته في جبلة وصنعاء والقاهرة، كان أخاً حانياً لزملائه الطلاب - لاسيما الجدد منهم - يستقبلهم عند وصولهم، ويأخذهم إلى سكنه، حتى يبحث لهم عن سكن مناسب، يدلهم على طرق الالتحاق بالمدارس أو الجامعات، يساعدهم في استيعاب وهضم المواد الحديثة، التي لم يسبق أن درسوها من قبل، يشهد له بهذا كثيرون، منهم القيادي الاشتراكي الأستاذ يحيى محمد الشامي، والدكتور محمد عبد

الملك المتوكل الأستاذ بجامعة صنعاء، والدكتور عباس زبارة، حيث قدم لهم خدماته خلال فترة دراستهم.

كان جباري شخصية جامعة، يحب جميع الناس، ويخدمهم بغض النظر عن توجهاتهم السياسية، أو مناطقهم الجغرافية، وأثناء دراسته في القاهرة، ظل يستقبل الزائرين من المسؤولين أو المرضى وغيرهم، ويقدم لهم النصح والمشورة، لإنجاز الغرض الذي جاؤوا من أجله، وكان زملاؤه الطلاب يثقون به، ولهذا أوفدوه لمقابلة الإمام أحمد حميد الدين، ليعرض عليه مطالبهم في تحسين أحوالهم الدراسية والمعيشة، وكان نِعْم الممثل لهم، فقد مكث عامًا كاملا في مدينة تعز يتابع قضيتهم، ولم يعد إلا بعد أن استجاب الإمام لمطالبهم.

أطلق كثيرون على الأستاذ محمد عبد الوهاب جباري وصف (رجل الاقتصاد والسياسة)، وحظي بتقدير واحترام القادة والساسة، والاقتصاديين ورجال الأعمال؛ يستشيرونه، ويستعينون بآرائه، فهو أحد أعلام اليمن، الذين كان لهم إسهام كبير في بناء المؤسسات الاقتصادية اليمنية العملاقة، التي ظلت ترفد الاقتصاد اليمني، وتشارك بفعالية في التنمية الشاملة.

المؤسسات والشركات التي أسسها - مع بعض رجال الأعمال - كثيرة، وقد نجحت وتعملقت، منها شركة الكهرباء في تعز، وشركة الخطوط الجوية اليمنية، وشركة التبغ والكبريت الوطنية، والشركة اليمنية للتجارة الخارجية والحبوب، وشركة الأدوية، وشركة المحروقات اليمنية، وشركة المخا الزراعية، والشركة اليمنية للاستثمار والتمويل، إضافة لإنشاء أول مجموعة من الفنادق العالمية باليمن مثل شيراتون صنعاء، ورمادا حدة، كما أسهم في إنشاء المدن السكنية الحديثة، كمدينة حدة

السكنية، والمدينة السكنية بمنطقة شيراتون.

كان جباري يُسَمّى: أبو البنوك؛ فقد تبنى - مع آخرين - تأسيس البنك اليمني للإنشاء والتعمير، الذي كان - حينها - الممول الرئيس للقطاع العام والخاص، في تنفيذ مختلف المشاريع خلال حقبة ستينيات القرن العشرين، وأسهم في إنشاء البنك المركزي اليمني - بنك الدولة الرئيس - والبنك الصناعي، وبنك اليمن والكويت، وظلت في نفسه الرغبة بإنشاء بنك إسلامي، لاقتناعه بأهمية البنوك الإسلامية، وقدرتها على استيعاب مدخرات اليمنيين، وتوظيفها في المجال الاستثماري، وكان يصرح بأنه يريد

الأستاذ محمد جباري مع الرئيس علي عبدالله صالح والشيخ عبدالله بن حسين الأحمر والشيخ ناجي الشايف والشيخ مجاهد أبو شوارب

أن يُكَفِّر عن تبنيه البنوك الربوية، بإنشاء بنوك إسلامية، فبذل جهداً كبيراً في سبيل ذلك، وكانت البداية صعبة، بسبب معارضة مشاهير رجال الاقتصاد والسياسة في

حينه، نظراً لحداثة تجربة البنوك الإسلامية، وخشية بعضهم أن تتسبب في إضعاف البنوك القائمة، وعندما أعلن عن الاكتتاب، لإنشاء مصرف اليمن الإسلامي، في نهاية ثمانينيات القرن العشرين، فوجئ بالإقبال الكبير على الاكتتاب، وبضعف الرأسمال المحدد، وفي وقت قصير، نظراً لرغبة أصحاب المال اليمنيين في الاستثمار الحلال، وقد رأى بعدها أن يتم افتتاح عدة بنوك إسلامية، وليس بنكاً واحداً، وهو الذي حدث.

استطاع الأستاذ جباري أن يدفع إلى البرلمان بمشروع قانون إنشاء المصارف الإسلامية، الذي صدر عام 1996م، وتم إنشاء عدة بنوك إسلامية؛ البنك الإسلامي اليمني، وبنك سبأ الإسلامي، وبنك التضامن الإسلامي الدولي، ومصرف اليمن البحرين الشامل، وفتحت بنوك أخرى نوافذ للتعاملات الإسلامية، حتى أصبحت هذه البنوك شريكاً في التنمية، ورافداً كبيراً للاستثمار في اليمن، وأوجدت فرص عمل كثيرة في المشروعات الكبيرة والصغيرة والأصغر، وتقديراً له، وللاستفادة من خبرته، تم اختياره رئيساً لمجلس إدارة بنك سبأ الإسلامي، وطلبت منه البنوك الإسلامية الأخرى، أن يكون عضواً في مجالس إداراتها.

كان - رحمه الله - يختار أقصر الطرق، وأقل التكاليف، في إنشاء المشروعات، وظل يحلم بإقامة الطرق السريعة، والسكة الحديد بين المدن اليمنية، ودعا لإنشاء مصنع لنسيج الأصواف في ذمار، نظراً لوجود المادة الخام من أصواف الضأن والماعز.

لم يُعرَف عن الأستاذ محمد جباري - رحمه الله - استشرافه للمناصب، بل كانت هي التي تبحث عنه، وكان يشير على الرؤساء بتعيين بعض الشخصيات، التي يرى أنها قادرة على العطاء، كما هو الحال عندما رشح للرئيس إبراهيم الحمدي الأستاذ عبد العزيز

عبد الغني رئيساً للحكومة، حيث كان قبلها يشغل منصب محافظ البنك المركزي اليمني.

عين جباري مديراً لمطار صنعاء الدولي، وأسهم في إنشاء المؤسسة العامة للمياه والصرف الصحي، وتولى رئاستها، ورئيساً للبنك اليمني للإنشاء والتعمير، ومديراً لمؤسسة التجارة الخارجية، ومن أجل تطوير العاصمة صنعاء، سعى لإصدار قانون خاص بأمانة العاصمة، وعين أول أمين لها، وشهدت تحت إدارته إنجازات كبيرة، وعُين وزيراً للتموين والتجارة أكثر من مرة، عمل خلالها على كسر احتكار الاستيراد والتصدير، وأدخل النظام المحاسبي المزدوج الحديث، وشجع الصناعة المحلية، وقدم

الأستاذ محمد جباري مع الشيخ جابر الصباح أمير دولة الكويت

لها التسهيلات التي تساعدها على النهوض.

ولأن الأعمال المهمة والوظائف كانت تبحث عنه، فقد عين رئيسًا للجنة إغاثة منكوبي الزلزال في محافظة ذمار، وعين عضواً في المجلس الاستشاري، وشارك في إعداد الكثير من الاتفاقيات مع دول عربية وأجنبية، وشارك في صياغة الميثاق الوطني الخاص بالمؤتمر الشعبي العام، قبل التعددية السياسية، وشارك في إعداد النظام الأساسي للتجمع اليمني للإصلاح، عند تأسيسه.

كان الأستاذ محمد جباري كريماً وحكيماً، عظيما ومتواضعاً، يميل في قيادته إلى تفويض الصلاحيات، ويعطي المرؤوسين الثقة، يستوي في ذلك العمل الإداري، أو العمل السياسي والتنظيمي الحزبي.

عندما تجلس معه وتستمع إليه، تشعر بالأنس والاطمئنان، لأنه يفتح أمامك آفاقاً رحبة من الأمل وفرص النجاح، في كل مجال، ولاسيما المجال الاقتصادي والسياسي.

عرفته عن قرب في اجتماعات الهيئة العليا للإصلاح، وفي المؤتمرات العامة للإصلاح، وكذا عند زياراتي له في منزله؛ صاحب رأي حصيف وبُعْد نظر، ورؤية سياسية ثاقبة، يدرك المتغيرات من حوله، ولديه ثقة كبيرة بمشروع الإصلاح الذي آمن به، وعمل من أجله، وكانت آراؤه محل تقدير واحترام إخوانه وأبنائه في حزب الإصلاح، وكان يدفع من ماله لتغطية نفقات الأنشطة التي لا يدرك البعض أهميتها، مثل الجانب الإعلامي، الذي أصبح فاعلاً في التأثير، وصناعة الرأي العام.

كان - رحمه الله - يحترم الموعد، ويحرص على الالتزام به، وفي كل اجتماع، كنتُ أجده قد سبقنا بالحضور، علي الرغم من كبر سنه، وكثرة انشغالاته.

يأسرك بسلوكه وتواضعه، وكثيراً ما كنت أراه في الشارع العام، يسير على قدميه، وفي ظروف أمنية مضطربة، وتحكى عنه روايات كثيرة عندما كان وزيراً، إذا خرج من مكتبه ولم يجد السائق، فإنه يستوقف سيارة أجرة، أو حافلة عامة، ويركب مع عامة الناس.

اتصف الأستاذ محمد جباري بالذكاء، وسرعة البديهة، والإجابات الظريفة، والنكات المسكتة، وكان صادقاً وصريحاً في نصحه، وتروى عنه مواقف كثيرة، كما حدث ذات مرة أمام الرئيس علي عبد الله صالح، وبحضور عدد من السياسيين الذين جاملوا الرئيس في رأي، فاعترض وقال للرئيس: لا تصدقهم فكلهم لا يوافقون على رأيك، ثم أخذ يذكّرهم واحداً تلو الآخر، بأنهم بالأمس قالوا غير الذي يقولونه اليوم!

وخلال النقاش حول إنشاء البنوك الإسلامية، أراد أن يزيل المخاوف من نفوس المترددين، فقال: الفرق بين البنوك الإسلامية، والبنوك القائمة، كالفرق بين الرّوّاني والبقلاوة (أنواع من الحلويات التركية المشهورة)، ولما سمع شدة المعارضة ضد إنشاء البنوك الإسلامية، من شخصيات ليس لديها دراية اقتصادية قال: بعض الناس مثل أبي جهل؛ كان يحارب الإسلام، ولا يدري ما هو!

فِعْلُ الخير عند جباري كان طبعاً وسجية، يمارسه ويدعو إليه، فقد أسهم في إنشاء جمعية الإصلاح الاجتماعي الخيرية، وكانت له يد بيضاء مع الشيخ محفوظ شماخ في إنشاء مستشفى الأمراض النفسية، وعندما يلتقي التجار لجمع تبرعاتهم للفقراء والمساكين في رمضان، وفي المناسبات المختلفة، كان يتحدث إليهم، فيبكي ويبكيهم، وحبه لفعل الخير لم يكن محصوراً لأبناء وطنه فحسب، فقد شارك في دعم صمود الشعب الفلسطيني، وإغاثة الشعب الأفغاني، ومنكوبي الفيضانات في السودان في الثمانينيات من القرن الماضي، وكذا تقديم المساعدات للمسلمين في

البوسنة والهرسك، عند تعرضهم لحملات الإبادة أواخر القرن العشرين.

لقد كان الجانب الإنساني حاضراً في حياة الأستاذ جباري، فهو رقيق القلب، صاحب عاطفة جياشة مع أهله وأولاده وأصدقائه وغيرهم، تدمع عيناه لأي موقف مؤثر، ويذكر الأستاذ إسماعيل بن أحمد الوزير، أنه كان معه في عدن في إحدى المحلات التجارية، وأخذ البائع يعرض بضاعته، ويشكو لأنه لم يبع في ذلك اليوم شيئاً، فدمعت عينا الأستاذ جباري شفقة على الرجل!

كان الأستاذ محمد جباري صاحب ذوق رفيع، يحب المناظر الجميلة، ويشجع الفنانين المبدعين، وقد أسس مع الأستاذ محمد درهم مؤسسة أهازيج وأغاريد، وأخبرني الفنان التشكيلي الأستاذ عبده محمد الحذيفي عضو مجلس النواب، أنه أقام معرضاً للوحاته التشكيلية في جامعة صنعاء، وكان الأستاذ جباري حينها أميناً للعاصمة، وعندما زار المعرض، أعجب بتلك الصور، وجاء بنفسه إلى بيت الأستاذ عبده الحذيفي، واتفق معه أن يخصص صالة في أمانة العاصمة لعرض تلك اللوحات، مقابل ثلاثين ألف ريال، يأخذ نصف المبلغ مقدماً، وكان حينها المبلغ ذا قيمة كبيرة، وقد ظلت اللوحات معروضة في مكتب أمانة العاصمة، حتى ترك الأستاذ جباري منصب أمين العاصمة.

ومن الصفات التي عُرف بها الأستاذ جباري، أنه كان يغيث الملهوف، ويساعد المحتاج، وقد كان بيته ملاذاً لمن يأتي صنعاء من غير أهلها، يؤكد ذلك بعض رجال اليمن المشهورين أمثال الدكتور ناصر عبد الله العولقي، وزير الزراعة السابق، والدكتور عبد العزيز السقاف رحمهما الله، وكان من عادته السؤال عن الغائب من أحبابه، يذهب مع أصدقائه لزيارة المرضى، وأحياناً سيراً على الأقدام. يحكي عنه

زميله الأستاذ يحيى محمد الشامي، أنه في أثناء مرضه في الأردن، جاء لزيارته، بينما كانت قربة العلاج معلقة في يد جباري، لأنه كان تحت العلاج أيضاً!

ظل الأستاذ محمد عبد الوهاب جباري يدعو للتقارب والتعاون، ونبذ الفرقة والخلاف، وكان مجلسه الأسبوعي جامعاً لكل ألوان الطيف السياسي، يتسع لكل اليمنيين، متجاوزاً العصبيات السياسية والطائفية والمناطقية والمذهبية، وعلى الرغم من أن المجلس متواضع بأثاثه، إلا إنه كان كبيراً بالرسالة التي ظل يحملها، والإدارة الحكيمة لصاحبه.

كان الأستاذ جباري يكثر الاستماع لتلاوة القرآن الكريم، لاسيما في أواخر حياته، يفتح المذياع أو المسجل، ليستمع للقُرّاء المشهورين، ويشير إلى أسلوب كل منهم في الصدع بآيات الكتاب المبين، وقد يطلب ممن حوله أن يقرأ سورة معينة، وهو يستمع.

إحدى وثمانون عاماً هجرية قضاها جباري بين الميلاد والوفاة، كانت حافلة بالمثابرة والعلم، والعطاء وفعل الخير، وأعمال البر والإحسان، والإسهام في النهضة الاقتصادية، والعمل السياسي، وضع خلالها بصمات بارزة في الحياة العامة، وترك ذكريات حسنة لا تُنسى، في نفوس كل من عرفه.

ولد الأستاذ محمد بن عبد الوهاب جباري في الحوطة بذمار، غرة ربيع الأول 1350 هجرية، 15من يوليو 1331م، وكانت وفاته بصنعاء يوم الخميس 2 من ذي الحجة 1431هـ 2009/11/19م، وخلف بنتاً وسبعة أولاد، ودفن في مقبرة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر خلف دار الرئاسة، رحمه الله وجعله في الصالحين، وحشره في المهديين وأسكنه جنات النعيم.

محمد الصليحي العصامي المثابر

(1373 - 1427هـ) (1954 - 2006م)

القاضي العلامة محمد بن محمد علي ثابت الصليحي، داعية ومعلم، خطيب وفقيه، صاحب السمت الهادئ، والصوت الخاشع، يعلوه وقار العلماء، وسيماء الصالحين، كريم وخدوم، صبور ودؤوب، أنموذجٌ للإرادة والعزيمة والعصامية.

ولد في قرية الحرف، عزلة الحرث، مديرية بعدان، محافظة إب، وفي مروجها الخضراء نشأ وترعرع، ومن أرضها الطيبة المعطاءة، تشرب الحيوية والنشاط.

توفيت والدته وهو في الرابعة من عمره، وقد كانت أحوال أسرته المعيشة صعبة كغالبية اليمنيين، الذين يضطرون للهجرة والاغتراب بحثاً عن مصدر للرزق، فلما بلغ العاشرة أرسله والده إلى المملكة العربية السعودية، صحبة عمه حمود بن علي

الصليحي، الذي كان يشتغل في التشييد والبناء، ليبدأ قصة الكفاح والمثابرة والإنجاز.

في السعودية انخرط في سوق العمل، وتنقل في عدة مدن، والتحق بشركة إيطالية تعمل في مجال النفط، وظل فيها لمدة ست سنوات، حتى صار كبير المشرفين، وتعلم خلالها اللغة الإيطالية، ثم ترك الشركة وبدأ عملاً خاصاً في المقاولات، بالتعاون مع أقاربه، لكنه لم ينكفئ على أعماله الخاصة، كما هو شأن أغلب المغتربين اليمنيين؛ بل انتظم بفصول محو الأمية في الفترة المسائية، فدرس المرحلة الأساسية، ثم أكمل المرحلة الثانوية، وبعدها التحق بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وتخرج فيها، وحصل على شهادة الليسانس عام 1987م.

وخلال رحلة العمل والدراسة، كان يجالس العلماء، ويتلقى عنهم، وأتقن تلاوة القرآن الكريم، وداوم على القراءة واكتساب العلوم والمعارف، حتى غدا فقيهاً عالماً، وداعية واسع الاطلاع، ومن حرصه على الاستفادة من الوقت، كان يراجع حفظ بعض السور وقت الانتظار عند إشارات المرور، في ذهابه إلى العمل وعودته منه، وكان إذا جاء المسجد وتأخر الإمام، يقدمه المصلون ليؤمهم ثقة بحفظه، وتقديراً لعلمه وصلاحه، وقد تمكن من إقامة علاقات واسعة مع مختلف شرائح المجتمع، من طلاب وعلماء ومثقفين، ووجهاء ورجال أعمال.

بعد اجتياح العراق للكويت عام 1990م، تحمل المغتربون اليمنيون تبعات موقف دولتهم من تلك الحرب، ورفعت السعودية المزايا التي كانت تتمتع بها العمالة اليمنية، واضطر مئات الآلاف منهم أن يعودوا إلى وطنهم، وكان القاضي محمد الصليحي أحدهم، إلا أنه لم يأتِ صفر اليدين، بل عاد بمعدات البناء التي جمعها، وأقام مصنعاً للطوب الإسمنتي، ومنشاراً لقطع الأحجار، وواصل نشاطه في المقاولات

والبناء بالشراكة مع بعض أفراد أسرته، الذين عملوا معه في بلد الاغتراب، وهكذا اندمج في سوق العمل، ولم يصبح عالة على أحد، مقتفياً أثر بعض أئمة العلم، الذين جمعوا بين العلم الشرعي، واحتراف مهنة تدر عليهم دخلًا ينفقون منه على أنفسهم وأسرهم، ويفيضون بالخير على غيرهم.

بعد أن رتب حياته الخاصة وأعماله في صنعاء، التحق بالمعهد العالي للقضاء، حتى أكمل الدراسة فيه، وصار مؤهلاً للعمل في سلك القضاء، فتم تعيينه قاضياً في محكمة غرب الأمانة، ثم نقل إلى التفتيش القضائي بديوان وزارة العدل، وبعدها تم تعيينه أميناً للدائرة المالية في المحكمة العليا.

ظل القاضي الصليحي ذلك المثابر الدؤوب، الذي لا يعرف السكون والجمود، فمع وظيفته في سلك القضاء، وأعماله الخاصة، صار إماماً لمسجد العصيمي في جولة سبأ بالعاصمة صنعاء، يؤم المصلين، ويقيم الدروس، ويخطب الجمعة، ويجيب على أسئلة المستفتين، ورأس لجنة المسجد، التي حملت على عاتقها كفالة عشرات الأسر الفقيرة، ومن سماحته أنه تبرع براتبه الشهري المعتمد من وزارة الأوقاف لقيّم المسجد، وبصورة دائمة، ولم يقتصر نشاطه على مسجده، فكان يقدم برامج إرشادية في القنوات الفضائية.

كانت خطب القاضي الصليحي مركزة وواضحة، وبعيدة عن التجريح أو التشهير، وفيها إحياء لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالحكمة، ويتخلل الخطبة بيان للأحكام الشرعية في المسائل التي تعرض عليه خلال الأسبوع، وقد كان المسجد يزدحم بالمصلين، وتمتد الصفوف إلى الشوارع المجاورة - على الرغم من أن مساجد كبيرة على مقربة منه، مثل مسجد: ذو النورين وجامع الشوكاني – ولا غرابة أن يكون بين

الحضور كبار العلماء والمثقفين، ومشائخ القبائل، مثل الدكتور عبد الكريم زيدان، والشيخ عبد الله بن حسين الأحمر، رحمهم الله تعالى.

أما برنامجه اليومي، فيذكرنا بسير العلماء الأفذاذ، يبدأ من بعد صلاة الفجر بتوجيه العمال، والإشراف على أعمال المقاولات، ولا يبدأ دوام الموظفين الرسمي حتى يكون على رأس عمله، وفي البيت يقضي وقتاً طويلًا في مكتبته العامرة، وعندما يدخلها لا يسمح لأحد أن يقتحم عليه خلوته فيها، وله وقت مخصص يمارس فيه الرياضة، ومن عادته أن يذهب إلى المسجد قبل الصلاة، ويحافظ على أذكار الصباح والمساء، ويراجع حفظه من القرآن يومياً، وفي المسجد يقيم دروسه الراتبة بين صلاتي المغرب والعشاء، ويتخوّل الناس بالمواعظ بعد الصلوات، ومن بعد العصر ينجز واجباته الأسرية والاجتماعية، وفي المساء ينهي الحسابات المتعلقة بأعمال المقاولات، ثم يرتب لأعمال اليوم التالي، وغالباً ما يتناول العشاء مع ضيوف، أو مع العاملين معه في عمله الاستثماري.

وكان شهر رمضان المحطة الأهم في برنامجه السنوي؛ ذكراً وتلاوة ودروساً ومواعظ وتصدراً للفتوى، وما أندى وأجمل صوته بالقرآن الذي يملأ جنبات المسجد في صلاة التراويح، وقد يقضي جزءاً من رمضان في مكة والمدينة، وأحياناً يستجيب لدعوات تصله من الطلاب أو الجاليات اليمنية في بعض الدول لإلقاء المحاضرات، فزار الأردن ومصر والهند، وفي مدينة (بونا) الهندية، صلى وخطب بالمسلمين في عيد الفطر المبارك.

كان رحمه الله خدوماً، يستمتع بتقديم التسهيلات لمن يعرف من إخوانه وزملائه، الذين ليس لهم القدرة على بناء مسكن لأسرهم، فيطلب منهم دفع القليل من المال

الذي يملكونه، ويبدأ في البناء، وكلما حصّلوا مبلغاً سلموه له، وهكذا حتى يكتمل البناء والتشطيب، وينتقلون إلى منازلهم الجديدة، يصبر عليهم حتى يسددوا ما عليهم، وكان بعضهم يتفاجأ بكشف الحساب الأخير، لأنه يبسّط لهم أمر البناء في البداية حتى لا يتهيّبوا التكاليف، ولن يجدوا مقاولاً ينهي عمله قبل أن يتسلم مستحقاته، ومن دون أي فوائد، كما تعمل البنوك، ولولا توفيق الله ثم هذا البذل والعطاء من أخيهم الصليحي، لما تمكنوا من امتلاك سكن خاص بهم، بل ربما سامحهم بجزء من التكاليف، إذا كانت ظروفه مواتية.

تعرفت على القاضي محمد الصليحي عام 1989م عندما تعينت ملحقاً ثقافياً بالسفارة اليمنية في الرياض، وقد كان نعم الأخ والجار الكريم، والصديق الحميم، وكانت أم أولاده نعمتْ الأخت لأم أولادي في غربتها، تهتم بها، وتزورها، وقامت برعايتها بعد ولادتها، وعندما رجعنا جميعاً إلى صنعاء، ساعدني في إكمال بناء منزلي، ثم عملتُ معه في عمله الخاص، تعلمت واستفدت من خبراته، وقد كان خلوقاً فاضلاً، سموحاً في تعامله، كريماً في عطائه، مبادراً في أعمال الخير، طيب القلب، شديد الحياء، يحسن الاستماع، ويقبل النصح، لكنه لا يقبل الضيم، ولا الدونية في التعامل، فقد يلغي عقد عمل مع شخص إذا لمس منه تعالياً، أو تردداً وتشككاً في أمانته.

كان رحمه الله واصلاً لأرحامه وأقاربه، وعندما عزم على أداء عمرته الأخيرة في رمضان 1427هـ، ذهب لوداع والده في بعدان، وقبل أن يصل إلى قريته تعرض لحادث مروري في منطقة يريم، فارق الحياة على إثره رحمه الله.

ولد القاضي محمد بن محمد الصليحي في محافظة إب عام 1373هـ 1954م،

وتوفي في صنعاء بتاريخ 4 من رمضان 1427 هـ، الموافق 27 من سبتمبر 2006م، وخلف ستة أولاد وأربع بنات، ودفن في مقبرة سواد حنش المسماة مقبرة الشهداء، رحمه الله وكتبه في الصالحين، وحشره في المهديين.

•~•~•~•~•~•~•

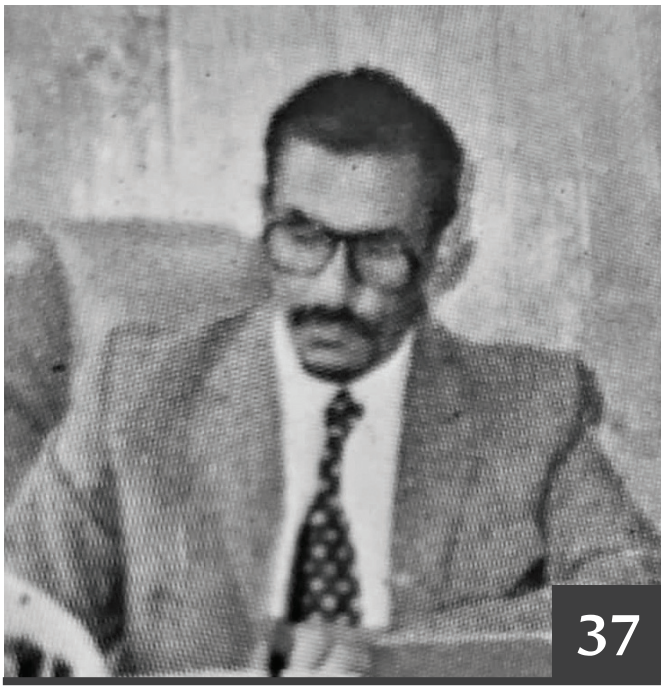

محمد الشهاري فيلسوف التربية

(1355 - 1432هـ) (1937 - 2011 م)

الأستاذ محمد بن هاشم بن عبد الله الشهاري، أحد عمالقة التربية في اليمن؛ فيلسوفها المنظر، وخبيرها الحاذق، وناصحها الأمين، فارس التعليم الذي لا يشق له غبار، مهاب إذا تحدث، يخرج كلماته درراً يعدها حروفا، فيجبرك أن تصغي إليه بعقلك وقلبك، جمع بين الدراسة التقليدية؛ العربية والشرعية، وانفتح على الدراسات والبحوث الحديثة والمعاصرة، أجاد العربية والإنجليزية، ودرس الفرنسية وكان ملماً باللغة الروسية، وقد مكنه ذلك من توسيع وتنويع ثقافته وتجاربه.

بدأ الأستاذ الشهاري حياته العملية مدرساً في الحديدة أواخر خمسينيات القرن العشرين الميلادي، وشارك الأحرار تطلعاتهم لحياة حرة وكريمة لليمنيين، وعاش

ردحاً من الزمن في فرنسا، وتنقل بين الكثير من العواصم العربية والأوروبية؛ متدرباً ومحاضراً وخبيراً، ومشاركاً في المؤتمرات والندوات، وكان حضوره تلك الفعاليات مميزاً ومؤثرا.

بعد ثورة 26 من سبتمبر 1962م، انتقل إلى ديوان وزارة التربية والتعليم بصنعاء، ليصبح أحد أعمدتها، رافق الخبراء المصريين والعراقيين وغيرهم من العرب والأجانب، الذين قدموا لتطوير النظام التعليمي في اليمن، وعمل نظيراً لبعضهم واستطاع أن يستوعب خبراتهم وأفكارهم الجديدة، ليضعها في قالبها اليمني والعربي والإسلامي، فقد ظل شديد الحرص على التمسك بالهوية الوطنية والعربية والإسلامية، لا يقبل التفريط فيها، أو المساومة عليها في ظروف كانت معقّدة وصعبة، وبين عواصف عاتية من الصراع، وقد كلفه ذلك الكثير من العنت والحرب والتهميش أحياناً.

أسهم الأستاذ الشهاري في وضع المناهج المدرسية، وشارك في تأليف كتب اللغة العربية لمختلف المراحل التعليمية، وكذا كتب محو الأمية وتعليم الكبار، وفي أواخر حياته كانت في نفسه حسرة من تكليف مراكز ومؤسسات - خارج التربية- عُهد إليها القيام بإعداد وتأليف المناهج والكتب الدراسية للتربية والتعليم.

كان يتطلع إلى مستقبل مشرق لليمن من خلال نظام تعليمي جيّد، ويحلم أن يصبح التعليم من أجل التنمية؛ لينتقل باليمن إلى مصاف الدول المتقدمة، كان متحمساً للجوانب العملية في التعليم، وتبنى فكرة المدارس الشاملة التي تجمع بين التعليم النظري، والخبرات العملية كحرف النجارة، والحدادة، وصيانة السيارات، وأعمال الكهرباء.. وتتضح فلسفته التربوية في كتابه **(التعليم والتنمية البشرية في اليمن)**، وهو موسوعة تربوية معاصرة، أصدر الجزء الأول منها مع الدكتور فضل

أبو غانم وزير التربية والتعليم السابق، وكان يأمل أن يكمل الموسوعة، غير أن مرض موته حال دون ذلك.

كان رحمه الله قد عرض عليَّ كتاباً أسماه (**المؤامرة**) استعرض فيه ما تعرض له التعليم من محاولات التغريب والهدم من بعد ثورة 1962م، وحتى نهاية القرن الماضي، تلك المؤامرة التي استهدفت تجهيل الأجيال، والانحراف بها بعيدا عن هويتها العربية والإسلامية، وكيف تم التصدي لتلك الأفكار، والحيلولة دون تحقيق مراميها، وقد نصحته في حينها بإعادة النظر في الكتاب، لأنه ذكر فيه أسماء مسؤولين وشخصيات، كان قد اختلف معهم حول القضايا التربوية، وكنت أرى أن ذلك قد يعرضه للمضايقات والمخاطر، ولعل أبناءه يتمكنون من إعادة إخراج ذلك الكتاب وطباعته، مع غيره من البحوث التي لم ينشرها، حتى تنتفع بها الأجيال؛ فقد كان رحمه الله يكتب بدم قلبه، وعصارة فكره، وسعة اطلاعه، وعمق تجربته، ما جعله أحد أعمدة التعليم، الذين أثروا المجال التربوي في اليمن.

الأستاذ محمد هاشم رحمه الله أحد قادة التربية البارزين، الذين أسهموا في بناء وتطوير وزارة التربية والتعليم اليمنية: تنظيما وإدارة، وهياكل واختصاصات، وتوجهات مستقبلية، وقد شغل عدة مناصب، منها نائباً لوزير التربية والتعليم عام 1970م، وقد كان أثره واضحا في توليه الإدارة العامة للتخطيط، فهو أول من وضع خطة خمسية للتعليم في الجمهورية العربية اليمنية (1969م- 1974م)، وقبل أن تتبنى الحكومة اليمنية وضع الخطط الخمسية.

أسهم الأستاذ محمد الشهاري في إعداد قوانين إنشاء وزارة التربية، وقوانين التعليم التي كان من أهمها قانون التعليم العام رقم70 لسنة 1974م، وقانون التعليم الأهلي

الأستاذ محمد الشهاري يتوسط الصورة في حفل إختتام إحدي الورش في ديوان وزارة التربية وعلي يمينه زيد الشامي وفي أقصى يمين الصورة د أحمد الأصبحي وزير التربية

والخاص عام 1982م، وغيرها من القوانين واللوائح المنظمة للمؤسسات التعليمية..

وعند إنشاء جامعة صنعاء، تم اختياره أمينا عاما للجامعة؛ فوضع اللمسات الأولى لتأسيس الجامعة، التي بدأت بكليات الشريعة والقانون والآداب والعلوم والتربية والتجارة والاقتصاد.

وكان الشهاري أحد الأعضاء الفاعلين في كل لجان الوحدة اليمنية، من بداية السبعينيات وحتى تحقيقها عام 1990م، وقد اشتركت معه في هذه اللجان التي كانت تعقد اجتماعاتها بالتناوب بين صنعاء وعدن، وفي أجواء يغلب عليها الشك والتوتر، وعدم الثقة بين المتحاورين، وقد كان مرجعاً مقبولاً من الجميع باعتباره متخصصاً محايداً بعيداً عن التسييس، الذي يراه كل طرف في الآخر (الشمالي والجنوبي)، فكان يجمع شتات الأفكار، ليصوغ منها مادة مقبولة ومرضية للجميع.

أسس الأستاذ محمد الشهاري المندوبية الدائمة لليمن لدى المنظمة الدولية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) في باريس، وشغل منصب المندوب الدائم فيها لمدة أربع سنوات، واستطاع استصدار القرارات الدولية الخاصة بالمحافظة على مدينتي صنعاء وشبام حضرموت، وكذا تبني الحملة الوطنية الشاملة لمحو الأمية في اليمن في بداية الثمانينيات، في الشطر الشمالي قبل تحقيق الوحدة.

ولمّا كان قطاع التعليم بحاجة إلى مركز متخصص للبحوث والدراسات التربوية، فقد وقع الاختيار على الأستاذ محمد الشهاري ليكون أول مدير لهذا المركز، الذي شهد تحت قيادته مرحلة التأسيس والبناء القانوني والإنشائي، وإعداد الدراسات المعمقة لكثير من القضايا التربوية مثل: توفير المعلم والاحتفاظ به، والخارطة المدرسية، والمعايير التربوية الخاصة بالمدارس من حيث الكثافة والسعة والمستويات العمرية... وغيرها من البحوث التربوية، إضافة إلى الدور الفاعل في وضع المناهج الدراسية وتطويرها، حيث تم بناء المركز ليمثل الإطار الفني المقابل لهياكل وزارة التربية والتعليم، وليكون بمثابة الوعاء الذي يستقبل المشكلات التربوية، ويبحثها بموضوعية ويقترح الحلول الناجعة لها.

ظل الأستاذ محمد الشهاري موضع احترام الوزراء الذين تعاقبوا على التربية والتعليم، على اختلاف توجهاتهم السياسية؛ يعتمدون رؤاه واستشاراته، ويطلبون منه إعداد أوراق العمل والتقارير المطلوب تقديمها للبرلمان، أو الجهات الرسمية، أو للمؤتمرات الإقليمية والدولية، وما زلت أتذكر أني كنت كلما تحدثت مع الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب - رحمه الله - عن التربية والتعليم، فكان يسألني عن الأستاذ محمد الشهاري، وعن موقعه باعتباره علماً بارزا، وخبيراً كبيراً في القضايا التربوية.

لم يكن الأستاذ محمد هاشم الشهاري - رحمة الله عليه - منتمياً لأي حزب سياسي، وكان يجد نفسه مع كل من يحرص على هويتنا الوطنية والعربية الإسلامية، وكان همه أن يرى اليمن، وقد خرج من وهدة التخلف، وانتقل إلى مصاف الدول المتقدمة، وكثيرا ما كنا نتماهى في الحديث عن التعليم والهموم الوطنية، غير أنه عاتبني بعد انعقاد المؤتمر الأول للإصلاح عام 1994م، حين تابع الجلسة الافتتاحية للمؤتمر وقال: ليتكم دعوتموني لأكون بينكم ولو في الكراسي الخلفية، وكان عتابه مؤثراً على نفسي، فقلت له إن الإصلاح يعتبرك أحد التربويين الذين يعتمد عليهم ويقدّر جهودك في نهضة التعليم، وظللتُ خلال الفترة التي شغلتُ فيها مسؤولية دائرة التعليم في الأمانة العامة للإصلاح، أتردد عليه مع الأستاذ حسن جابر لأخذ الاستشارات التربوية منه، والتي لم يبخل بها يوما.

بعد انتخابات 1997م النيابية بدأت فكرة التهجير القسري للقيادات التربوية التي لا تنتمي للحزب الحاكم؛ فخسر التعليم الكثير من أصحاب التأهيل والكفاءة والخبرة، وكان الأستاذ محمد الشهاري أحد هؤلاء المُبعَدين، فأقصي من إدارة مركز البحوث والتطوير التربوي، وبأسلوب شعر فيه بالإهانة وعدم التقدير، خاصة أن ذلك تم على يد طلابه الذين أحسن إليهم ورعاهم؛ فانطوى على نفسه ولزم بيته، وعندما زرته في منزله، فوجئت به يجلس في دكان صغير جعله في حوش داره، وفتح منه شباكاً إلى الشارع، يبيع فيه حلويات وبسكويت للأطفال!!

سألته: لماذا تفعل بنفسك هذا؟ قال: قررت أن أبدأ حياتي من جديد؛ لقد أصبحت غريباً في الوزارة التي أسهمت في بنائها، فلم يعد يعرفني أحد في التربية والتعليم، كان موقفاً محزناً وصعباً على نفسي؛ فكم يتألم المرء لانعدام الوفاء للمخلصين، وحينها

اقترحت على الإخوة في المعاهد العلمية أن يستفيدوا من خبراته؛ فرحبوا به، وعمل معهم في مجال المناهج والاستشارات التربوية، ولكن العجلة كانت قد اندفعت لتسحق الماضي بكل ما فيه من خير، وبدوافع سياسية وليست تربوية - كما كان يقول الأستاذ محمد رحمه الله - رغبة فيما عرف حينها بتجفيف المنابع، لكنه استشارني بعدها في طلب جاءه للعمل بمكتب رئاسة الجمهورية للاستفادة منه، فشجعته على ذلك.

لم يدم الحال طويلا؛ فقد اشتدت على الأستاذ الشهاري أمراضه المزمنة، وأصيب بالشلل في الأربع السنوات الأخيرة من حياته، حتى اختاره الله إلى جواره، وجاء بيان النعي من وزارة التربية باهتا، كأنما يتحدث عن نكرة، وليس عن عملاق ترك أثرا عظيماً في مؤسسات التعليم وعلى أجيال اليوم والمستقبل، وفي جنازته غاب عن التشييع قيادات وزارة التربية - ما عدا الأستاذ عبد الكريم الجنداري وكيل الوزارة، الذي يحتفظ بميزة الوفاء لرفاق العمل- وما ضره ذلك التجاهل فيكفيه انه وضع بصمات بارزة لا تمحى في بنيان التعليم والتربية.

في الشاهل بمديرية الشرفين محافظة حجة عام 1355هـ، 1937م، كان ميلاد الأستاذ محمد بن هاشم الشهاري، ليطوي آخر أيامه في صنعاء يوم الجمعة 1432/12/15هـ الموافق 2011/11/11م عن تسعة أولاد: ثلاثة ذكور وست بنات، وبعد حياة حافلة بالعطاء، مخلفاً ثروة كبيرة من الأعمال التربوية، وقد تم دفن جثمانه في مقبرة سواد حنش، تغمّده الله بواسع رحمته، وجزاه خير الجزاء على ما قدم لدينه ووطنه وشعبه وأسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•

محمد المطهر القاضي الفيصل والعالم المجتهد

(1340 - 1422هـ) (1922 - 2002 م)

محمد بن يحيى بن علي المطهر، عالم ثبْت، فقيه مجتهد، أستاذ ومربي، وخطيب مؤثر، وداعية لبيب، عابد خاشع، عاش قامة سامقة، وكانت له مهابة ووقار، صلب الموقف، جريء في قول كلمة الحق، ناصح صادق؛ يجمع ولا يفرق، يناقش ولا يتعصب، يقف عند الدليل، إذا غضب فإنه سريع الفيء، متواضع في غير ضعف، بسيط من دون تكلف، كريم وعفيف، لطيف المعشر، حلو الحديث، تلك صفاته التي عرفناه بها، ولا أزكي على الله أحداً.

ولد عام 1922م في الأهنوم بمدينة شهارة، إحدى مدن اليمن المشهورة بالعلم في حينه، وقد توفي والده بعد ولادته بأشهر، فاهتمت به والدته، وعندما استقام

عوده، دفعت به إلى المعلامة، فتعلم بها أساسيات القراءة والكتابة، والقرآن الكريم والتجويد، ثم أرسلته إلى جامع شهارة، فتتلمذ على يد العلماء المشهورين، ودرس الفقه والمواريث، والنحو والصرف، وغيرها من علوم الشريعة واللغة، وعندما بلغ سن الثامنة عشرة، اتجه إلى صعدة لاستكمال دراسته، ومكث فيها تسع سنوات، درس فيها الأصول والفروع، والتفسير والحديث، وعلوم الآلة، حتى بلغ درجة الاجتهاد.

انتقل إلى صنعاء، واتصل بعلمائها، واستفاد منهم، وانفتح على المذاهب الفقهية كلها، ودرس الحديث والتفسير على يد العلامة محمد بن حسن الوادعي، رئيس الاستئناف، كما درس صحيح الإمام البخاري على يد العلامة عبدالله بن علي اليماني، وقد انعكس ذلك على أرائه فيما بعد، فلم يكن متعصباً، بل يحرص على اتباع الدليل من الكتاب والسنة، وقد أعطاه ذلك ثراءً معرفياً، جعله أحد علماء اليمن المعتبرين، وقد ظهر ذلك في القوانين، التي أخذت بها لجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية، التي رأسها في مجلس النواب، حيث اعتمدتْ أرجح أقوال الفقهاء، ولم تلزم نفسها بمذهب واحد.

كان رحمه الله من العلماء العاملين، الذين شغلتهم هموم أمتهم، وعاشوا ألامها وآمالها، ويحسب له، أنه من الدعاة الذين تصدوا لموجات التغريب والانهزام بلسانه وقلمه ومواقفه إبان ذروة المدّ الشيوعي الإلحادي، في ستينيات وسبعينيات القرن العشرين الميلادي، فكان غيوراً على الدين، منافحاً عن العقيدة، وإذا انتهكت حرمات الله، فلا يقوم لغضبه شيء.

كان رحمه الله صادعا في قول كلمة الحق، حريصا على إقامة العدل، يشهد له من تعامل معه، أو وضع قضيته بين يديه، سواء في أثناء توليه القضاء مع الدولة، أو من

خلال القضايا التي يحلها بالثقة والتراضي بين المتخاصمين.

بعد انتقاله إلى صنعاء، عمل في الهيئة الإدارية لنائب االإمام الحسن بن يحيى, وكلف بالإشراف على شعبة التدقيق العسكرية في الجيش، وكلف بالإشراف على قلعة قصر السلاح، والنظر في تظلمات المسجونين فيها، إضافة إلى تكليفه بالإشراف على وزارة المعارف، ثم انتقل إلى تعز في عهد الإمام أحمد حميد الدين، وعين عضواً في ديوان المقام **(وهو بمثابة المحكمة العليا)**، وكانت تضم كبار العلماء أمثال: القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني، ومحمد بن يحيى الذاري، وعبد الله بن علي اليماني، وغيرهم، إضافة لتكليفه بإدارة هيئة الواجبات الزكوية, وبعد قيام ثورة سبتمبر 1962م عين عضواً في المحكمة العليا.

تميزت مواقف المطهر بالقوة والشجاعة مع الإمام أحمد حميد الدين ومع الرؤساء بعد قيام الثورة، وتعرض للاعتقال الذي لم يثنِه عن قول كلمة الحق.

عمل المطهر في سلك القضاء، فكان فيصلا وعادلا، وتولى رئاسة محكمة الاستئناف في محافظة تعز عام 1976م، ولمدة ست سنوات، فعرف بالنزاهة والحزم، وسرعة إنجاز القضايا التي تصل إليه، وفي الفترة التي تولاها، أصدر أكثر من خمسة آلاف حكم قضائي، بمتوسط ثمانمائة قضية كل عام، ولم يُنقض منها حكم واحد، واتسمت إدارته بالكفاءة والصرامة من خلال المتابعة، والإشراف على شُعب المحكمة الجزائية والمدنية والشخصية، وعلى المحاكم الابتدائية في المديريات، والتي عمل على استكمال مبانيها ولوازمها وكوادرها الإدارية.

انتخب عضواً في مجلس النواب لدورتين انتخابيتين (1993 - و1997م) عن الدائرة 32 بمدينة تعز، ولمكانته العلمية، وخبرته في القضاء، وسمعته المشهورة، تم

اختياره رئيساً للجنة تقنين أحكام الشريعة الإسلامية في المجلس، والتي شهدت تحت رئاسته أبهى عصورها، وكانت له بصمات في إقرار وتعديل الكثير من القوانين ومواد الدستور، وظل صوتاً صادعاً بالحق، مهموما بقضايا شعبه ووطنه؛ لكلامه مهابة، ولغضبه دويّ، وكان محل احترام المختلفين معه، والمؤيدين له.

أما مجالسه فكانت واحة للعلوم والآداب، واللغة والفقه، والتفسير والحديث والتاريخ.. والذين داوموا على حضور تلك المجالس استفادوا كثيرا، وصاروا من العلماء المشهود لهم.

استمر لسنوات يخطب الجمعة بمسجد الرضوان، في حوض الأشراف بتعز، وقد كان يُعدّ خطبه بعناية، وما كان أجمل صوته الجهوري الخاشع وهو يتلو آي الذكر الحكيم في الصلاة! وكانت له دروس ثابتة في المسجد، وقد حظيتُ بشرف التتلمذ على يديه، وشدني أسلوبه المتميز في تدريس التفسير، حيث كان يفتح المصحف ويقرأ الآيات، ثم يشرع في شرح المعنى الإجمالي للسورة، وإذا كانت من السور الطويلة، فإنه يقسمها إلى مقاطع، ويأتي بدلالة كل مقطع، قبل أن ينتقل لتفسير كل آية على حدة، على أسلوب سيد قطب **(في ظلال القرآن)**، الذي كان يحفظه عن ظهر قلب.

وعلى الرغم من صغر سني في ذلك الوقت **(نحو 15 عاما)**، فإنه كان يحوطني برعايته واهتمامه، ويرد على أسئلتي، وذات مرة أعطاني المجلد الخامس من كتاب الظلال - الذي يبدأ من سورة يوسف حتى سورة طه - لأطلع عليه، ثم ظل يتابعني ويناقشني فيما أقرأ، مما جعلني أشعر بأنني صاحب الحظوة الوحيد لديه!

كان المطهر غزير المعرفة، واسع الاطلاع، ضليعاً في اللغة العربية - نحوها وصرفها وبلاغتها - متعمقاً في الفقه، بعيدا عن التعصب، وخير شاهد على ذلك كتابه القيّم

(أحكام الأحوال الشخصية من فقه الشريعة الإسلامية)، الذي يقع في ثلاثة مجلدات كبيرة، ويعد من المراجع الفقهية المشهورة, وتفرد فيه بذكر آراء واجتهاد أئمة المذاهب الأربعة، إضافة إلى المذهب الزيدي, ومذهب ابن حزم الظاهري، يعرض ويناقش رأي كل مذهب وأدلته، ثم يرجح ما يرى أنه الأقوى في الدليل.

كان رحمه الله مبدئيا، لا تستميله فتنة الثراء، ولا مغريات الجاه والحكم، ولا تزيده الشدائد إلا عزماً ومضاءً، وقد ربط مصيره بالدعوة إلى الله تعالى في كل أحوالها ومحطاتها، منذ أن جمعته محنة السجن مع الأستاذ عبده محمد المخلافي، رحمهما الله تعالى، فقد تعارفا خلف القضبان، في ستينيات القرن الماضي، فما نكص ولا جبُن عن مواقف نصرة القضايا العادلة، وما تردد ولا تخلف في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكان بيته في تعز مضافة للعلماء والدعاة المشهورين، الذين يزورون مدينة تعز، فيجدون عنده الكرم والراحة والاطمئنان، وقد ظل عضواً في الهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح، حتى توفاه الله تعالى، يسهم بالرأي، ويقدم النصيحة، وحضرت له مواقف كثيرة، وهو يدعو لجمع الكلمة، وتوحيد الصف، وتجاوز أسباب الخلاف.

عندما تولى القاضي عبد الرحمن بن يحيى الأرياني رئاسة المجلس الجمهوري، ذهب إليه وقال له: إن العلماء يموتون ولا يتركون خلَفاً لهم؛ فلو خصصتْ الدولة اعتمادًا لإعداد ألف عالم، فإن ذلك ليس كثيرا بالنظر إلى ما تنفقه الحكومة في مختلف المجالات، فقد كان رحمه الله مهموما بتربية جيل من العلماء، ويرى ضرورة إعدادهم وتأهيلهم وتفقيههم، ليحملوا عبء التوجيه والإرشاد، وتعليم الناس أمور دينهم، ومهمات القضاء بين الناس.

كان المطهر رحمه الله محل ثقة الأغنياء والفقراء، وقد اعتمدت عليه مجموعة

بيت هائل سعيد أنعم في توزيع زكواتهم، وكانوا يأخذون رأيه في الكثير من المشروعات الخيرية، وهو نعم الناصح الصادق، وكما قدّره عِلية القوم، فقد كان يحتفظ بعلاقات حميمية مع البسطاء، وضعفة الناس؛ فتراه يستمع إلى المساكين، ويجلس إليهم، ويسعى في مصالحهم، ويعمل لمساعدتهم، ويصبر على حمق وخشونة بعضهم، ومع صرامته فهو لين الجانب معهم، وإذا أغضب سائلًا أو محتاجًا، فإنه سرعان ما يسترضيه ويكرمه، ويطلب منه الصفح والمسامحة!

ومع هذا التاريخ الحافل، والقضايا الكبيرة، والأفق الواسع عند العلامة محمد المطهر، فقد كان، رحمه الله، صديقاً قريباً لمن حوله، واصلاً لأرحامه، محسناً إليهم، ومربياً ناجحا، وقدوة لأسرته وأولاده، وترك بصمات واضحة في كل أبنائه؛ أدبا وخلُقا وعلما.

لقد عاش محمد المطهر حياة حافلة بالعطاء والخير، وترك سيرة طيبة، وآثارا حسنة شاهدة على صدقه وسلامة صدره، وحمله لهموم وطنه وأمته، وحماسه لبيان جمال الإسلام وكماله، والذود عنه، والرد على الشبهات التي يرددها أعداء الإسلام، وظل داعية ومعلما ومصلحاً، إلى آخر حياته.

أنتج المطهر، رحمه الله، عدداً من البحوث والدراسات والمؤلفات منها: كتاب **(أحكام الأحوال الشخصية من فقه الشريعة الإسلامية)**، في ثلاثة مجلدات، وصدرت منه أربع طبعات في حياته، وجعل في آخره رسالة بعنوان: (بلوغ النجاح إلى الاتصال بالأسانيد الصحاح)، أثبت فيها الإجازات التي حصل عليها، وأسماء العلماء الذين درس عليهم، و(مجموعة الفتاوى)، لم يطبع بعد، و(حرية المرأة في الإسلام)، و(المراجعات القانونية)، و(مكانة العقل عند المعتزلة والزيدية)، و(حكم استثمار الزكاة في مشاريع إنتاجية)، إلى جانب عدد من المقالات عن العلمانية وخطرها،

وحرية التعبير، والإصلاح المالي والإداري، وحكم من مات ولم تصله رسالة الإسلام، ومجموعات خطب الجمعة (لم تطبع)، وكانت كبرى الصحف اليمنية والعربية تنشر مقالاته, وبعد وفاته صدر عن سيرة حياته كتاب (اتحاف ذوي الفكر بمقتطفات من سيرة العلامة المجتهد محمد بن يحيى المطهر).

ولد العلامة محمد بن يحيى بن علي المطهر بمدينة شهارة في ربيع الأول 1341 هجرية، 1922 ميلادية، وكانت وفاته بمدينة تعز في 1422/11/22 هجرية، 2002/2/6 م، وشيعته المدينة التي أحبها وأحبته، في جنازة راجلة كبيرة إلى مثواه الأخير بمقبرة (كلابة)، وخلّف ستة أولاد وأربع بنات، رحمه الله ورفع قدره في عليين، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

•~•~•~•~•~•~•~•

39

يحيى علاو رائد الإعلام الهادف

(1381 - 1431هـ) (1962 - 2010م)

سكن قلوب الملايين؛ أحبوا طلعته على الشاشة الفضائية، استمتعوا بحديثه وبرامجه التي لا تُمَلّ، وظهر حب الجماهير له في تلك الجموع الحاشدة، التي جاءت للصلاة عليه بعد موته، فملؤوا جامع الصالح (أكبر مساجد اليمن)، وازدحموا في ميدان السبعين بصنعاء، لتشييع جنازته.

إنه الحب والتقدير، الذي حظي به من خلال برامجه الإعلامية المتميزة التي قدمها في المؤسسات الإعلامية التي عمل فيها، وقد ارتسم عمق تأثيره على كل تلك الوجوه الواجمة الحزينة، التي وصلت من صنعاء وخارجها، لتلقي عليه نظرة الوداع الأخيرة، إنه المُلْك الحقيقي؛ فقلما نجد مثل هذا الجمع لرجل لا سلطة له، ولا جاه

ولا مال؛ فهؤلاء البشر شهود الله في أرضه، دفعهم الحب والوفاء لذلك العَلَم، الذي فاض خيراً وعطاء، وحبا وثقافة لكل الناس.

ولد **الأستاذ يحيى بن علي بن علي علاو**، في دمنة خدير، محافظة تعز، عام 1962م، وفيها نشأ وترعرع، وتعلم القرآن الكريم ومواد الشريعة على يد والده، ثم انتقل إلى مدينة الحديدة، وأكمل فيها تعليمه الأساسي والثانوي، وقد جاء ترتيبه الأول في الثانوية العامة القسم الأدبي، على مستوى الجمهورية عام 1978م.

حصل على منحة للدراسة في جامعة الملك عبد العزيز بجدة، فالتحق بكلية الآداب - قسم الإعلام، تخصص إذاعة وتلفزيون، ونال درجة البكالوريوس في الإعلام عام 1985م، كما أخذ دورات تدريبية في مجال الإعلام في الداخل والخارج، وشارك في عدد من الفعاليات الإعلامية في تونس ومصر.

يحيى علاو، نجم تألق في سماء الإعلام العربي، واستطاع أن يجسد اليمن بكل مناطقها، فهو جبليٌّ وتهامي، شمالي وجنوبي، ريفي وحضري، وبمهنية عالية تمكن من نقل الإعلام من دوائر المَلَق والزيف، إلى آفاق الصدق والحقيقة، ومن المقابلات الرسمية والاحتفالات المصنوعة، إلى أكواخ الفقراء، وكهوف المعاقين، وهموم عامة الناس في المدن والأرياف؛ أضحكهم، أمتعهم، علّمهم، خدمهم، ثقّفهم ووعَظهُم، أدخل السرور إلى نفوسهم، ونقل أفراحهم وأتراحهم، عاداتهم وتقاليدهم، وسماتهم وألعابهم، عرّف بالمهن والحرف التي يشتهرون بها..

كثيرون عرفوا الإعلام دعاية ومَلَقاً، وتزييفاً للحقائق، ومجاملة للساسة والحكام، وتعود عليه آخرون لهواً ولغوا، أو ترفيهاً سمجاً لإضاعة الوقت، وأراده حريصون وعظاً

لقطة للأستاذ يحي علاو في برنامج فرسان الميدان

وإرشاداً مباشراً، فجاء يحيى علاو ليقدم البديل الملتزم، المفيد والممتع والجميل، السهل والممتنع، فحيث يظهر هذا النجم الساطع (يحيى علّاو)، فإنك لا تكاد تصرف نظرك عنه، حتى يودعك هو، ويغادر على أمل اللقاء، وعندما سئل أحد الإعلاميين العرب عن رأيه فيما يقدمه التلفاز الرسمي اليمني من برامج رمضان فأجاب: ليس فيها إلا برنامج (فرسان الميدان الذي يقدمه علاو)!

كان لذلك البرنامج متابعون ليس في اليمن فقط، وإنما في مختلف الأقطار العربية، من الخليج شرقاً إلى الجزائر غرباً، وقد استمر خمسة عشر عاماً، ومع كل هذا النجاح والتألق، إضافة إلى أن اسم البرنامج وشعاره وشارته، تعطي دعاية للحزب الحاكم حينها، الذي كان الخيل شعاره، إلا إن وزارة الإعلام قررت إيقاف البرنامج، لأسباب لم تقنع ملايين المتابعين له.

(يحيى علاو) مدرسة خاصة في مجال الإعلام، لم يسبقه إليها غيره، وقد نشأ

معه وبعده جيل من الإعلاميين، تأثروا بمدرسته، وانطلقوا في محاكاته وتقليده، واتباع أسلوبه.

كان - رحمه الله - صاحب خلق عظيم، وأدب جم، وتواضع يخجل كل من يجلس إليه، مواهبه متعددة، ونظراته بعيدة، وخططه الإعلامية واسعة وعميقة، لكنه بقي في الظل، ولم تُستغل طاقاته، وكنا ننتظره وزيراً للإعلام اليمني ليرتقي به، وينهض برسالته، فرحل قبل أن يستكمل العطاء والإبداع، بل لقد ضاقت به ومنه قناته الفضائية الرسمية التي خدمها، فانتقل للعمل في قناة السعيدة الأهلية، وهذا قدَر الكثير من المبدعين، الذين لا يُعرف فضلهم إلا بعد موتهم.

كان الإعلام عند علاو رسالة، وليس مجرد وظيفة، أو وسيلة لجمع المال، ولذلك عندما عرضت عليه قناة الجزيرة أن يكون مراسلاً لها اعتذر، ثم عرضت عليه أن يقدم برنامج الشريعة والحياة بعد وفاة مقدم البرنامج الفلسطيني ماهر عبد الله، وبمزايا مادية كبيرة، لكنه لم يوافق، ورأى أن بلاده وجماهيره اليمنية أولى بجهده وعطائه.

طوى (يحيى علاو) اليمن شرقاً وغرباً، شمالاً وجنوباً، عاش مع الفقراء والمساكين فتّش عن الذين إذا حضروا لم يُعرفوا، وإذا غابوا لم يُفتقدوا؛ رجالا ونساء، أطفالا وشيوخا وعجائز، كأنها خطوات كان عليه أن يمشيها في عشرات السنين، فاختصرها في سنوات وأيام، من بطون الأودية إلى أعالي الجبال، ومن سواحل البحار إلى أعماق الصحراء..

بدأ عمله الإعلامي في إذاعة الحديدة، ثم انتقل إلى التلفاز الرسمي، واشتهر بالبرامج الهادفة ومنها (عالم عجيب)، و(قاموس المعرفة)، إضافة إلى برنامجه المشهور (فرسان الميدان). وفي قناة السعيدة، قدم برنامج (أسواق شعبية)، وبرنامج (أهل

العزم)، وحصلت برامجه على جوائز وميداليات وشهادات تقدير، محلية وعربية.

وفي أواخر أيامه - وكان لمّا يزل في قمة الحيوية والعطاء - أقعده المرض، فتقبل أمر الله صابراً محتسباً، ولم يكن أمام محبيه إلا أن يحزنوا لمرضه، ويتألموا لوجعه، وهو يكابد سكرات الموت، قبل أن يسلم الروح لباريها في مشفى جامعة العلوم والتكنولوجيا في صنعاء، بعد رحلة علاجية، شملت ألمانيا والأردن والسعودية.

جموع اليمنيين يشيعون جنازة الأستاذ يحيى علاو – رحمه الله

أيها النبيل الراحل من دنيانا الهزيلة: إن الأجيال التي زرعت فيها الأمل، وأظهرتْ إبداعاتها، واكتشفت مواهبها، ستمضي بعدك تبحث عن الكرامة والعزة لكل مواطن، وإن لم يكن من ذوي الشهرة، حتى لا يحتاج أحدهم إلى عطف محسن، أو مكرمة من زعيم، حين تهجم عليه عاديات الزمان، والتقدير والاحترام مستحقٌ لأولئك الكرام، الذين تكفلوا بعلاج علاو والعناية به، فقد عملوا ما كان أوجب على غيرهم، فجزاهم الله كل خير.

كان ميلاد الأستاذ يحيى بن علي بن علي علاو، في دمنة خدير، محافظة تعز، عام 1381هـ ، 1962م، وتوفي في صنعاء 2010م، وخلف أربعة أولاد وسبع بنات، ودفن في مقبرة الشيخ عبد الله بن حسين الأحمر جوار دار الرئاسة.

اللهم رحمتك وعفوك وعافيتك، نسألك أن تنزلها على عبدك يحيى علاو، الذي أحب الناس وأحبوه، اللهم اكتب أجره، وتقبل عمله، وتجاوز عنه، واجعله في الصالحين، واحشره في المهديين ، واسكنه جنات النعيم.

•~•~•~•~•~•~•~•

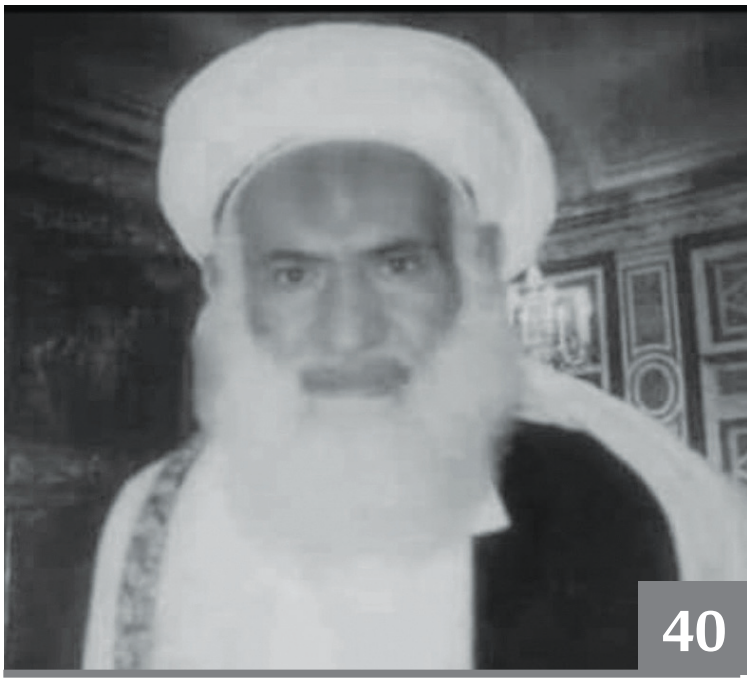

يحيى الفسيِّل جرأة الحق وهيبة العلم

(1345 - 1415هـ) (1927 - 1995م)

القاضي العلامة يحيى بن لطف بن إسماعيل بن محسن بن قاسم بن عبدالله الفسيل، من طبقات علماء اليمن الكبار، فقيه محقق، وعالم موسوعي، ومدرس مجتهد، ومربٍ حكيم، وسياسي لبيب، وواعظ مؤثر؛ كانت له هيبة، وعليه وقار، ولوجهه إشراق وبهاء، عُرف بالأخلاق الفاضلة والصفات الحسنة؛ كريم النفس، شديد التواضع، صداع بالحق، يحسن نصيحة الزعماء والحكام، من دون تعنيف ولا مداهنة، مبادر في إصلاح ذات البين، ويسعى في خدمة الناس، لا يرد فقيراً ولا ضعيفا، ولا يستنكف أن يبذل جاهه ليشفع لذوي الحاجات، ممن يعرف ومن لا يعرف، يفرض احترامه حيثما حل أو ارتحل، وهو إلى ذلك قوي الإيمان، شديد البأس، إذا

انتهكت حرمات الله يقول كلمة الحق، ولا يخشى في الله لومة لائم، والله حسيبه، ولا أزكي على الله أحداً.

مولده ونشأته وتعليمه

ولد في حارة الجلاء بمدينة صنعاء عام 1345 هجرية الموافق 1927م، وتلقى تعليمه الأولي في الكُتّاب، ونشأ في كنف والده حجة الإسلام العلامة لطف بن إسماعيل الفسيل، الذي كان من العلماء المشهورين الصداعين بالحق، وعلى الرغم من أنه درس وعاش في بيئة يغلب عليها التعصب المذهبي، إلا إنه تربى على الأخذ بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة، متأثراً بنهج والده الذي واجه الكثير من العنت، مما اضطره للخروج من صنعاء أكثر من مرة، لما كان يعانيه من مضايقات من المتعصبين، ومن الإمام يحيى حميد الدين، وكان يذهب مكة المكرمة في مواسم الحج، ويلتقي العلماء من مختلف المذاهب الفقهية، ويعود حاملاً كتب الحديث الشريف المشهورة.

ظل يحيى الفسيل معقد أمل والده في أن يرثه في العلم، ودعوة الناس وتعليمهم، وقد استبشر برؤيا صالحة رآها في المنام، فقد رأى النبي صلى الله عليه وآله وسلم واقفاً في قاع السِّهمان، قرب منطقة متنة بني مطر، بجوار شجرة الجوز، والخلفاء الأربعة عن يمينه ويساره وهو قريب منهم، والناس تذهب شرقاً وغرباً، وشمالاً وجنوباً بأعداد هائلة، وإذا به يصيح فيهم: أيها الناس: أين تذهبون!؟ هلموا إلى رسول الله، فهذا رسول الله، وهذا أبو بكر، وهذا عمر، وهذا علي، وهذا عثمان.. يصيح في الناس بأعلى صوته ورسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يراه، ويبتسم إليه راضياً بما يصنع، وقد سُرّ الوالد كثيراً برؤيا ولده، وتوقع أن يكون لولده شأن في الدعوة إلى الله، وتعليم الناس.

درس القاضي يحيى على يد عدد من العلماء، منهم والده وخاله القاضي يحيى بن يحيى الأشول، والقاضي العلامة محمد بن إسماعيل العمراني، والقاضي العلامة محمد بن يحيى قطران، وغيرهم من العلماء الذين عاصرهم، والتحق بالمدرسة العلمية بصنعاء، أعلى مؤسسة تعليمية يمنية حينها، وقد تميز عن زملائه بعدم الاقتصار على المنهج المقرر في المدرسة، وركز اهتمامه على قراءة كتب الحديث، مثل: بلوغ المرام للإمام ابن حجر العسقلاني، وشرحه المسمّى: سبل السلام لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، ورياض الصالحين للنووي، وغيرها من كتب الحديث، وكان يناقش مشايخ المدرسة العلمية وبعض زملائه حول كتب السنة، والإشادة بالصحابة الكرام، مؤكدا لهم أن الإمام علي بن أبي طالب وبقية أصحاب رسول الله، نهلوا جميعاً من معين سيدنا رسول الله عليه الصلاة والسلام، ويستدل بما ورد عن الإمام علي في كتاب (نهج البلاغة)، وكان يجد المؤازرة من القليل، والتعنيف من الكثير، ولم يفت ذلك في عضده، بل استمر على نهجه الذي صحبه إلى آخر حياته رحمه الله.

منهجه في التدريس وخروجه عن التقليد

بعد تخرجه من المدرسة العلمية بصنعاء، أرسل للتدريس في مدينة شهارة، وكانت حاضرة علم، فعمل مدرساً فيها، وواصل تحصيله العلمي على يد علمائها، وجمع بين الفقه والحديث، وعلم الرواية وعلم الدراية، وزادت قناعته بالأخذ بالدليل الصحيح من الكتاب والسنة، والابتعاد عن التعصب المذهبي، مع إلمامه بمذاهب الأئمة المشهورين، بما فيهم المذهب الهادوي، الذي كان سائداً في الجزء الشمالي من اليمن، لأنه مذهب الحكام حينها، وكان المتشددون يمنعون وصول كتب السنة إلى أيدي طلاب العلم، ويروى أن صحيح البخاري لم يدخل مدينة شهارة إلا بين حملات

الحطب، وهذا يبين الجهد والمعاناة، التي تحملها القاضي الفسيل وأترابه من العلماء، لكسر ذلك الجمود، ونشر كتب الحديث الشريف، وإشاعة روح التسامح المذهبي، والقبول بما لدى الآخرين من مراجع علمية.

عاش القاضي يحيى الفسيل داعية ومعلما، ولم يقتصر علمه على ما استفاد من دراسته التقليدية، بل قرأ كتب العلماء والمفكرين المعاصرين، وكان شديد الإعجاب بكتب الشيخ محمد الغزالي رحمه الله، ويقول بأن الغزالي ليس عالماً فحسب؛ بل أديب متمكن، أجاد عرض تعاليم الإسلام وأحكامه، والدفاع عنه بلغة أدبية بليغة، سهلة ومؤثرة، وظل يدعو تلامذته لتوسيع ثقافتهم، ليتمكنوا من مواجهة أفكار المبهورين بثقافة الغرب، والرد على الشبهات التي انتشرت، ويرى أنه لابد من التخصص في علم من العلوم، مع ضرورة الإلمام بطرف من العلوم الأخرى ويقول: **(الثقافة أن تعرف كل شيء عن شيء، وتعرف شيئاً عن كل شيء).**

ومع إنه كان معارضاً للمظالم في العهد الملكي، إلا أنه عارض هجوم القبائل على مدينة شهارة وتنكيلهم بعاملها بعد ثورة سبتمبر 1962م ، وانضم للمدافعين عنه، فتم تعيينه عضواً في مجلس الإمامة برئاسة الأمير محمد بن الحسين، وقد ظل على سجيته وصراحته فكان يقول: **(نحن لا نقاتل من أجل بيت حميد الدين، التي ضيعت دينها ودنياها، ولكننا نقاتل من أجل حماية ديننا وشعبنا.)**

وكان شجاعا ولا يقبل الغدر أو الخيانة مهما كانت الأخطار المحدقة به،مستدلا بقول الله تعالى «وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ».

بعد انتهاء الحرب بين الملكيين والجمهوريين، استقر في صنعاء، وكان يلقي

دروسه في جامع السلام في حي قاع العلفي، ثم في جامع جامعة صنعاء، وقد استفاد من دروسه الكثير من المشايخ وطلاب العلم، أمثال الشيخ حمود هاشم الذارحي، والشيخ سليمان محمد الأهدل رحمهم الله، ولم ينكفئ على التدريس فقط، بل كان يشارك مع العلماء والدعاة في حملات الدعوة والإرشاد، وتيسير الزواج، وكذا الخروج لإصلاح ذات البين بين القبائل، التي أنهكتها الثارات؛ فيبدأ بالدعوة إلى وقف الحرب، والاتفاق على صلح لمدة معينة، يتم خلالها بحث أسباب الخلاف وتداعياته، وما ترتب عليه من دماء وخسائر، ثم يحمل ذلك إلى قيادة الدولة، ويطالبها بالمساعدة بتحمل بعض الديات والتعويضات، بحيث تنتهي دواعي الحرب، ويعود السلام والأمان بين الإخوة المتحاربين، وكان يقضي الأسابيع بين القبائل مع إخوانه من العلماء والوجهاء، للوصول إلى حلول تنهي دابر الخلافات، وقد صحبته في إحدى رحلاته، وكنت أعجب لصبره وتجلده، وقدرته على استنتاج الحلول التي ترضي جميع أطراف النزاع.

مشاركته العلمية والاجتماعية والسياسية

كان القاضي يحيى الفسيل فاعلاً في الحياة العامة، حاضراً في المعترك السياسي، وشارك في مختلف المنعطفات التي مرت بها اليمن في زمانه، عين عضواً في هيئة الإفتاء الشرعي بعد ثورة سبتمبر 1962، وكان عضواً مؤثراً في الجمعية العلمية اليمنية، وتم اختياره عضواً في اللجنة العليا للتصحيح في عهد الرئيس إبراهيم الحمدي، وتم تعيينه رئيساً للهيئة العامة للمعاهد العلمية في عهد الرئيس علي عبد الله صالح، ثم رئيساً لمكتب التوجيه والإرشاد، وكان عضواً في جمعية علماء اليمن، وعضواً في الجمعية الخيرية الإسلامية العالمية، وعضواً في منتدى الفكر الإسلامي. عاصر أربعة رؤساء جمهورية؛ فأحسن صحبتهم ونصيحتهم والتعامل معهم، دون أن يفرط في دينه

وأمانته، ومكانته العلمية.

وعند تأسيس حزب المؤتمر الشعبي العام، تم اختياره عضواً في اللجنة الدائمة للحزب لدورتين متتاليتين، وكان قبلها عضواً في لجنة الحوار التي وضعت الميثاق الوطني المرجع الفكري لحزب المؤتمر الشعبي العام، وعند إقرار التعددية السياسية بعد الوحدة، كان في مقدمة مؤسسي التجمع اليمني للإصلاح، وتم اختياره نائبًا لرئيس اللجنة التحضيرية، وبعد المؤتمر العام الأول للإصلاح، تم اختياره عضواً في الهيئة العليا للإصلاح.

خدمته لعموم الناس

عاش القاضي يحيى الفسيل قريباً من الناس، ساعياً في خدمتهم، يعترضه ذو الحاجة وهو خارج من وزارة أو مؤسسة، ويعرض عليه قضيته، ويطلب منه أن يعود معه لمقابلة المسؤول الذي لم ينجز معاملته؛ فلا يتلكأ ويقول: (نستعين الله)، ويدخل مع صاحب الحاجة، ولا يخرج إلا وقد قضاها له.

كان يتمثل الحديث الشريف **(لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبه لنفسه)**، فلا يستكثر أي عطاء يأتي لغيره، ومن ذلك أنه دخل على الرئيس أحمد الغشمي يحمل طلبَين: أحدهما لبناء مسجد، والثاني لمواطن مسكين، يريد مساعدة في بناء منزل، فاستجاب الرئيس لطلبه، وأمر بصرف مائة ألف ريال لبناء المسجد، وعشرة آلاف ريال لطالب المساعدة في بناء منزل، وعندما خرج من مكتب الرئيس، نظر في الطلبين فوجد أن الرئيس قد أخطأ في الكتابة على الطلبين؛ كتب المائة الألف في طلب صاحب بناء المنزل، وفي طلب بناء المسجد عشرة آلاف! فلم يتردد أو يتلكأ، بل قال لذلك المحتاج: هذا رزقك، ساقه الله إليك، اذهب لبناء بيتك؛ والمسجد سيهيئ الله

له من يبنيه -وكانت المائة ألف حينها تكفي لبناء منزل صغير- إنها السماحة والخُلق العظيم، الذي لا يوفق له إلا النادر من كريمي النفوس، ومحبي الخير للآخرين.

ومع جلال قدره، كان يجلس مع مرؤوسيه من الموظفين والعمال؛ يستمع إليهم، وينظر في حاجتهم، وذات مرة رأيت أحد عمال الخدمات يأخذ بلحيته ليلتفت إليه، فلم يغضب، بل أقبل عليه بكل تواضع، واستمع له باهتمام.

تواضعه وحب الناس واحترامهم له

في زياراته الرسمية خارج اليمن، تحدد له مقابلات مع الأمراء والرؤساء، وتقتضي المراسم المعتادة، أن يقف بعض رجال المراسم على طريق الضيف لتحيته، فكان القاضي يتوقف أمامهم، يسلم عليهم، ويسألهم عن أحوالهم، مما يثير إعجابهم واندهاش المسؤول المكلف بمرافقته.

اعتاد القاضي الفسيل أن ينصت للآراء المختلفة، وقد يتنازل عن رأيه لمن هو أقل منه علماً، وأصغر سناً، ومن ذلك ما حدث في المؤتمر الأول لمناهج المعاهد العلمية، فقد دار نقاش حول كتاب النحو المقرر على طلاب المرحلة الإعدادية (المتوسطة)، حيث كان طلاب المعاهد يدرسون كتاب التحفة السنية شرح متن الأجرومية في المرحلة الابتدائية، وكتاب قطر الندى وبل الصدى لابن هشام في المرحلة الإعدادية، وشرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك في المرحلة الثانوية، وكان رأي أغلب الحاضرين أن قطر الندى كتاب صعب الفهم على الطلاب في هذه المرحلة، وهو يرى أن قواعد النحو واحدة، والكتاب مناسب، لكنه عندما وجد أن الأساتذة والموجهين مع تطوير الكتاب، وإضافة أمثلة وتدريبات تسهل للطلاب فهم قواعد النحو؛ التفت إلى أولئك المؤيدين لبقاء الكتاب

على ما هو عليه - وكان منهم الأخ حمود هاشم - وحسم النقاش قائلاً: فلنأخذ برأي إخواننا الأساتذة والموجهين، وتم تكليف من يقوم بتأليف كتاب **(تقريب قطر الندى)**، وأضيفت إليه أمثلة وتدريبات مناسبة للعصر تعين على الفهم والاستيعاب.

كان القاضي يحيى الفسيل يحظى بالاحترام والتقدير من العامة والخاصة، وبصورة لافتة، ومن ذلك أنه ذهب إلى مدينة تعز برفقة الرئيس علي عبد الله صالح، مع عدد من كبار مسؤولي الدولة، وتوجهوا لأداء صلاة الجمعة في جامع معاذ بن جبل بالجَنَد، وعند دخولهم، أخذ كل منهم مكانه بحسب الفراغ الذي وجده في الجامع، والمصلون منصرفون للصلاة والتلاوة والذكر؛ فلما دخل القاضي الفسيل، اتجهت أنظار المصلين إليه حباً وإجلالا، وقاموا إليه، دون غيره من الوزراء والمسؤولين، وأفسحوا له طريقاً، وأجلسوه في الصف الأول، فعقب أحد المسؤولين على هذا الاحتفاء به بقوله: هذا هو المُلك والزعامة!

وكان القاضي الفسيل رحمه الله ورعاً، لا يقبل استغلال تلك المكانة التي يحظى بها لمصلحة شخصية، ومن عجائبه، أنه زار جمهورية مصر العربية، من أجل استقدام مدرسين للمعاهد العلمية، من الأزهر ووزارة التربية، ووافق وصوله انعقاد مؤتمر للفقه الإسلامي، تنظمه وزارة الأوقاف المصرية، برعاية شيخ الأزهر، وفي المطار فوجئ بمراسم المؤتمر يستقبلونه والوفد المرافق معه استقبالا رسميا، وينوبون عنهم بعمل إجراءات الدخول، وينقلونهم بسيارات الضيافة إلى الفندق المخصص لضيوف المؤتمر، فتداول الأمر مع مرافقيه، وقال: يبدو أن خطأً ما قد حدث؛ فنحن غير مدعويين لهذا المؤتمر، لكن بعض أعضاء الوفد قال: لعل بلاغاً من رئاسة الجمهورية في صنعاء، قد أوصى باستقبال وفدنا، فقال القاضي: هذا غرر لا أقبله؛ وطلب مقابلة

شيخ الأزهر، وكان وقتها الشيخ الدكتور/ عبد الحليم محمود، وكان رجلا حكيما، ومن أبرز وأقوى من تولى مشيخة الأزهر، وفي اللقاء شرح له القاضي المهمة التي جاء من أجلها، وذكر له أنه فوجئ بالاستقبال الرسمي والضيافة من جانب إدارة المؤتمر، مع أنه لم يأتِ لحضور المؤتمر، فسأل شيخ الأزهر إن كان هناك وفد من اليمن قد وصل، ولما علم بأنه لم يصل مشاركون من اليمن، قال: أنتم وفد اليمن! وحينها قرر القاضي المشاركة في المؤتمر، بعد أن أزال اللبس الذي حصل، والعجب ليس من نزاهة القاضي وصراحته فحسب، وإنما من التعامل الحكيم والكريم لشيخ الأزهر، رحمهما الله.

مو اقفه المشهودة في مناصحة الحكام

عُرف القاضي الفسيل بالمواقف القوية والصريحة في مناصحة الزعماء والحكام، ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

أنه كان برفقة الرئيس إبراهيم الحمدي في زيارة رسمية للجمهورية التونسية، وأقام الرئيس التونسي الحبيب بورقيبة مأدبة عشاء على شرف الرئيس الحمدي، والوفد المرافق له، وفي أثناء العشاء، دخلت راقصة تدور أمام الضيوف، حسب ما جرت به العادة في تلك الدول، فأطرق القاضي يحيى برأسه إلى الأرض، لكن الراقصة اقتربت منه ووضعت يدها على عمامته محاولة أن تلفت نظره، فغضب غضباً شديداً، وأخذ الصحن الذي أمامه وهوى به نحوها فصرخت وولّت هاربة، ثم وقف كالأسد الهصور مخاطباً الحاضرين: هل ترضون هذا لبناتكم! هل ترضونه لأخواتكم! هل ترضونه لزوجاتكم! هل يصح هذا في بلد مسلم؟ وتوجه نحو الرئيس بورقيبة قائلا: أهكذا تهدرون أعراض شعوبكم، وتزعمون أنكم تحاربون إسرائيل! والله إن جهادكم أولى من جهاد إسرائيل!

أسقط في أيدي الجميع، وشخصت الأبصار نحو هذا العالم إجلالاً وحياءً وإعجاباً، وجاء بعض رجال الدولة التونسيين إليه يعتذرون، قائلين له بأن أحد السفراء الحاضرين، هو الذي أشار للراقصة لتقترب منه، فالتفت إليه القاضي مغضَباً وعنّفه ووبّخه، وفي الحال طلب الرئيس الحمدي من وزير الخارجية الأستاذ عبد الله الأصنج الذي كان مع الوفد، أن يبعث رسالة احتجاج شديدة اللهجة إلى دولة ذلك السفير، ولم يعد الرئيس والوفد إلى صنعاء، إلا وقد وصلت رسالة اعتذار للقاضي يحيى من دولة ذلك السفير، موضحين أنهم قد عزلوا ذلك السفير من عمله في تونس.

موقف آخر، وهذه المرة في السودان، في عهد الرئيس جعفر نميري، كان القاضي الفسيل في زيارة إلى السودان، مع بعض المسؤولين اليمنيين، فالتقوا بالرئيس النميري بحضور علماء سودانيين، وتحدث الرئيس نميري عن إنجازاته في تطبيق الشريعة الإسلامية، وإقامته للحدود، واقتحامه لبيوت الفاسقين، وجلده لشارب الخمر، وقطعه لأيدي السرق والمرتشين.. فلما انتهى من كلامه، عقب القاضي يحيى قائلاً: سيادة الرئيس: أنت تخالف شريعة الإسلام، التي تأمر أن تُدرأ الحدود بالشبهات؛ وعلى الحاكم أن يتحرى الملابسات التي أدت للجريمة، وحالة القائم بها، وأن الخطأ في العفو، أفضل من الخطأ في العقوبة، وبين له أن ما يقوم به مجافٍ لمقاصد الشريعة؛ فالتفت الرئيس نميري إلى العلماء الحاضرين يسألهم: هل ما يقوله القاضي صحيح؟ قالوا: كنا نريد أن نتحدث معك بهذا، ولم تتهيأ الفرصة المناسبة، فغضب لتأخر البيان منهم، وصرخ في وجوههم قائلاً: (بعد إيه!)، يعني ماذا يفيد البيان، بعد أن قام بأعمال تخالف مقاصد الشريعة، بينما كان يظن أنه يطبق تعاليم الإسلام، وشكر القاضي الفسيل وأكبره، وأعجب بنصيحته وصراحته!

ومن المواقف العظيمة التي لا تتكرر في التاريخ إلا نادراً، ما حدث من القاضي الفسيل في اللقاء الذي دعا له الرئيس علي عبدالله صالح قبل التوقيع على اتفاقية الوحدة، في قاعة كلية الشرطة، لسماع آراء العلماء حول دستور دولة الوحدة، وفي جو مشحون بالتخويف والتخوين، والاتهام لكل من يطالب بتعديل مشروع دستور الوحدة، أبدى بعض العلماء ملحوظات على المشروع، وجامل بعضهم؛ فجاءت كلمة القاضي الفسيل قوية وفاصلة، قال لرئيس الجمهورية: لو كنتُ مُصَانِعاً(مجاملاً) أحداً لصانعتُك، لما بيني وبينك من المودة، ولأنك ولي الأمر؛ ولكن هذا دين لا تجوز فيه المجاملة، وأُشهد الله أن في هذا الدستور ما يخالف شرع الله، وإذا أردتم أن تحكمونا بغير شرع الله، فإن باطن الأرض خير لنا من ظاهرها.. فضجت القاعة بالتكبير تأييداً وموافقة، وقطع كلام القاضي النقاش، فرفع رئيس الجمهورية الجلسة.

كان ذلك الموقف مثار إعجاب وإجلال علماء العالم الإسلامي الذين وصلهم الخبر، وقالوا: لقد أعاد القاضي الفسيل إلينا المواقف العظيمة، التي سجلها التاريخ لعلماء الأمة، في قول كلمة الحق أمام الحكام، من دون وجل أو خوف.

ومع حرص القاضي الفسيل على اللطف بتقديم النصح للقادة والحكام، وعِلية القوم، وقد يستخدم القصص، ويضرب الأمثال لإيصال نصيحته، لكن وجهه يتمَعّر غضباً، ولا يسكت إذا رأى ما يخالف الشريعة، أو يضر بالمسلمين، وكانت تلك صفة ملازمة له داخل اليمن، وفي زياراته خارج اليمن. ومن مواقفه تلك، أن حكومة الاتحاد السوفياتي أرسلت وفداً من العلماء المسلمين، يطوفون العالم الإسلامي، يبررون الغزو السوفياتي لأفغانستان، أواخر سبعينيات القرن العشرين، ووصل الوفد اليمن، وقابل عدة جهات رسمية، وفي اللقاء الذي تم مع

القاضي الفسيل - وكان حينها رئيساً للمعاهد العلمية - أوضح الوفد أن بلاده لم تتدخل في أفغانستان إلا استجابة لطلب الحكومة الأفغانية، ومن أجل مصلحة الشعب الأفغاني، وهنا غضب القاضي الفسيل، وقال لهم بأن كل رصاصة أو قذيفة توجهونها على الشعب الأفغاني، إنما توجهونها إلى صدورنا، والحرب التي تقومون بها في أفغانستان، هي حرب ضد أمة الإسلام، ولن ننخدع بتبرير عدوانكم، وإذا وجدتم من يجاملكم من الحكام العرب والمسلمين، فإن الشعوب يرفضون طغيانكم وظلمكم.. كلمات قوية لم يتوقعها الحاضرون جميعاً، وأُحرِج المرافقون المكلفون من رئاسة الجمهورية، وسكت وفد العلماء الروس، ولم يجدوا ما يدافعون به، وعادوا يحملون الرسالة التي سمعوها.

وعندما قام العراق بغزو الكويت عام (1990م)، واحتشدت عليه جيوش أكثر من ثلاثين دولة، وأدرك العقلاء ما سيترتب على ذلك الحشد من قتل وخراب ودمار، تشكل وفد شعبي يمني برئاسة القاضي يحيى الفسيل للسفر إلى العراق، ومحاولة إقناع الرئيس العراقي صدام حسين بالانسحاب من الكويت، وتجنيب البلاد الكوارث والخراب والدمار، فاستجمع القاضي يحيى كل ما لديه من حكمة، وقال مخاطبا الرئيس العراقي - الذي كان يعرف القاضي يحيى وفضله ومكانته - قال: يا سيادة الرئيس: لو أن الكويت كانت ملكا لك، ورثته عن أبيك وجدك، واجتمعت عليك كل هذه الجيوش لإخراجك منها، وخرجت، لكنت معذورا، وما لامك لائم؛ فكيف والكويت دولة مستقلة، قائمة بذاتها؟! ثم رجاه أن ينسحب، ويجنب البلاد الدمار والكوارث، ولما لم يجد منه الاستجابة، بزعم أنه أعد للأمر عدته، عاد حزينا كاسفاً، متألما على المصير الذي سيؤول إليه الحال.

أبو المعاهد العلمية

كان القاضي يحيى الفسيل مهتماً بالعلم ونشر التعليم، وكانت المدارس في اليمن قليلة في بداية سبعينيات القرن العشرين، ولاسيما في الريف، الذي كان يعاني من الجهل والتخلف، مع ضعف المدارس العلمية التي بقيت في بعض المدن، وانصراف الطلاب عنها، وساد انطباع عند الكثير من القبائل، أن المدارس تهمل تدريس العلوم الشرعية، فرأى القاضي الفسيل أنه لا بد من إحياء رسالة تدريس العلوم الشرعية، واللغة العربية، وفكر في تأسيس معهد علمي يستوعب الطلاب الراغبين في دراسة تلك العلوم، وكان قد صاهر الشيخ حسين بن علي الصلاحي، أحد مشايخ خولان الطيال، وتناقش معه في الأمر، فأبدى استعداده لفتح المعهد في بيته بمسور خولان ، وخصص غرفاً من البيت كفصول دراسية، وأخرى لسكن الطلاب والمدرسين، والتزم بتغذية الطلاب والمدرسين حتى يهيئ الله من ينفق على المشروع، وأخرج حبوب الذرة والقمح من مدافنه الخاصة لتغذية الطلاب والمدرسين، وتم الإعلان عن فتح المعهد عام 1972م، وتوافد إليه الطلاب من أكثر من محافظة، ولم يمر عامان، حتى ظهرت استفادة الطلاب الكبيرة في علوم الشريعة والعربية، وكان عدد منهم قد قدم من منطقة ريمة، وعلى رأسهم الشيخ محمد صغير المزلم، الذي طلب فتح معهد في بلاده، وجعل بيته بذي عمران بالجعفرية مقراً للمعهد، كما فعل الشيخ حسين الصلاحي في خولان.

ذهب القاضي الفسيل إلى رئيس المجلس الجمهوري القاضي عبدالرحمن الأرياني، وطلب منه أن تتبنى الدولة إنشاء المعاهد العلمية، والإنفاق عليها، فوافق، وأصدر توجيهاته للحكومة بذلك، ثم قام القاضي يحيى بزيارة للعلماء والوجهاء الذين

يعرفهم في أكثر من منطقة، وأوضح لهم أهمية إحياء تدريس العلوم الشرعية، فوجد منهم الحماس، ومن الوجهاء وأولياء الأمور الترحيب والتشجيع، فتم افتتاح عدد من المعاهد في المدن والأرياف، وفي عهد الرئيس إبراهيم الحمدي، زاد دعمه لإنشاء المعاهد العلمية، ثم توسعت أكثر في عهد الرئيس علي عبدالله صالح.

اكتسبت المعاهد العلمية شهرة في حسن تربية طلابها، واستفادتهم العلمية، وعندما كان الأستاذ محمد الخادم الوجيه وزيراً للتربية والتعليم، رأى أن يدرس طلاب المعاهد العلمية منهج وزارة التربية والتعليم، في جميع المواد العلمية، وتكثف لهم مواد القرآن والتربية الإسلامية واللغة العربية، وعلى ذلك سار نظام المعاهد، على أسلوب المعاهد الأزهرية في مصر.

في عهد الرئيس أحمد الغشمي، ذهب القاضي الفسيل إلى محافظة صعدة، ومكث حوالي شهر يلتقي بكبار علماء المذهب الهادوي، وهو الخبير والفقيه بمذهبهم، وتمكن من إقناعهم بفتح معهد علمي، يدرّس كتبهم المعتمدة لديهم، إضافة إلى كتب السنة، مع بعض كتب الثقافة الإسلامية المعاصرة، وقال لهم: لا ينبغي أن تبقوا منغلقين على أنفسكم، اقتربوا من الدولة، واقرؤوا كتب أئمة الفقه والحديث، واعرفوا ما لديهم.. وبصبره وحكمته وسعة علمه، تم الاتفاق معهم على فتح المعهد العلمي في صعدة، وجعل فيه القسم العالي، الذي انتظم فيه كبار السن من طلاب العلم، في مدينة صعدة وضحيان وغيرها.

عمل القاضي الفسيل رحمه الله على تنظيم المعاهد العلمية قانونياً وإدارياً ومنهجياً، فصدر قانون إنشاء الهيئة العامة للمعاهد العلمية، وصدر قرار جمهوري

بهيكلها التنظيمي، وصدرت قرارات جمهورية وحكومية بتعيين كبار مسؤوليها، وقرارات من وزارة التربية والتعليم بتنظيم إداراتها وشهاداتها، كما تم عقد مؤتمر في جامعة صنعاء لوضع مناهجها، وكان القاضي الفسيل الربان الماهر لهذه المؤسسة، وتمكن من الاستفادة من الكثير من الكفاءات العلمية والإدارية، واعتمد في إداراته أسلوب التفويض، وتوزيع الصلاحيات، وكان ساعده الأيمن في هذا المشروع تلميذه الشيخ حمود هاشم الذارحي - رحمهما الله - إضافة إلى جهود الكثير من العلماء والدعاة.

لم تكن الطريق مفروشة بالورود للمعاهد العلمية، بل واجهت حرباً إعلامية شرسة، وعداوة من بعض المتعصبين والليبراليين، مع تضييق مالي، وحرمان من الدعم الخارجي، فلم يتم بناء أي معهد على نفقة أي دولة عربية أو أجنبية، وقد تمكن القاضي الفسيل بحنكته وحكمته، أن يتخطى العقبات، ووجد دعماً شعبياً منقطع النظير، فتم بناء الكثير من المعاهد على نفقة المواطنين.

وعلى الرغم من النجاح الذي حققته المعاهد العلمية تحت إدارة القاضي الفسيل، والمكانة التي تبوأها علمياً وسياسياً وشعبياً، والصلة الودية بينه والرئيس علي عبدالله صالح، إلا أن نفوسا حاقدة ما انفكّت عن الكيد والتحريش ضده، حتى تم إزاحته من رئاسة المعاهد، لكن ذلك لم يتم إلا بعد أن أقر الله عينه برؤية خريجي المعاهد العلمية علماء ودعاة ومدرسين، وأساتذة جامعات، وقضاة ومسؤولين في مختلف مؤسسات الدولة، وفي انسجام تام مع كل شرائح المجتمع، وأكثر من ألف معهد ومركز لتحفيظ القرآن، منتشرة في جميع مناطق اليمن، تضم أكثر من مليون طالب وطالبة، وفي مرض موته، زاره الرئيس علي عبدالله صالح، فلم ينس نصيحته بأن يرعى المعاهد العلمية ويدعمها، وقال له: **حفظك الله ما حفظت المعاهد،**

وضيّعك الله ما ضيّعتها.

زهدٌ وأسوةٌ في القول والعمل

عاش القاضي يحيى الفسيل على الكفاف؛ زاهداً في الحياة، مسكنه متواضع، وأثاث بيته يسير، بعيدا عن الفخامة والأبهة، وكان بإمكانه أن يوسّع على نفسه وأهله، لكن المال كان في يده وليس في قلبه، وأذكر له موقفاً يؤكد هذا، فقد كان رئيساً لوفد يضم عدداً من مديري العموم من أكثر من وزارة - وكنت أحدهم - فذهبنا إلى الأردن، ومنها إلى مصر، وكان المقرر أن نبقى في القاهرة زهاء الشهر، وبعد أسبوع جمعنا القاضي رحمه الله وقال: يا أولادي مهمتي انتهت، فقد قابلت شيخ الأزهر، ووزير التربية، والوكلاء المعنيين، وفتحت لكم الأبواب، وبقية المهمة عليكم، وأنا مضطر للعودة، وبقي من بدل سفري أكثر من ألفي دولار، خذوها واستعينوا بها لحاجتكم.. مع أن جميع أعضاء الوفد، قد صرفت لهم مخصصات بدل سفر!

لقد تركت تلك السماحة أبلغ الأثر في نفوس الأعضاء؛ فقد سافرنا مع رؤساء وفود آخرين، ورأينا من بعضهم الحرص والأثرَة، لكن القاضي يحيى أعطانا درساً، بأن القيم والمبادئ تعاملٌ وسلوك، وليس كلاما تلوكه الألسن.

قضى القاضي يحيى بن لطف الفسيل حياته آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، مخلصاً في نصحه للحكام، دؤوباً في تعليم الناس أمور دينهم، مجتهداً في نشر العلم، حصيفاً في أقواله، قدوة في سلوكه وأخلاقه، وكانت حياته حافلة بالمواقف العظيمة، والأعمال والمَبرّات التي تخدم الإسلام والمسلمين، حتى وافاه الأجل المحتوم بمدينة صنعاء، في 4 من شعبان 1415 هجرية الموافق 5 من يناير 1995 ميلادية، وعمّ الحزن

عموم أبناء الشعب اليمني، وعزّى في وفاته رئيس الجمهورية، وعدد من الهيئات والمؤسسات العلمية والخيرية، داخل اليمن وخارجه، وقد شيع جثمانه جمهور واسع، يتقدمهم إخوانه وأحبابه وطلابه، وتم دفنه في مقبرة خزيمة بمدينة صنعاء، وخلف ثلاثة عشر ولداً وسبع بنات، رحمه الله وكتب أجره، وحشره في المهديين، ورفع قدره في عليين، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة.

•~•~•~•~•~•

تم بحمدالله الجزء الأول من كتاب رواد من اليمن.

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.

المؤلف

زيد بن علي حميد الشامي

- من مواليد الجمهورية اليمنية عام 1953م
- بكالوريوس تربية - لغة عربية ودراسات إسلامية- جامعة صنعاء 1977م
- دبلوم خاص إدارة وإشراف تربوي- جامعة صنعاء 1985م
- عمل في حقل التدريس والتوجيه التربوي، وشغل مراكز قيادية وإدارية متعددة.
- عمل ملحقاً ثقافيا بالسفارة اليمنية بالرياض 1990/1989م
- سكرتير في مجلس رئاسة الجمهورية 1994/1993م
- عضو مجلس النواب، ورئيس كتلة الإصلاح البرلمانية (دورة 2003).
- عضو هيئة التشاور والمصالحة 2022.
- مشارك في وضع المناهج وتأليف الكتب: للتعليم العام, ومعاهد المعلمين العامة والعليا، ومحو الأمية وتعليم الكبار والجامعات الخاصة في الجمهورية اليمنية.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي.
- رئيس دائرة التعليم بالأمانة العامة للتجمع اليمني للإصلاح، وعضو مجلس الشورى.
- أب لثلاثة أولاد وسبع بنات.
- محاضر وخطيب وكاتب

صدر له:

1 - خواطر وتأملات .
2 - كن إيجابياً.
3 - بسمات ونسمات .
4 - بيوت الحب.
5 - رياحين.

زيد بن علي حميد الشامي

- من مواليد الجمهورية اليمنية لعام ١٩٥٣م.
- بكالوريوس تربية - لغة عربية ودراسات إسلامية - جامعة صنعاء ١٩٧٧م.
- عمل في حقل التدريس والتوجيه التربوي، وشغل مراكز قيادية وإدارية متعددة.
- عمل ملحقاً ثقافياً بالسفارة اليمنية بالرياض ١٩٨٩/ ١٩٩٠ م.
- سكرتير في مجلس رئاسة الجمهورية ١٩٩٣/ ١٩٩٤ م.
- عضو مجلس النواب، ورئيس كتلة الإصلاح البرلمانية لدورة ٢٠٠٣.
- عضو رهيئة التشاور والمصالحة ٢٠٢٢.
- عضو رابطة الأدب الإسلامي.
- رئيس دائرة التعليم بالأمانة العامة للتجمع اليمني للإصلاح، وعضو مجلس الشورى.
- محاضر وخطيب وكاتب صدر له عدة كتب أدبية تربوية منها: خواطر وتأملات، كن إيجابياً، بسمات ونسمات، بيوت الحب، ورياحين.

روّاد من اليمن

الجزء الأول

يستعرض بإيجاز نماذج من الرواد اليمنيين الذين عرفتهم في حياتي والتقيتهم طويلاً أو لِماماً، وخبرت سلوكهم وأسلوب تعاملهم، وأنا هنا لا أستقصي الدقيق والجليل من حياتهم، وإنما أشير إلى بعض مواطن القدوة التي نحتاجها لنتأسى بها، ولنؤكد أن الخيرية لا تنقطع عن هذه الأمة.

وجميع من كتبت عنهم، قد قضى نحبه، وغادر دنيانا الفانية، وحقه علينا أن نتذكر محاسنه؛ لندعو له ونقتفي أثره، ونستفيد من تجاربه.

ولا يعني هذا تزكية هؤلاء عن الأخطاء التي هي من صفات البشر، فالعصمة ليست إلا للأنبياء، والله حسيبهم، ولا أزكي على الله أحداً.

المؤلف

مكتبة الأسرة العربية
نحو أسرة عربية واعية..
طباعة ونشر وتوزيع
إصدارات مُختارة للأسرة العربية
UFUK neşriyat
BASIN-YAYIN-DAĞITIM

ISBN 978-625-806-349-3
9 786258 063493

www.ArabFamilyBs.com
+90 212 631 81 09
+90 531 935 71 31
info@arabfamilybs.com

KORSANI DEĞİL BENİ OKU